جامعة الدول العربيّة
المنظمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم
مكتب تنسيق التعريب
الرباط

اللِّسان العربيّ

دوريّة متخصّصة محكّمة نصف سنويّة تصدر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط
التابع للمنظّمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم

العدد : 83

مطبعة ومكتبة الأمنية ش.م.م
IMPRIMERIE LIBRAIRIE OMNIA s.a.r.l

الإيداع القانوني : 1964/13
الرقم الدولي : ISSN : 0258 -3976
تصميم الغلاف : أحمد جاريد
الطبعة : 2023

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د أحمد شحلان :
جامعة محمد الخامس- المملكة المغربية.

أ.د امحمد صافي المستغانمي :
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة.

أ.د بكري محمد الحاج:
رئيس مجمع اللغة العربية بالسودان.

أ.د الخليل النحوي
رئيس مجلس اللسان العربي موريتانيا

أ.د. عبد الحميد مدكور :
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

أ.د عبد الله الوشمي
الأمين العام لمجمع الملك سلمان العالي للغة العربية

أ.د محمود أحمد السيد
رئيس مجمع اللغة العربية بسوريا

المدير المسؤول
أ. د. عبد الفتاح الحجمري

منسقة التحرير
أ. إيمان محمد كامل النصر

العنوان :82، زنقة وادي زيز – أكدال – الرباط – ص.ب : 290 (المملكة المغربية)
الفاكس : 05.37.77.24.26 (212) / الهاتف 05.37.77.24.22 (212)
الموقع على الشابكة (الإنترنت) :www.arabization.org.ma
البريد الإلكتروني :bca@arabization.org.ma

شروط النشر

- تنشر المجلة البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة العربية والتعريب والترجمة والمصطلح، المحررة باللغة العربية.
- التقيّد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها، والحرص على التوثيق وحسن استخدام المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث مطبوعة ومصححة بالبريد الإلكتروني في صيغتي WORD وPDF.
- تنشر البحوث في المجلة، بعد أن تخضع للتحكيم من قِبَل لجنة علمية من ذوي الاختصاص.
- لا تُرَدُّ البحوث إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تنشر.
- يشترط في البحث ألاَّ يكون قد نشر، ويجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر، بعد نشره في مجلة "اللسان العربي"، بشرط أن يشير إلى ذلك.
- الآراء والمعلومات الواردة في البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر عن وجهة نظر المنظمة ومكتبها.
- يُسمح باستعمال المواد المنشورة في المجلة، بشرط الإشارة إلى مصدرها.
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية، وتحدد هيئة التحرير أولويات نشر البحوث.
- يرسل الكاتب، الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع بحثه سيرته الذاتية والعلمية وعنوانه، وبريده الالكتروني والمؤسسة التي ينتمي إليها.

- وضع الإحالات في أسفل الصفحات مع ذكر الكتاب المحال عليه حسب الترتيب التالي: صاحبه، عنوان الكتاب، الناشر، مكان النشر، الطبعة، تاريخ النشر ورقم الصفحة التي تحتوي على الإحالة، بحيث يجزي ذلك عن قائمة المصادر التي يذيل بها المقال عادة.
- ألا يكون المقال مستلا من بحث أو رسالة أو كتاب سواء أكان ذلك لصاحب المقال أم لغيره.
- يقدم صاحب البحث خطابا موجها إلى هيئة التحرير يطلب فيه نشره، مع إقرار يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث.
- يجب ألا يتجاوز البحث المقدم عشرون (20) صفحة، مع تقديم ملخص بالعربية والانجليزية شريطة ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (150) كلمة.
- يلي الملخصين العربي والإنجليزي كلمات مفتاحية لا تزيد عن سبع (07) كلمات (غير موجودة في عنوان البحث لتستخدم في التكشيف).
- يُرسل للباحث خطاب إفادة بقبول البحث للنشر في حال قبوله، أو خطاب اعتذار عند عدم قبوله.
- تحتفظ هيئة التحرير بأسباب الرفض في حالة تم رفض البحث.

محتويات العدد

على سبيل التقديم 9

– المصطلحات اللغوية في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي قراءة في ثلاثة فهارس

د. منتصر أمين عبد الرحيم.....11

– الأسس اللسانية لترتيب مشتقات المدخل المعجمي والمعايير الفنية لتكرار المدخل الفرعي في القواميس العربية المعاصرة

د. عبد الرحمن اخيارهم.....33

– لغة الجسد في سورة عبس دراسة سيميائية إحصائية

د.بسام مصباح طه أغبر 57

– مفاهيم الاشتقاق ومصطلحاته في الدرس اللغوي العربي

د.إدريس بوكراع 93

– اللغة العربية والعالم الحديث

شارل بيلا 117

– نشأة اللغة العربية ومصادرها

إبراهيم حركات..... 129

- مستقبل العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل العرب

عبد السلام العجيلي 139

- هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟

رشاد دارغوت 145

- الحروف العربية والحواس الست

حسن عباس 161

- وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

عبد الكريم خليفة 181

- قائمة المعاجم الموحّدة الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب 211

على سبيل التقديم

يسرّ مكتب تنسيق التعريب بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن يضع بين يدي القارئ الكريم العدد الجديد من مجلة **اللسان العربي**، ويتضمن العديد من الأبحاث التي تهمّ اللغة العربية، كالبحث اللغوي والمعجمي، وبقيمة منهجية نظرية وتطبيقية تعتمد التَّوجُّه النقدي في صياغة إشكالات البحث بدقة وموضوعية في التناول والبناء.

بهذا الإصدار تواصل المجلة حضورها الأكاديمي المتواصل، وهي بذلك تعدّ، اليوم، مرجعا للهيئات اللغوية والمجامع والجامعات وللمتخصصين المهتمين بقضايا التعريب والترجمة والتنمية اللغوية منذ صدور العدد الأول سنة 1964، إنها منبر لنشر أبحاث في مجالات لغوية ومصطلحية متنوعة تربو اليوم على أزيد من أربعة آلاف دراسة باللغات العربية والفرنسة والانجليزية.

سيجد القارئ في هذا العدد القيم دراسات تبحث في الأسس اللسانية لترتيب مشتقات المدخل المعجمي والمعايير الفنية لتكرار المدخل الفرعي في القواميس العربية المعاصرة، فيما يهتم بعضها الآخر ببحث المصطلحات اللغوية في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وتقديم بعض الملحوظات الخاصة بالطرق التي انتهجتها ثلاثة فهارس في رصد المصطلحات وتسجيلها ووصفها وتصنيفها بغية الوقوف على أسس محددة تسهم في بناء فهرس شامل لمصطلحات **"العين"** اللغوية. بينما تسعى أبحاث أخرى بمساءلة لغة الجسد في سورة (عبس) وفق منهجية سيميائية إحصائية تبين مكانة هذه اللغة بين وسائل تواصل الإنسان مع أفراد جنسه، وكشف شبكة العلاقات التي تربطها مع وسائل التواصل المعروفة.

واعتبارا لأهمية الاشتقاق في اللغة العربية باعتباره من أبرز القضايا اللغوية فقد أفرد له هذا العدد بحثا يحيط بالظاهرة وبمختلف مساراتها ومقاييسها اللغوية.

كما يشتمل هذا العدد على عطاء فكري غني وخصب لأبحاث علماء أجلاء أدرجناها ضمن **ذاكرة اللّسان**، نعيد نشرها لكونها أبحاث تمتلك صفة الراهنية بمقاربات وتصورات علمية تهم اللغة العربية من حيث النشأة والتطور والامتداد، ومكانتها من بين لغات العالم اليوم، والتحديات المطروحة أمامها اليوم بوصفها لغة علم وفكر وأدب وحضارة؛ فضلا عن قضايا دور اللغة في التنمية وتحقيق التنوع الثقافي واللغوي، وفي التمكين من الأداء العلمي وصياغة المصطلحات الحديثة، وكلها دراسات لمفكرين لغويين أجلاء أثروا حقل الدراسة اللغوية بسديد الرأي وعميق الفكر.

المصطلحات اللغوية في كتاب "العين"
للخليل بن أحمد الفراهيدي
قراءة في ثلاثة فهارس

د. منتصر أمين عبد الرحيم
أستاذ باحث
وزارة اللسانيات المساعد –
جامعة الطايف سابقا

توطئة

يقوم بناء أي فهرس على رصد مصطلحات مجال معين، عند مرحلة معينة، ضمن عمل يمثل ذلك المجال، وذلك بهدف استقصاء لغته الواصفة، والأصل في هذا أن يمكننا الفهرس من فهم أعمق للمفاهيم المعتمدة في هذا العمل، يمكن أن يوظف في تحليله تحليلا وافيا، إذ يعمل الفهرس على جرد مصطلحات هذه المفاهيم، وتتبع صورها، ومواضعها، وسياقاتها، ثم ترتيب هذه المصطلحات ترتيبا معينا يراعي حاجات مستعمليه. وفي حال توافرنا على عدد كافٍ من فهارس هذا المجال يمكن أن نتبين آثار هذه الألفاظ والمصطلحات في مرحلة تالية تعد تطورا عن المرحلة السابقة أو تطويرا لها.

ويعد وضع الفهرس على هذه الأوصاف والشروط عملا مضنيا يحتاج إلى فرق بحثية تشرف عليها هيئات ومؤسسات علمية مختصة؛ ومن ثم يتم التخلي عن بعض هذه الشروط ويُكتفى منها بما يتفق وغايات كل باحث من وراء تسجيل تلك المصطلحات أو بعضها، لا سيما إذا كان عمل الواضع يشكل جزءا من بحث أو دراسة تتعلق بهذه المصطلحات. وفي بعض الحالات يمكن أن يكون همّ الواضع هو التنبيه على أهمية بناء فهرس لعمل معين إذا كان يشكل علامة مميزة ضمن هذا المجال أو ذاك. إن مثل هذه الحالات رغم عدم الالتزام

بالشروط والأوصاف يمكن أن تشكل أساسا مهما وتنبيها حافزا لوضع الفهرس على صورته المأمولة. وفي هذه الورقة سأحاول تحليل ثلاثة أعمال قامت على جرد الرصيد المصطلحي الوارد في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي تتمثل في:

- **"الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب العين"** للمستشرق رافي طلمون الذي ورد ضمن كتابه:

R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. pp. 373-421. Brill.

- **"مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل"** للدكتور أحمد محمد قدور ضمن كتابه الصادر سنة 2001 بعنوان **"اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي"** عن دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، (ص51: 55). وقد قدمه الدكتور قدور سابقا ضمن كتابه **"أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين"** الصادر عن دار الفكر بدمشق في طبعتين الأولى سنة 1998، والثانية سنة 2003 (ص67: 81).

- **"كشاف الاصطلاحات اللغوية للخليل بن أحمد الفراهيدي"** للدكتور خالد اليعبودي الصادر سنة 2018 ضمن بحوث مجلة **"مصطلحيات"** العدد العاشر (ص69: 108).

1 – ملحوظات أولية:

بداية نلاحظ من خلال عناوين هذه الأعمال أن أولها معني بالمصطلحات النحوية الواردة في "العين"، والثاني بالمصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة هذا الكتاب. أما العمل الأخير فيروم تقديم جرد شامل لمجموع المصطلحات اللغوية الواردة في هذا الكتاب؛ إذ اشتمل على تلك المصطلحات موزعة على مباحثها (الصوتية، والصرفية، والنحوية) بالإضافة إلى مصطلحات فقه اللغة والمصطلحات البلاغية ومسرد بالأبنية الواردة في "العين" وانتهى بمصطلحات الأحكام المعيارية.

وقد يبدو العنوان الذي اختاره "طلمون" لفهرسه غير دقيق بالنسبة إلى ما تضمنه من مصطلحات صوتية وصرفية ونحوية، ولكن هذا العنوان يرتبط برؤية طلمون للعناصر أو المستويات التي يقوم عليها التحليل النحوي عند الخليل وهي: الصوت والصرف والنحو. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا الفهرس أتبعه طلمون بفهرس لعيوب اللغة[1] وآخر بالتعبيرات الدالة على الأحكام المتصلة بمدى انتشار لفظ أو تعبير معين، مثل الحكم بأنه: كثير، قليل، مطرد، ليس بمعروف[2]، ثم فهرس ثالث بالأحكام المعيارية المتعلقة بالصيغ اللغوية[3].

وإذا عدنا إلى **مسرد المصطلحات الصوتية في مقدمة العين** يمكن أن نقول إن هذا العمل محدود الفائدة؛ لأن اقتصاره على مصطلحات المقدمة وحدها لا يعكس بأي حال من الأحوال صورة شاملة لخصوصية المصطلحات الصوتية لدى "الخليل" حتى إذا التزم جميع المعايير المصطلحية والمعجمية، وإن كان من عذر في هذا فربما تكون إشارة محققي كتاب العين – الواردة تحت عنوان "منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة" – إلى أن "مقدمة "العين" مادة غزيرة في علم الأصوات العربي وعلم وظائف الأصوات، وهي بهذا تعدّ من أهم الوثائق في علم اللغة التاريخي؛ وذلك لتقدمها ولأن صاحبها مبتدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه"[4]، أو ربما ما ذكره الدكتور قدور نفسه في كتابه سابقا على هذا المسرد من النص على أن "المصطلحات الصوتية الواردة في (مقدمة) كتاب "العين" مصطلحات عربية المصدر لغة ومعرفة؛ لأنها تخلو من التأثر بأي علم أجنبي ترجم إلى العربية، وهي كذلك مصطلحات رائدة لا

(1) R. Talmon 1997: op. cit. p.422.

(2) R. Talmon 1997: op. cit. p.422-3.

(3) R. Talmon 1997: op. cit. p.424-6.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، 1/ 14.

نعرف لها أساسا متقدما، وهي مصطلحات حية أيضا إذا تداولها العلماء"[5]. إن هذه الأوصاف التي أحيطت بها مصطلحات (المقدمة) تصدق كذلك على مثيلاتها مما ورد في غير موضع من ذلك السّفر الكبير، وليت هذه الكلمات قد استثارت دافعا لعمل أشمل يأخذ بعين الاعتبار مكانة كتاب "العين" ودوره التأسيسي في علم الأصوات العربي، ولكن إذا قصد الدكتور "قدور" من وراء عمله هذا أن يكون نواة لأعمال لاحقة أكثر إحاطة فهذا مقبول غير أنه مردود على الأقل بظهور عمل طلمون الذي سبق هذا المسرد بحوالي خمس سنوات.

حين تفتش عن نسخة كتاب "العين" وطبعته التي اعتمدت عليها هذه الأعمال ستجد أن العملين الأول والثاني يعتمدان على النسخة التي حققها الأستاذان "مهدي المخزومي" و"إبراهيم السامرائي". أما العمل الثالث للدكتور "اليعبودي" فقد ذكر أنه اعتمد على نسخة إلكترونية من كتاب العين مدونة بمركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي 1999: "مكتبة المعاجم وغريب المصطلحات" بعمان الأردنية، ولكني أرجح من خلال المقارنة أنها لا تختلف عن الطبعة المحققة السابقة.

2 – البناء والترتيب

شغل الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب "العين" حوالي تسع وأربعين صفحة من كتاب طلمون (373– 421)، وقد رتبت مصطلحاته وفق جذورها المشتقة منها، بعد ذكر الجذر وسط السطر يأتي المصطلح أو عدد من المصطلحات المشتقة منه، كل منها على سطر منفرد متبوعا بمعانيه أو مشتقاته والدرس أو الدروس التي ينتمي إليها بين معقوفين، بعدها وعلى سطر ثالث يعدّد طلمون مواضع ورود المصطلحات ضمن مجلدات الكتاب؛ رقم المجلد بخط ثخين، ثم رقم الصفحة أعلاه عدد مرات ورود المصطلح بهذه الصفحة،

(5) د. أحمد محمد قدور 2001: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر)، الطبعة الأولى، ص 50.

وبعده شرطة حال ورود المصطلح ضمن صفحتين متتاليتين على الصورة: 3 45 2 – وبدون هذه الشرطة أو العدد أعلى رقم الصفحة لما يرد مرة واحدة في تلك الصفحة، وقد بدأ الفهرس بالمصطلح (أَخْذٌ) وانتهى بالمصطلح (موافق ومتفق).

أ د و

أداة [أقسام الكلام]

1 48 — (دارج)؛ 320 **3** 210 – ؛ 285؛ 309– ؛ 352– . **5** 414 . **7** 302 (دارج). **8** 135؛ 143– ؛ 375[6].

أما مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل فقد شغل نحو خمس صفحات (51– 55)، رتبت مصطلحاته ترتيبا ألفبائيا، بحيث يأتي المصطلح أولا متبوعا بموضعه من المقدمة، وقد بدأ المسرد بالمصطلح (أحرف) وانتهى بالمصطلح (يفتح فاه).

يتفق العمل الثالث **كشاف الاصطلاحات اللغوية** للدكتور "خالد اليعبودي" مع عمل الدكتور "قدور" في ترتيب المصطلحات ألفبائيا، ولكنه يختلف عنه في عدة من الأمور المهمة منها محاولته تغطية جميع المصطلحات الواردة في كتاب "العين"، وقيامه بتقسيم هذه المصطلحات على المباحث التي تنتمي إليها؛ فبدأ بالمصطلحات الصوتية (ص72– 79) ثم الصرفية (ص80– 85) ثم النحوية (ص86– 91) بعدها مصطلحات فقه اللغة (ص92– 93) فالمصطلحات البلاغية (ص94 — 95)، فكشاف أبنية كتاب "العين" (ص96– 105)، وأخيرا المصطلحات الدالة على الأحكام المعيارية (ص106– 108)، وهذا التقسيم لا تجده في العملين الآخرين، هذا بالإضافة إلى استعماله الهوامش

(6) see R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. p. 373. Brill.

استعمالا جيدا في شرح بعض المصطلحات أو تعريفها أو التمثيل لها، أو المقارنة بينها وبين بعض المصطلحات الأخرى الواردة في الكتاب، وفي القليل تتضمن الهوامش عبارات الخليل التي تتصل بالمصطلح وتوضح معناه. وقد بني هذا الكشاف على ثلاثة أعمدة؛ الأول يتضمن ترقيم كل مصطلح مما يجعلنا قادرين على إحصاء مصطلحات كل قسم من أقسامه، والثاني يمثل المصطلحات بترتيبها الألفبائي. أما الأخير فيتضمن مواضع المصطلحات، كل بجزئه وصفحاته.

3 – الفهرس الأبجدي لطلمون

إن مجرد النص على المواضع التي ورد فيها المصطلح على الطريقة التي جاءت في هذا الفهرس يشبه تلك الآلية التي اعتمدها "جيرار تربو Gérard Troupeau" في المعجم المفهرس لكتاب "سيبويه" Lexique-index du Kitab de Sibawayhi المنشور سنة 1976، وهي تحتاج من المستعمل الرجوع إلى المصدر الأصلي بغية تحصيل المفهوم الذي يسميه، وإذا قارنا هذه الطريقة بطريقة "نفتالي كينبرج Kinberg, N." في فهرسة مصطلحات كتاب معاني القرآن للفراء A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary الصادر سنة 1996 – أي قبل عام من صدور كتاب "طلمون" – نجد أن طريقة "كينبرج" – على ما عليها من ملحوظات الحشو والتكرار والتكديس وغيرها– تضع أمام المصطلح السياقات والنصوص التي ورد ضمنها، لتأكيد معانيه.

ربما يكون ترتيب المصطلحات النحوية الواردة في كتاب الخليل على هذه الطريقة أسلوبا يتبعه طلمون في رصد المصطلحات التراثية، بيد أني لم أحصل على نسخة من دراسته لكتاب "مقدمة في النحو" المنسوب إلى خلف الأحمر، الصادرة سنة 1990، حيث قام بدراسة الكتاب وفهرسة مصطلحاته، ومن المحتمل أيضا أن يكون الترتيب متعلقا برؤيته حول "اضطراب" المصطلح لدى الخليل وسيبويه بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي، أو بتفسيره لتلك العلاقة بين المعنيين الذي تستنتجه من قوله: "في اختلاف مفهوم المصطلح عن

معناه الاشتقاقي دلالة على التطور، قد يعلله البعض بأنه الثمرة الناضجة التي مضت عليها فترة طويلة من الزمان حتى استوت ... ويمكننا أن نفسر هذا الاختلاف في بعض المصطلحات على وجه آخر، دون أن نلجأ إلى الاستدلال بالتطور المستمر الطويل الأمد، بل نفترض استعارة المعنى الاصطلاحي عن حضارة أجنبية أو علم آخر من علوم الحضارة ذاتها"[7]، وهذا التفسير يتعلق برؤيته الثابتة حول طبيعة فترة تأسيس النحو العربي قبل الكتاب والعين.

ورغم ما يبدو عليه إحصاء تلك المصطلحات من الدقة في فهرس "طلمون" فإنه لا يخلو من الاعتماد على التسمية دون المفهوم، فعلى سبيل المثال ورد المصطلح (أداة) بحسب طلمون إحدى عشرة مرة، منها ما ورد في الجزء الأول ص320، وعند الرجوع إلى هذا الموضع تجد المصطلح ضمن قول الخليل: "والمسعط: الذي يجعل فيه الدواء، على مفعل، لأنه أداة"[8]، والفرق بين مفهومي التسميتين باد لا يحتاج مزيد إيضاح، كما هو قول الخليل: "والسّانية: اسم الغرب وأداته، والجمع السواني"[9]. فإذا كان "الخليل" يستعمل "المصطلح" بمعانيه الأصلية بحكم أن كتابه في أصل خصوصه "معجم" فقد كان على "طلمون" أن يستبعد هذه الاستعمالات التي لا تتفق مع ما ورد في بقية المواضع التي استقصاها، أو تلك التي قام بتحليلها في مواضع أخرى من الكتاب. ومن مثل هذا أيضا مصطلح (أسلة اللسان) إذ أشير إلى موضعه[10] بقول "الخليل": "والعذبة في البعير أسلته"[11].

إن مجالات بعض المصطلحات لدى "الخليل" أو جُلها متشعبة ومتعددة وبالتالي يحتاج حصر المصطلح ضمن مجال معين تدقيق النصوص واستقصاء

(7) رافي طلمون 1984: التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه – دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي، مجلة الكرمل أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس (ص37: 53)، ص44.

(8) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 320.

(9) السابق، 7/ 302.

(10) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(11) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 2/ 103.

السياقات التي ورد فيها، وقد أخطأ واضع الفهرس حينما قصر مصطلح (التأسيس) على الاشتقاق – وبالتالي على التصريف – وجعل من بين سياقاته[12] قول الخليل: "والرس في قوافي الشعر: صرف الحرف الذي بعد الألف للتأسيس نحو حركة عين فاعل في القافية"[13]، فالخليل جعل هذا الموضع خاصا بالعروض والقوافي، وبالتالي فـ"ألف التأسيس" بكل خاصياته مصطلح عروضي، وهذا ما قد أشار إليه طلمون نفسه في موضع سابق من كتابه[14].

وفي بعض الأحيان يضع "طلمون" المصطلح موضعا من الكتاب لا تجد فيه هذا المصطلح بالمعنى الذي جُعل له، ومن ذلك مصطلح (التأويل)، وقد جعله مخصوصا بالاشتقاق في موضعين: أولهما تجده في قول الخليل: "وكان الحسن يقرأ (إلا من خطّف الخَطْفَة) على تأويل: اختطف اختطافة، جعل المصدر على بناء خَطِفَ يخطَفُ خَطفَة كما تقول من الاختطاف اختطافة"[15]، والثاني قول الخليل: "والتأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[16] – وهو فيه بغير ما خصه من الاشتقاق.

ولا شك في أن ما ألمحتُ إليه قد نراه يتكرر في مواطن أخرى من فهرس طلمون، ويبقى أن أشير إلى أن النظام المتبع في هذا الفهرس؛ أي ترتيب المصطلحات ترتيبا جذريا – وإن كان يناسب فخامة كتاب العين– فإنه يصعب على طالب المصطلح مقارنة بالنظام الألفبائي المتبع في مسرد الدكتور قدور وكشاف الدكتور اليعبودي، لأنه قد لا يفصل بين المعاني المختلفة للمصطلح الواحد، ويخلط بينها.

وإن كان من كلمة تقال في حق عمل طلمون فهي أنه جمع عددا لا بأس به من المصطلحات المهمة التي لا تجدها في عملي الدكتور قدور والدكتور

(12) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(13) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 7/ 190.

(14) R. Talmon 1997: op. cit. p.117.

(15) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 4/ 221.

(16) السابق، 8/ 369.

اليعبودي، ورغبة في بيان سياقات هذه المصطلحات سأضع أمام كل مصطلح النص الذي ورد ضمنه، ممثلا لبعض هذه المصطلحات التي تفرد بإحصائها بما يلي:

أخذ [بمعنى الاشتقاق]

- والخيل جماعة الفرس، لم **تُؤخَذ** من واحد مثل النبل والإبل[17].
- وقالوا الصلخدم **أُخِذَ** من الصلخم. الدال زائدة أم الميم[18].
- ويقال: الكلابَ على البقر، نصب، **مَأخُوذ** من صيدهم البقر الوحشية بالكلاب[19].

أخَّر [خلاف: قدّم؛ صرفي]

- والأصل مألك فقدموا اللام وأخروا الهمزة فقالوا ملأك[20].

أختان [تصنيف الحركات؛ صوتي]

- ولكن لما صارت الكسرة والضمة أختين واشتركتا في مواضع كثيرة دخلت الكسرة مدخل الضمة[21].

أداة [أقسام الكلام]

- فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر[22].
- حيث، الثاء مضمومة، وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده[23].

---

(17) السابق، 4/ 306.
(18) السابق، 4/ 330.
(19) السابق، 5/ 361.
(20) السابق، 5/ 380.
(21) السابق، 7/ 214.
(22) السابق، 1/ 48.
(23) السابق، 1/ 285.

– وكل حرف أداة إذا جعلت فيه ألفا و لاما صار اسما، فقوي و ثقل[24].

تأسيس [أصل –؛ بناء؛ في الاشتقاق]

– القحو **تأسيس** الأقحوان[25].

– والاسم أصل تأسيسه: السمو[26].

– وتفسير الأم في كل معانيها: أمة لأن تأسيسه من حرفين صحيحين[27].

دغمة [صوتي؛ صرفي]

– **والدغمة** اسم من إدغامك حرفا في حرف[28].

4 – مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل

كان الدكتور قدور قد ذكر أن مقدمة كتاب العين تضم بحسب إحصائه "نحوا من مئة وسبعين مصطلحا أو عبارة اصطلاحية، في مجال علم الأصوات بفروعه المختلفة، وفق التصنيف الحديث كما سيتضح لاحقا"[29]. والحقيقة أن الفهرس المقدم جمع على وجه التحديد مائة وأربعة وستين لفظا فقط من ألفاظ المصطلحات الصوتية، وأقول لفظا؛ لأن تكرار موضع المصطلح لا يعني بالضرورة أننا أمام مفهوم جديد مختلف، فالمرصود بالنسبة إلى الشفتين على سبيل المثال هو "الشفة، والشفتان" ومنه أوصاف مثل: "شفهية، وشفوية، وثلاثة شفوية، والحروف الشفوية"، وكذلك بالنسبة إلى "أحياز" و"حيز" و"حيز واحد" إنما هي تنويعات لمفاهيم مترادفة أو تسميات لمفهوم واحد، وهنا ربما يكون النظام المتبع لدى طلمون – من منظور مصطلحي – أفضل من النظام

(24) السابق، 3/ 352.

(25) السابق، 3/ 255.

(26) السابق، 7/ 318.

(27) السابق، 8/ 433.

(28) السابق، 4/ 395.

(29) د. أحمد محمد قدور 2001: مرجع سابق، ص42، 43.

الألفبائي، ولكن طالما أننا في سياق فهرسة تضع كل لفظ موضعه فلا بأس بما ورد.

أما بالنسبة إلى الإيضاح الذي وعد به الدكتور "قدور" المتعلق بإمكان توزيع هذه المصطلحات على فروع علم الأصوات وفق التصنيف الحديث فلم أجد عليه أي دلائل أو إشارات واضحة تؤكد عبارتُه كما سيتضح لاحقا، ولعل ما ذكره الدكتور قدور من أن المقدمة قد ضمّت "مبادئ علم الأصوات النطقي كالحديث عن جهاز النطق وأعضائه، وتحديد المنظومة الصوتية، والانتباه إلى مبدأ اللغة الصوتي، وتقسيم الأصوات إلى صوامت وصوائت، كما ضمت مبادئ علم الأصوات التشكيلي كائتلاف الحروف، والصفات التركيبية، وصوغ الكلمات حكاية للأصوات الطبيعية"[30] لا يقوى عمليا على أن يكون بنفسه دليلا، لا سيما إذا أمعنا النظر في المسرد الذي صنعه لمصطلحات تلك المقدمة، وأرجح أن السبب في هذا يكمن في أن مصطلحات مقدمة "العين" لا تكفي وحدها للوفاء بهذا التوزيع، والدليل على ذلك يمكن تمثيله بما قدمه الدكتور "عمرو محمد فرج مدكور" في دراسته الموسومة بـ **"المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد"** إذ كان معنيا بمثل هذا التوزيع؛ فقسم المصطلحات الواردة في كتاب "العين" على ثلاث أقسام رئيسة، هي "المصطلحات العامة"، و"مصطلحات علم الأصوات النطقي" بما فيه من "مصطلحات المخرج"، و"مصطلحات أعضاء النطق"، و"مصطلحات الصفات"، وتناول في القسم الأخير "مصطلحات علم الأصوات الوظيفي"، وسواء في هذه الحال إن حاولنا توزيع المصطلحات الواردة في مسرد الدكتور "قدور" على هذه الأقسام، أو قارنا مصطلحات هذا المسرد بمثيلاتها مما ورد في دراسة الدكتور "مدكور"[31]، فالنتيجة أن مصطلحات المقدمة وحدها لن تستوفي هذا التوزيع على طريقته

(30) السابق، ص43.

(31) انظر ملحق المصطلحات ضمن دراسة د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب) ص79: 81.

المثلى، حتى إذا كان جميع ما أثبته الدكتور قدور يدور في فلك علم الأصوات، ولكن الحقيقة غير هذا.

أثبت الدكتور قدور ضمن مسرده بعض المصطلحات التي لا تنتمي إلى علم الأصوات، ولم يكن سياقها ضمن المقدمة هو الحديث عن الأصوات أو ما يتعلق بها، فعلى سبيل المثال أثبت الدكتور قدور تعبير **(فصارت الياء)** ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته طلمون أو الدكتور اليعبودي، ربما لأنه لا تشتم منه رائحة المصطلح، وقد ورد في كتاب العين في قوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت، **فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"**[32]، وهذا المصطلح ضمن نصه وسياقه لا علاقة له بعلم الأصوات، فالمفهوم منه هو خروج الياء والواو والألف عن الحروف الصحيحة لتكون ضمن "حروف العلل"، كما اصطلح عليها الخليل في كتابه. وهذا يأخذنا إلى الحديث عن المصطلح التالي.

مصطلح **(معتل)**: حصر د. قدور وُرود هذا المصطلح في موضع واحد في الصفحة 55، وقد ورد في مواضع أخرى ضمن المقدمة سابقة على هذا الموضع ولاحقة به؛ إذ ورد بحسب طلمون في الصفحات 47، 50، 54، 59. وقد أحصيت له المواضع التالية (47، 55، 56، 57، 59 [حروف العلل]، 60)، والملاحظ أن طلمون لم ينسب هذا المصطلح إلى علم الأصوات، وجعله مصطلحا صرفيا؛ فقد ورد في سياق الحديث عن الألفبائية العربية والطريقة التي انتهجها الخليل في ترتيب حروف معجمه، وذلك في قوله "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدأ التأليف من أول ا، ب، ت، ث وهو الألف، لأن الألف **حرف معتل"**[33]، وورد أيضا في قوله: "والعرب **تشتق** في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ومن **الثلاثي المعتل"**[34]، وجاء

(32) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 52.

(33) السابق، 1/ 47.

(34) السابق، 1/ 56.

في تفسير الثلاثي الصحيح "أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف [لينة ولا همزة] في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف علل"[35]، وجميع هذه السياقات تدل على أن الوصف "معتل" إنما هو للصوت والبناء على السواء، وبالتالي يمكن نسبته إلى علمي الأصوات والصرف.

وقد حصر الدكتور مدكور معنى هذا المصطلح – معتمدا على شاهدين اثنين – في مفهوم الأصوات (ا، و، ي) مقابل الأصوات الصحيحة[36]. إذ جعل المصطلح (معتل) مرتبطا في معناه بالمصطلح (حروف علل أو حرف معتل)، لكننا في سياق بناء فهرس علينا أن نفصل بين "حرف معتل" وبناء "معتل"، وربما يجب علينا أيضا أن ننتبه إلى أن هذا الفهرس في حال كحالة كتاب العين فهرس من منظور تاريخي؛ بمعنى أننا لا نحتاج في تسجيل ألفاظه إلى إسقاطات خاصة بتطور مفهوم المصطلح وصورته الحالية على صورته ومعناه الأول.

كما أثبت الدكتور قدور مصطلح **"المضاعف"** ضمن المصطلحات الصوتية، وذكر له ثلاثة مواضع من المقدمة (55، 56، 57)، ولم يثبته الدكتور اليعبودي، إنما أثبت مصطلح "التضاعف" ضمن مصطلحات المقدمة 56/1. أما طلمون فلم يثبت هذا المصطلح في الأجزاء الأولى من الكتاب وسجله في الجزء الثالث والرابع والخامس؛ أي بعيدا عن المقدمة، ولكنه أحسن تصنيفه إذ جعله واقعا في إطار علم الصرف، والدليل على ذلك – ويحسن هنا أيضا أن نعود إلى سياقات المصطلح – قوله:

– وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة[37].

– والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها ما كان **حرفا عجزه مثل حرفي صدره**[38].

(35) السابق، 1/ 59.

(36) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص66.

(37) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 55.

(38) السابق، 1/ 55.

- ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من **تأليف الحروف**، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل "ضك" كان تأليفا لم يحسن في أبنية **الأسماء والأفعال** إلا مفصولا بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر [39].

- **وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج ..** [40].

- والعرب **تشتق** في كثير من كلامها **أبنية المضاعف** من **بناء الثلاثي المثقل** بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل[41].

وجميع هذه السياقات تفصح بوضوح عن أن مصطلح "المضاعف" خاص بالأبنية لا الأصوات.

ومن الأمور اللافتة أن الدكتور عمرو مدكور ذكر هذا المصطلح ضمن المصطلحات الصوتية وقد علّق عليه قائلا: "استخدم الخليل المصطلح بمفهوم **الكلمة التي تكرر فيها صوتان مثل صلصلة**، والأمثلة التي ساقها الخليل هي **وزن فعلل المضاعف** (زلزل) ومصدره بإزاء مصطلح (**مُضعّف**) الذي يعني تشديد الحرف مثل (صلّ)"[42]، وكان الدكتور مدكور قد ذكر في موضع سابق أن "الخليل يفرق بين (**التضعيف**) مثل (صلّ) و(**المضاعف**) مثل (صلصلة)" [43]، ولاحظ هنا أيضا أن مصطلح (مُضعّف) غير (التضعيف)، فلم يرد عن الخليل مصطلح "المضعف" إنما ورد "التضعيف" مركبا بالإضافة في قوله: "والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي **المثقل بحرفي التضعيف**، ومن الثلاثي المعتل"[44].

---

(39) السابق، 1/ 56.

(40) السابق، 1/ 57.

(41) السابق، 1/ 56.

(42) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص71.

(43) السابق ص59.

(44) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 1/ 56.

ولاحظ في السياق الأخير مصطلح (**المثقل**) الذي ورد وصفا لبناء الثلاثي، إذ جعله الدكتور قدور أيضا ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته الدكتور اليعبودي لا في المصطلحات الصوتية ولا في الصرفية، وأثبت منه (**ثقل**) ضمن المصطلحات الصوتية بينما أثبت طلمون "ثقل واستثقل [صوتي]، وثقل [خلاف خفف في شكل الحروف]" ضمن عشرة مواضع من الكتاب لم أحص منها غير تسعة فقط، وكان طلمون قد أثبته في مواضع أخرى غير المقدمة، وأرجح أن هذا المصطلح ينتمي إلى أكثر من مجال واحد؛ فهو صوتي، وصرفي، وحكم من الأحكام المعيارية؛ كما يتضح من سياقاته التالية إذ ورد عن الخليل:

- الدعابة من المزاح والمضاحكة ... تقول يدعب دعبا إذا قال قولا يستملح. قال:

واستطربتْ ظُعنُهُم لمّا احزألّ بهم *** مع الضحى ناشطٌ من داعبات ددِ.

رواه الخليل بالباء ... ويروى: داعب ددد، يجعله نعتا للداعب ويكسعه بدال ثالثة ليتم النعت ... **فإذا اشتقوا منه فعلا** أدخلوا بين الدالين همزة **لتستمر طريقة الفعل، ولئلا تثقل الدالات إذا اجتمعن** .... وإنما حكى جرسا يشبه ببب **فلم يستقم في التصريف** إلا كذلك"[45].

- في تعريف اللفيف قال الخليل: أن تلف الحرف بالحرف أي تدغم، لأن العي أصله العوي، **فاستثقلوا** إظهار الواو مع الياء المتحركة فحولوها ياء وأدغموها فيها[46].

- الحُزْن والحَزَن لغتان إذا **ثقلوا فتحوا** وإذا ضمُوا خففوا يقال: أصابه حَزَن شديد وحُزْن شديد، ويقال حَزَنني الأمر [يَحزُنُني فأنا محزون] وأحزنني [فأنا مُحزَن وهو مُحزِن]، لغتان أيضا، ولا يقال: حازن[47].

(45) السابق، 2/ 51.

(46) السابق، 2/ 270.

(47) السابق، 3/ 160.

- وكل حرف أداة جعلت فيه ألفا ولاما صار اسما فقُوِّى **وثُقِّل**. وإذا جاءت الحروف اللينة في كلمة، مثل لو وأشباهها **ثُقِّلت**، لأن الحرف اللين خوار أجوف لابد له من حشو يقوى به إذا جعل اسما[48].
- وصارت الواو في يخاف ألفا لأنه على بناء عمِل يعمَل فألقوا الواو **استثقالا**[49].
- وحد تأليف الخاء مع الهمزة : (الأخ) وكان أصل تأليف بنائه على بناء فَعَلٌ بثلاث حركات، وكذلك (الأب) **فاستثقلوا** ذلك[50].
- وقرئ (ظِلتَ عليه، فمن فتح فالأصل فيه ظللت عليه، ولكن اللام حذفت **لثقل** التضعيف والكسر[51].
- العرب **تستثقل** التقاء همزتين في كلمة واحدة[52].
- لا يقال اؤمر ... إنما يقال: مر في الابتداء بالأمر، استثقالا للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأمر[53].

ومعنى ما سبق أن مسرد الدكتور قدور يعاني من مشكلات في إحصاء المصطلحات، ومن تسجيل تعبيرات لا علاقة لها بمجال الأصوات مثل: "يفتح فاه [بالألف]" و"ذاقها [أي الحروف]".

5 - كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

إذا كان محور اهتمام الدكتور قدور في مسرده هو المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة العين، باشتمالها حسب تقييمه على أغلب المصطلحات الصوتية

(48) السابق، 3/ 352.

(49) السابق، 4/ 312.

(50) السابق، 4/ 319.

(51) السابق، 8/ 149.

(52) السابق، 8/ 202.

(53) السابق، 8/ 297.

التأسيسية، فإن هدف هذا الكشاف يتمحور في جرد المصطلح اللغوي الخليلي على كافة المستويات، كما ذكرت سابقا؛ ولكن ما يلفت انتباهك أن الدكتور اليعبودي بدأه بالنص على أنه "سيجمع بين **المصطلحات النحوية ومسميات اللغة الواصفة لها**، نظرا لتزامن تأليف كتاب العين مع المراحل الأولى من نشأة النحو العربي التي تميزت بتأرجح المفهوم النحوي بين عدة تسميات،"(54) فيخيل إليك أنه مقتصر على هذا الصنف من المصطلحات دون غيره مثلما فعل "طلمون"، وربما يكون السبب وراء هذا متعلقا بقضية استقصائية شغلت صاحبه، هي العلاقة بين المصطلح الخليلي وتطوره في ثنايا كتاب سيبويه، فعاد في تقديمه إلى القول مرة ثانية بأن جرد هذه المصطلحات "حجة على مدى تطور علم النحو ومصطلحاته خلال عصر الخليل ... خصوصا إذا علمنا أن تدوينه تم قبل تصنيف كتاب سيبويه، مما يجعل أثر الخليل شاهدا على طبيعة المصطلح اللغوي في مرحلة من مراحل العربية اتسمت بضياع مجمع تصانيف النحو واللغة"(55)، وهذا كلام مقبول أضيف إليه كلام الدكتور حسن حمزة من أن "وجود مصطلح ما في التراث النحوي العربي عند متقدمي النحاة ومتأخريهم لا يعني بالضرورة أن المفهوم الذي جاء هذا المصطلح تعبيرا عنه واحد عندهم"(56) وقوله: إن "ملاحقة تطور مصطلحات النحو العربي وغيرها من مصطلحات هذا التراث لا تكون برصد المصطلحات التي ماتت والمصطلحات التي ولدت فحسب، بل تكون برصد أثر هذا الموت وتلك الولادة على المصطلحات الباقية التي تبدو في ظاهرها كأنها ثابتة لا تغيير فيها"(57).

ومما يميز الكشاف الذي وضعه الدكتور اليعبودي اشتماله على العدد الأكبر من مصطلحات الخليل المرصودة، فقد جمع حوالي 568 مصطلحا إذا

(54) د. مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69.

(55) السابق، ص70.

(56) د. حسن حمزة 2006: في تطور المصطلح النحوي العربي، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب) ص29.

(57) السابق، ص 28، 29.

استثنينا عدد المصطلحات الخاصة بالأبنية (185)، كما قام الدكتور اليعبودي بتوزيع هذه المصطلحات وتصنيفها ضمن المباحث الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية (الدلالية) ومصطلحات فقه اللغة والأحكام المعيارية، مرتبا إياها ترتيبا أبجديا.

على أية حال يبدو أن استقصاء جميع مواضع المصطلحات لم يكن من بين اهتمامات الدكتور اليعبودي، ذلك أنك تجد العمود الثالث من كشافه الخاص بالتوثيق يكتفي فقط بتسجيل موضع أو اثنين على الأكثر، وذلك بالنسبة إلى جميع المصطلحات؛ وتلاحظ أيضا أن بعض المصطلحات سجلت ضمن مواضع متأخرة من الكتاب، والأصل أنها وردت في مواضع متقدمة، فمصطلح "حيز" على سبيل المثال تم تسجيله مرة واحدة ضمن الصفحة 421 من المجلد الثامن رغم أنه ورد في المجلد الأول، وضمن مقدمة الكتاب في عدة من المواضع؛ وهناك أيضا تسجيل لمواضع لم ترد فيها المصطلحات، فالمصطلح "قياس" مثلا لم يرد في المجلد الأول ص 133.

من جهة أخرى قد يختصر الكشاف ألفاظ المصطلحات في مصطلح وحيد هو الأشهر والمألوف، ولا يوزع ألفاظه على مواضعها، ومثال هذا مصطلح "التخفيف" رقم 35 في المصطلحات الصوتية؛ إذ وردت ألفاظ هذا المصطلح على الصيغ (خفَّفَ، خُفِّف، مُخفَّف، تخفيف)[58]، وورد أيضا بلفظ "يُخفَّف"[59]. وكان من قبل قد أثبت الكشاف مصطلح "ألين" رقم 22، و"حرف ليّن" رقم 59، و"لينها" رقم 136، ولم يختصرها في مصطلح وحيد، ومن هنا فإن عدم التزام نسق واحد في تسجيل المصطلحات قد يؤدي إلى ضياع كثير منها.

ومما يضاف إلى ميزات عمل الدكتور اليعبودي أنه حاول بالفعل الفصل بين مصطلحات أقسام كشافه؛ فمصطلح "القياس" ورد ضمن المصطلحات الصرفية مشارا إلى موضعه بـ 55/1، وضمن المصطلحات النحوية بالموضع

(58) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 6/ 296.

(59) السابق، 4/ 245.

143/1 من الكتاب، وهذا معناه أن العمل قام على محاولة الميز بين مفاهيم المصطلح الواحد اعتمادا على سياقاته، فالصرفي منهما ورد في قول الخليل: "ولو كان الهعخع من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب"[60] وورد الثاني في قوله: "القواعد: أساس البيت، الواحدة (قاعد) وقياسه (قاعدة) بالهاء"[61]، وإن كان الموضع الأخير قد يتردد بين النحو والصرف.

خاتمة

الحقيقة أن هذه الأعمال الثلاث كانت أمام عمل كبير – ككتاب العين – يحتاج تسجيل جميع مصطلحاته وسرد سياقاتها والتمييز بين مفاهيمها إلى تضافر جهود مؤسساتية؛ إذ لا يقوى عليه فرد أو اثنان، وبالتالي تمثل هذه الأعمال نواة لا بأس بها لعمل أكبر وأشمل لابد أن يستعان عليه ويتوسل إليه بما تقدمه التقانة الحديثة من سبل حوسبية وأدوات برنامجية، ولا أحسب هذه الورقة إلا مجرد تنبيه على أهمية مثل ذلك العمل الذي ربما يقوم على أساسه –ليس فقط بناء معجم تاريخي للمصطلحات اللغوية– بل عدد غير قليل من البحوث والدراسات المصطلحية، ليفتح آفاقا جديدة في قراءة التراث اللغوي العربي وتحليل مصادره بشكل دقيق.

(60) السابق، 1/ 55.

(61) السابق، 1/ 143.

المصادر والمراجع

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال: سلسلة المعاجم والفهارس) بدون طبعة أو تاريخ.

د. أحمد محمد قدور 2001:

اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر) الطبعة الأولى.

– – – – – 2003 [1998]:

أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، (دمشق: دار الفكر) الطبعة الثانية.

د. حسن حمزة 2006:

في تطور المصطلح النحوي العربي، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب)، ص16: 36.

د. خالد اليعبودي 2018:

كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي، مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69: 108.

رافي طلمون 1984:

التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه – دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي، مجلة الكرمل: أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس، ص37: 53.

د. عمرو محمد فرج مدكور 2011:

المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب)، ص9: 85.

Gérard Troupeau 1976:

Lexique-index du Kitab de Sibawayhi. Paris: Editions Klincksieck.

Naphtali Kinberg 1996:

A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary. E. J. Brill.

Rafael Talmon 1997:

Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. Brill.

الأسس اللسانية لترتيب مشتقات المدخل المعجمي والمعايير الفنية لتكرار المدخل الفرعي في القواميس العربية المعاصرة

د. عبد الرحمن اخيارهم
أستاذ اللسانيات بالمعهد العالي المهني للغات وللترجمة والترجمة الفورية بانواذيب- موريتانيا

مقدمة

تَشتملُ القَواميس اللغوِيَّة على مادة لُغوية واسعةٍ يَقْصدها الْقارئُ بُغيةَ التَّعرُّفِ على معنى الكلماتِ الصَّعبةِ التي يَستَعْصِي عَليْهِ فَهمُهَا عند قِراءاتِه أو اسْتماعه لخطاب معيَّنٍ. ومن المؤكدِ أنَّ وتدوين المادة اللغوية في هذه القواميس لا يَتمُّ بصفة عشوَائية، بل يكون على أُسس ومقاييس معروفة، تسمى ب "التَّرتيب" وينقسم هذا الترتيب إلى نَوْعين؛ أولها: ترتيب المداخل الرَّئيسة، يعنى هذا النوع بترتيب المداخل على شكل أفقي، ويسمى البنية الكبرى، والآخر، ترتيب المداخل الفرعية، يُعنَى هذا النوع بترتيب مُشتقات المدخل الرئيس في شكل عَمُود داخلَ القَاموس، ويسمى البنية الصغرى.

ويَجِدُ الباحثُ في مجال المُعجميَّة العربية أنَّ القدَماءَ لم يهتموا كثيرًا بالنوع الأخير (ترتيب المداخل الفرعية) بل انصبت جهودهم على النوع الأول فقط (ترتيب المداخل الرئيسة) في حين اهتم المحدثون بضبط ترتيب المداخل الرئيسة والفَرْعيَّة على حدٍّ السَّواء، حيث قامَ المجمع اللُّغوي بالقاهرة بوَضع مَنْهجٍ خاص يضبط المداخل الفرعيَّة، حاول المجمع تطبيقه في قاموسه "المعجم الوسيط" (1961) وقدْ لَقيَّ هذا المنهج رَواجًا وقَبولًا من قبل مُؤلِّفِي القواميس الحديثة.

وقد سعينا في هذا البحث إلى إبرار أهم الأسس اللسانية التي قامت عليها القواميس العربية المعاصرة في ترتيب المداخل الفرعية، من خلال إشكالات عدة تتعلق بالموضوع، يمكن أن نجملها في الأسئلة الآتية:

كيف يم ترتيب معاني مدخل المشترك اللفظي، هل تُدمج في مدخل واحد، أمْ يتمُّ وضع كل معنى في مدخل مستقل (تكرار المداخل)؟ وما هي المقاربات الدلالية التي يعتمد عليها القاموسي في إفراد المدخل الفرعي أو تكراره؟

وقد أملت علينا طبيعة الموضوع وأهدافه، إلى استخدام المنهج الوصفي المبني على الاستقراء والاستنباط، ونظرا لذلك قسمنا البحث إلى محورين أساسيين: خصصنا المحور الأول للحديث عن المعايير أو الأسس التي اعتمدت في ترتيب الألفاظ والمعاني، وخصصنا المحور الثاني لإبراز المعايير التي اعتمدت في تكرار المداخل الفرعية بالنسبة للمشترك اللفظي.

1. الأسس اللسانية لترتيب مشتقات المدخل المعجمي

تقوم القواميس العربية في مجملها على مدخلين أساسين؛ يسمى أحدها المدخل الرئيس، يقتصر على المادة الأصلية، على سبيل المثال مادة (ض ــ رــ ب). ويسمى الثاني المدخل الفرعي، وهو مجموع المشتقات التي تفرعت من المدخل الرئيس، مثل: الضرْب والمِضْرب والتضارب والمضروب والضريبة... إلخ، من (ض ر ب) وقد وردت هذه المشتقات في المعاجم العربية القديمة على غير نسق محدد يمكنه أن يوفر على القارئ الوقت للبحث عن كلمة (مشتقة)؛ مما قد يضطر القارئ إلى قراءة مادة بأكملها حتى يصل إلى مبتغَاه. ونلاحظ أن بعض المواد في القواميس القديمة يصل إلى أكثر من صفحتين. فرأى أصحاب القواميس المعاصرة، ضرورة تدارك ذلك النقص، من خلال وضعها في نسق معين، يمكن أن يوفّر وقتًا على القارئ، وقد بدأت التجربة الجديدة مع "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر (1961) وقد لقيت هذه التجربة

استحسانا لدى مؤلفو القواميس العربية المعاصرة. وقد قامت في ترتيب المداخل الفرعية على أساسيين، أساس يراعي اللفظ، وآخر يراعي المعنى.

1.1 مراعاة اللفظ

يقوم تَرتِيب المداخل الفرعيَّة في القواميس العربية المعاصرة نظرا لمُراعاة جانب اللَّفظ، حسب مجموعة من المعايير، تتمثل في الآتي:

- تقديم الأفعال على الأسماء.

- تقديم الفعل المجرّد على المزيد، يُدرج الفعل الثلاثي المجرد، حسب فَعَل، فَعِل، فَعُل، ويدرج المزيد بحرف، حسب أَفْعَل، فَاعل، فَعَّل، ويُدرجُ المزيدُ بحَرفين، حسب، افْتَعَل، انْفَعَل، تَفَاعَل، تَفَعَّل، افْعَلَّ، ويدْرجُ المزِيدُ بثَلاثة أَحْرُف، حسب اسْتَفعَل، افْعَوْعَل، افْعَالَّ.

وعلى ضوء ما سَبقَ رُتِّبتْ الأفعال في مادة (ب ش ر) في المعجم الوسيط على النحو الآتي: بَدأت المادة بفعْل ثُلاثي مجرد مفتوح العيْن (بَشَرَ/ فَعَل) ثمَّ تلاهُ مكسور العَيْن (بَشِرَ/ فَعِل) ثم تلاه مضموم العين (بَشُر/ فعُل) ثمَّ المزيد بحرف واحد (أَبْشَرت/ أفعلت) فالمزيد بحرف كذلك مبني للمجهول (أُبْشِر/ أُفْعِل) لكن نلاحظُ وجود اضطراب المنهج في هذه المادة، حيث شرعت اللَّجنة في الفعل الثّلاثي المتعدِّي قبل الانتهاء من مشتقات الفعل اللازم من المادة، فَجاءتْ بفعل ثلاثي متعدٍّ (بَاشرَ/ فاعل، باشَرَ زيد زوجته) ثم جاءت بعد ذلك بفعل لازم (بشَّرت/ فَعَّلت، بشَّرت الناقة: بدا نتاجها) ثمَّ رجعت إلى المتعدِّي (ابْتَشَر/ افتَعل، ابْتَشَرَ الشيْءَ: قَشَّره).

- تقديم الفِعْل اللَّازم على الفِعْلِ المُتعدِّي، ففي باب أَتَى مَثَلًا يُوردون أَتَى بمعنى جاء قبلَ أَتَى القومَ، أي: انتَسب إليهم؛ لأنَّ الأول فعْلٌ لازمٌ والثاني فعْلٌ متعدٍّ.

- ترتب الأسْماء تَرتيباً ألفبائيا، وعلى ضوء ذلك جاء ترتيب الأسماء في مادة (أ ب د) من المعجم الوسيط على النحو الآتي: 1 الآبدة 2 الأبد 3 أبدا 4

الأبدي 5 الأبدية 6 المؤبد. وترتيب الأسماء مادة (أ ب ي) من القاموس نفسه على النحو التالي: 1 الإباء 2 الأبية 3 المأباة[1].

2.1 مراعاة المعنى

لا يُمكن أن يكون للمعنى أهمية في ترتيب المداخل الفرعية؛ إلاَّ في حالة إذا كانت الكلمة المدخل متعدِّدة المعاني (أي: المشترك اللفظي) مثل: كلمة (العين) التي تدل على معان عدة: (الحاسة والجاسوس وسيد القوم ومنبع الماء...إلخ) فَنجدُ أنَّ القواميس العربية المعاصرة، تَسْتخدم ثلاثة طرق أساسية لترتيب معاني المشترك اللفظي، وفق المناهج الثلاثة الآتية:

1.2.1. الترتيب المنطقي

الترتيب المنطقي الذي بموجبه ترتَّب معاني مشتقات المادة اللغوية داخل القاموس من خلال تقديم المعنى الحسِّيّ على المعنى العقلِي، والمعنى الحقيقِي على المعنى المجازيّ[2]. وقد تبنّتْ لجنة تأليف المعجم الوسيط، هذا النوع من الترتيب، حيث ذكرت في المقدمة بأنَّها: "تقدم المْعنَى الحِسِّي على المعنَى العقلي، والحقيقي على المجازي"[3].

وعلى ضوء ذلك جاء ترتيب معاني مدخل (العيْن) على النَّحو الآتي:

- عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان
- ينبوع الماء ينبع من الأرض...
- أهل البلد
- أهل الدار

(1) ينظر مقدمات القواميس الحديثة: المعجم الوسيط، صص 28-29. المعجم العربي الأساسي، ص 59. ومعجم اللغة العربية المعاصرة، ص 23.

(2) علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص 35.

(3) المرجع نفسه، المقدمة ص 29.

- الجاسوس
- رئيس الجيش
- طليعة الجيش
- كبير القوم
- شريفهم
- ذات الشيء ونفسه يقال هو عينا أو بعينه وجاء محمد عينه
- ما ضُرب نقدا من الدنانير يقال اشتريت بالعين لا بالدين (ج) أعيان
- الحاضر من كل شيء، يُقال بِعْته عينًا بِعينٍ: حاضرًا بحاضرٍ...
- النَّفيس من كلِّ شيء، يُقال هذه الْقصيدةُ من عيون الشعر
- واحد الأعيان للإخوة الأشقاء، ويُقال هو عبدٌ عين، وصديق عين يُخدم ويصادق ما دمت تراه بعينك فإذا غبت فلا [...] ويقين ويقال نعم الله بك عينا أقرّ بك عين من تحبه أو أقرّ عينك بمن تحبه ولقيته أول عين[4].

ونلاحظ -هنا- أنَّ المعجم الوسيط قَدَّم المَعاني الحسيَّة (حاسة البصر - أهل الدار- الجاسوس - طليعة الجيش...) على المعاني الْعقليَّة (كبير القوم وشريف القوم والنفيس من كل شيء والجودة في القصائد) كما قَدَّمَ المعاني الْحَقيقيَّة (الحاسة - أهل الدار - الجاسوس...إلخ) على المعانِي المَجازية الموجودة في التعابير الأخيرة (عبد عين - صديق عين).

2.2.1 الترتيب حسب الشيوع

تُرتَّبُ بموجبه معاني مشتقات المادة اللغوية، طبقاً لشيوعها ابتداءً بالأكثر شيوعًا وانتهاءً بالأقلِّ شيوعًا. وقد اعتمدَ قاموس لاروس الفرنسي هذا

(4) المعجم الوسيط، ص 641.

الترتيب، كما صرح بذلك (Dubois) في التقديم قائلًا: "وقد التزمنا بالكشف بأكبر وضوح ممكن عن مختلف معاني الوحدة المعجمية المشروحة، ووضعنا أمام كلَّ تعريف رقما، ويعود اختيارنا لترتيب الدلالات وفق هذه الأرقام في الغالب حسب ترتيب منطقي يتجه من الشائع إلى النادر، ومن العام إلى الخاص"(5).

3.2.1 الترتيب التاريخي

الترتب الذي بموجبه ترتَّب معاني مشتقات المادة اللغوية، حسب تاريخ ظهورها في اللغة، وقد اعتمد هذا الترتيب قاموس (Le Petit Robert) وقاموس المصطلحات لمحمد رشاد الحمزاوي.

وقد استخدم المعجم العربي الأساسي الطرائق الثلاثة مُجْتمعَةً، كما يتَّضح من خلال الجدول رقم (1).

الجدول رقم (1) من المعجم العربي الأساسي

المدخل	الدلالة	نوع الترتيب	رقم الصفحة
أَبَى	أَبَى الشيء: كره ولم يرضَ به "أبيت اللعنة"، وترفع عن الدنايا.	الشيوع	ص 65
تَأَبَى	تَأَبَى الشخص: امتنع عن الدنية، وترفع، وتكبَّر.	الشيوع	ص 66
بَسْط	سهلٌ خلا من التعقيد، وما لا يقبلُ القسمة، ومن الأرض: الرحب المستوى، وساذج غير معقَّد، وفي [عروض الشعر] أحد بحور الشعر.	منطقي	ص 154
بَشِير	خبر سار، و[في المسيحية]: الإنجيل عيد البشارة.	الشيوع	ص 156

(5) Dubois, (jeu) et autres: Dictionnaire de la langue Française Lexis, Librairie Larousse, Paris P 11.

بَشَرٌ	بَشَر : الإنسان، وبَشَر : ج بَشْرة: ظاهرة الجسد.	الشيوع	ص 156
حَديثٌ	ج أحاديث: 1 كل ما يتحدث به من كلام وخبر، 2 [في علم الحديث] قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، 3 جديد عكسه القديم.	الشيوع	ص 296
رَسْم	رسمٌ: ما يرسمه الرسام، ومال تفرضه الدولة مقابل خدمة، وأثَر باقى من الديار، ورسْم بياني...	الشيوع	ص 522
سَواد	صفة اللون الأسود عكسه البياض، ومجتمع النخيل، وحدقة العين، وحبَّة القلب، والسواد الأعظم من الناس، والشخص: (لا فارق سواده عيني).	منطقي	ص 652
صُّلْب	صلب: شديد قوى، وكل مادة يثبت شكلها وحجمها فى حالتها العادية، ومعدن يتكون من الحديد والفحم (فولاذ)، وفقار الظهر، والصُلْب: جوهر الموضوع، والذُرية.	منطقي	ص 743
فرْخٌ	فَرْخ[1]: ولد الطائر. فَرَخ[2] من الورق: صحيفة تُطوى لِفْقَين (مو)	تاريخي	ص 9224
قَفَل	قَفَل يَقْفُل قُفوُلا: من السفر رجَع. وقَفَل: يَقْفِل قَفلا: الباب ونحوه أَقْفَله بالقُفْل (محدثة)	تاريخي	ص 1001
كُبَّةٌ	كُبَّة[1]: ما جُمِع من الغزل على شكل كرة. كُبَّة[2]: لحم يدق ويضاف جَريشُ القمح قبل أن ينضج ويُكَبَّبُ ويُطْهى في السَّمن (مو).	تاريخي	ص 1023
نَفَّ	نَفَّ[1] يَنِفُّ نفًّا: 1- السويق ونحوه سَفَّه، 2- الأرضَ: بذرها. ونَفَّ[2]: يَنِفُّ نَفًّا: نَفَّ الشخصُ: مَخَطَ (محدثة).	تاريخي	ص 1218

وَرْد	نَوْر كلِّ شجرةٍ، وجنس نَباتَات جَنبيَّة معمَّرة من فصيلة الورديَّات، ولون أحمر يضرب إلى صُفرةٍ في كل شيء، وما بين الكميت والأشقر من الخيل...	الشيوع	ص 1301

تُؤكدُ الأمثلة الواردة في الجدول رقم (1) ما ذكرنا سابقًا من قولٍ بأنَّ "المعجم العربي الأساسي" لم يسلك منْهجًا معيَّنًا في ترتيب معاني مداخل المُشترك اللَّفظِي، وإن كان مُيوله أكثر إلى طريقة التَّرتيب حسب الشّيوع، كما جاء في الأمثلة: (أبَى وتأبَّى وبشير ونشَر ورْد...) غير أنَّنا نجده يعتمد الترتيب المَنطقِي (الحسي قبل المعنوي والحقيقي قبل المجازي) كما في الأمثلة: (بَسْط وسَواد وصُلْب) ويعتمد أحيانًا الترتيب التاريخي (المعنى القديم قبل الحديث المُولَّد) كما في الأمثلة (فَرْخ وكُبَّة وقُفْل ونفَّ).

2. معايير تكرار المدخل الفرعي في القواميس العربية المعاصرة

لقد سلكتْ القواميس العربية المعاصرة طريقتين مُختلفتيْن في معالجة المداخل الفرعية المشتركة الدلالة أو اللفظ، هما:

أ. الأولى تُدمج جميع معاني المشترك اللّفظِي في مدخل واحدٍ، وتربط جميع معاني المُدْخل بالْواو بعده شرطة هكذا (و ــــ) منهج (المعجم الوسيط)، وتجسِّدُ هذه الطَّريقة، مقاربة دلالية تُسمَّى: مقاربة المشترك الدلالي (polysémie) يرى أصحاب هذه المقاربة بأنَّ اللفظ واحد والمعاني متعددة، حيث تمثل الكلمة عند هؤلاء وحدة لغوية لها أصل دلالي ثابت لا يتغيَّر حسب الزمن ولها مدلولات ثانوية تستخرج من الاسْتعمال، ويتحقق الاشتراك الدلالي في هذا الاتجاه عندما تؤدي كلمة ما أكثر من معنى دون النظر إلى الاعتبارات الآتية:

1. هل توجد علاقة بين المعنين أم لا؟

2. هل توجد علاقة تضاد أم لا؟ مثل: العطاء الكثير والقليل، وفرَّع في الجبل: إذا صعد أو انحدر، والجلل للكبير والصغير...إلخ.

3. هل المعنى ناتج عن اختلاف لهجتين أم لا؟ مثل كلمة: الذئب عند هذيل يطلقونها على الأسد، وكلمة الأسد عند سائر العرب تعني الحيوان المفترس.

4. هل الكلمة في إحدى معانيها تنتمي إلى قسم معين من أقسام الكلام وفي معنى آخر تنتمي إلى قسم آخر، أم لا؟ مثل كلمة (أجَم) التي تستعمل فعلاً، كقولهم: أجَمَ الأَمرُ: قرُب، وتستعمل وصفا، مثل قولهم: كبشٌ أجَمٌ: إذا كان بغير قرون، وكلمة (صكٌّ) مصدر صكَ أي: لطم، و(صكٌّ) مقترضة وتعني وثيقة مال ونحوه(6).

ب – الثانية تكرِّر المدخل الفرعي حسب تعدد معانيه المختلفة، وتجسِّد هذه الطريقة مقاربة دلالية أخرى، تُسمى: **مقاربة المشترك اللفظي** (homonymie) يرى أصحاب هذه المقاربة من أمثال: (1966 وGreimas 1993) (Picoche 1977) و(Kleieber 1990) وغيرهم من الدلاليين المعاصرين أن: الألفاظ لا تشترك في جميع حالاتها في اللفظ والدلالة، بل يوجد بعض من المشتركات اللفظية تتشابه في النطق فقط، نظرًا للاعتبارات الآتية:

1. التغيير الصوتي، فمثلا كلمة: (السيدة) التي وقع عليها تطور صوتي حتى أصبحت تنطق في بعض العاميات (سِتٌ) فأشبهت العدد (سِتٌ) بالنسبة للمؤنث.

2. تجانس لفظة ولفظة أخري، إذا لم تكن هناك رابطة دلالية تجمع المعنيين، مثلا: **عُرْفٌ**[1] ج أعراف: ما تعارف عليه الناس، و**عُرْفٌ**[2]: ج أعراف: 1– شَعْرُ عنق الفَرَس، 2– لحمة في أعلا رأس ديك، 3– زوائد زخرفية في أعلى البناء.

(6) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 159.

3. الاتفاق في إحدى الصيغ الاشتقاقية، مثل قال يقول، وقال يقيل، فهما ينتميان إلى أصلين مختلفين.

4. الاختلاف في أقسام الكلام بين الكلمتين، كأن تكون أحدهما تدل على اسم علَم، مثل: (يَزيدٌ) والأخرى فعل مثل (يَزيدُ).

5. اختلاف في أصل اللغة، مثل: (صكٌّ) مصدر صكَ أي: دفع و(صكٌ) مقترضة وتعني وثيقة مال ونحوه[7].

وقدْ اختارَ مُؤلفو القواميس الأوربيَّة هذه الطريقة في مؤلفاتهم، فقاموا من النَّاحيَّة الشكليَّة بتكْرارِ المَداخِل الْفَرعيَّة باعْتبارها وحدات معجميَّة مستقلة[8]، وقد بدأتْ تظهرُ ملامح هذا التَّوجه في القواميس العربية المعاصرة، بَدْءًا بتجربة "المعجم العربي الأساسي (1989)" ثم تجربة "المعجم الغني (2000)" ثم تجربة "معجم اللغة العربية المعاصرة (2008)".

وسنقْتصر –هنا- في الدّراسة التَّطبيقيَّة على "المعجم العربي الأساسي" لكونه أول تجربة عربية –حسب اطلاعي- في تكرار المداخل الفرعية، وقد أشار إلى هذه التجربة في المقدمة، تحت عنوان: (منهجية المعجم: ترتيبه واستخدام ورموزه) بأنَّه "عندما يكون للكلمة أكْثَر من معنًى تُدرج المعاني المتعددة مرقمةً بالتسلسل"[9]، وقد كشَفْنا من خلال تتبِّعنا لترتيب مداخله أنَّه يَسْتعملُ ثلاثة أنواع من الترقيم، وهي:

أ. الترقيم بعده شرطة (1 ــــ، 2 ــــ، 3 ــــ) ويقصد به تعدد معاني المدخل الواحد أو دلالة المدخل على أكثر من معنى واحد، مع وجود رابطة بين مجموع المعاني (polysémie)

(7) عبد الرحمن ولد اخيارهم، إشكالات المعجم العربي، ص 141.

(8) ينظر للتفصيل في الموضوع كل من: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، صص 162-170. وSemantic Fields Lehrer

(9) المعجم العربي الأساسي، المقدمة، ص 59.

ب. الترقيم بالخط الروماني (I) يأتي مع التعبيرات الاصطلاحية، والمسكوكات اللفظية والعبارات التركيبية مكتوبة بخط مُفعم، مثل: "آبدة ج أوابِد: الشيء العجيب الغريب I **أبوابد الشعر أو الشعار**"[10]، ومثله: "أَبَدٌ ج آباد وأُبُوُد: 1 الدهر **I لا أفعل ذلك أبد الآبدين**"[11].

ج. التَّرقيم أَعْلَى يَسار المدخل مباشرة، مثل: (آجَرَ[1]، آجَرَ[2]) و(أَجَّ[1]، أَجَّ[2]) ويعني هذا النَّمط من التَّرقيم تِكْرار المداخل المشْترك اللَّفظِي (homonymie).

ويُمكن أن نسْتنتجُ من خلال الطريقتين (أ) و(ج) أنَّ المعجم العربي الأساسي يُفرِّق بين المشترك اللفظي (homonymie) والمشترك الدلالي (polysémie) غيرَ أنَّ لجنة تأليفه، لم تَذْكر المعايير التي اعتمدتها في تكْرار المدخل الواحد[12]، لكن اكتشفنا من خلال البحث وتتبع المداخل المكررة في هذا القاموس، أنَّ اللجنة اعتمدتْ على المَعايير الآتية:

1.2. التغيير الصوتي

يقول عاطف فضل محمد: "الكلام أصوات تنطق بشكل منسق متصل، فإذا ما تكلَّم أحدٌ فإنَّه يَميلُ إلى تحقيق السُّهولةِ والانسِجَامِ الصَّوتِي. وقد يحدث في الكلام أن يجتمع أصوات لا انسجام فيما بينها، بحث يشعر المتكلم بثقلها على اللسان أو يحدث مشقة في تحقيقها، فيعمد إلى تبديل بعض الأصوات، ليحقق الانسجام في الكلام، وليجعلها أسهل في النطق"[13].

ويتطلب الانسجام الصوتي اشتراك الْحَرْفينِ في بعض الصِّفات أو في الْمَخْرجِ، وقد يُودِي هذا التغيير تشَابُه النَّطقِ في كَلمتيْن مُختلفتين أصْلًا، وهذا ما

(10) المرجع نفسه، ص 65.

(11) المرجع نفسه، والصفحة.

(12) لقد تناول هذه القضية الأستاذ د. عمرو محمود فرج مدحر، في بحث جيد موسوم ب: "تعدد المعنى في المعجم العربي المعاصر" صص 168 174.

(13) عاطف فضل محمد، الأصوات اللغوية، ص 120.

أراد "المعجم العربي الأساسي" التنبيه إليه بتخصيص مدخلين لهذا النوع من المداخل الفرعية، ومن أمثلة ذلك:

أ. آلٌ[1]: آل الرجل: أهله.

ب. آلٌ[2]: آل السراب (يذكر ويؤنث)[14]، حيث أنّ كلمة (آل) في المدخل الأول، أصْلُها (أهْل) طرأ عليها تغيير صوْتِي فأشبهت بذلك كلمة (آل) في المدخل الثاني. وقد أشار ابن جني إلى هذا التغيير الصوتي في كتابه سر صناعة الأعراب، حيث قال: "فكلمة آل أصلها أهل والذي يدلُّ على ذلك هو قولهم في التَّحقيرِ (أُهَيْل) ولو كان من الواو لقيل أُوَيْل..."[15]، ويقوم إبدال الحروف (الهاء← ألفا) من خلال قوانين صواتية، وبما أنَّ الهاء "صوت حنجري رخْوٌ مجْهور مُرققٌ، يتِمُّ النطق به بتضييق الأوْتار الصَّوتية إلى مرحلة منتصف الطريق بين الهمس والجهر، حتى إذا مرَّ هواء الرِّئتين كان لاحتكاكِه بهما أثرٌ صوتي لا هو بالحسِّ، ولا هو بالتَّنفس"[16].

ويخرج الهواء حرًا دون عايق أو عايق قليل، عندما يَتمُ تَضييق الأوتار (يتم هذا التضييق بسبب لكنة أو نحوها) ومن ثَمَّ يقترب نطق الهاء إلى فتحة طويلة (الألف) وبالتالي تتَحول على سبيل المثال كلمة (أهل) ← (آل) حيث تتكوَّن كلمة (أهل) من: صامت + فتحة قصيرة + صامت + صامت، في حين تتكون كلمة (آل) من: صامت + فتحة طويلة + صامت، وعَليه يكون نطلق الكلمة الأخيرة، أسهل من نطق الكلمة الأولى (أهل) ويكثر هذا النَّوع من التَّغيير في الْعربيَّة العاميَّة (اللهجات) لأنَّ العَاميَّة تَميلُ عادةً إلى النُّطق الأسهل، ومن أمثلة ذلك:

> كلمة (قَلَم) التي تنطق في العامية المصرية (ألَم) لتتطابق مع كلمة (ألم): الوجع.

(14) المعجم العربي الأساسي، ص 120.

(15) ابن جني، سر صناعة الأعراب، ص 105.

(16) تمام حسَّان، مناهج البحث في اللغة العربية، ص 103.

كلمةُ (إثْم) التي تنطق العاميَّة المصرية (اسْم)

كلمة (قَمَر) التي تنطق في العاميَّة المصرية (أمَر) للتطابق مع كلمة (أمَر)

كلمة (قال) التي تنطق في بعض الدول العربية (آل) للتطابق مع (آل): البيت أو السراب.

كلمة (هذه): اسم إشارة تنطق في بعض الدول العربية (هاتِه) لتتطابق مع كلمة (هاته): ناولني إياه.

2) أ. ستُّ[1]: جمع ستات السيدة ...(محدث).

ب. ستُّ[2]: للمؤنث وستة للمذكر ما يلي الخمسة ويسبق السبعة..."[17]، ومن المْعلوم أنَّ المدخل الأول (ست) جاء نتيجة تطور صوتي لكلمة (السيدة) وبالتالي أشارَ "المعجم العربي الأساسي" إلى أنَّها كلمة محدثة.

ونلاحظ أنَّ المعجم الوسيط، أهمل مدخل (سِتّ) باعْتبار أنَّها كلمة عَاميَّة، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "سِتٌّ: ج ستات: السيدة (ست البيت) "[18].

2.2. الاختلاف في الدلالة:

يُعدُّ اختلاف الدلالة أحد المعايير التي اعتمدها مؤلفو القواميس العربية المعاصرة لتكرار المدخل الفرعي، ويشترط في هذا الاختلاف عدم وجود رابطة بين المعنيين، كما في الأمثلة الآتية من المعجم العربي الأساسي:

3) أ. "**أثِير[1]**: مُفَضَّل على غيره (من الأعمال الأثيرة عندي مساعدة المحتاجين)

ب. أَثِير[2]: 1- [في الكيمياء] سائل بلا لون طيَّار سريع الالتِهاب يَسْتخدم في الطِّب، 2- الفضاء" (ص 70).

(17) المعجم العربي الأساسي، ص 607.

(18) معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ج1 ص 1032.

4) أ. "**أَخْرَف**[1] يُخْرِفُ إِخْرَافًا: ـــــــ الشخصُ بمكان كذا: أقامَ فيه مُدَّة الخريفِ.

ب. **أَخْرَف**[2] يُخْرِفُ إِخْرَافًا: ـــــــ هُ الكِبَرُ: أفْسدَ عقلهُ" (ص 391).

5) أ. **سام**[1] يسوم سوما: 1- الماشية: رَعَتْ حيث شاءَت، 2- الماشية: خلاها ترعى.

ب. **سام**[2] يسوم سوما: العذب والذل.

ج. **سام**[3] يسوم سَوْماً: السلعة: 1- طلب شرائها، 2- عرضها باعها. (ص 656).

3.2. الاختلاف بين أحد الصور الاشتقاقية للمدخلين:

يعدُّ الاختلاف في بعض الصور الاشتقاقيَّة بين المدخلين، أحد المعايير التي اعتمدتها لجنة تأليف "المعجم العربي الأساسي" في تكرار المداخل الفرعيَّة، سواءً كان المدخل اسمًا أو فِعْلًا، ويُشترطُ في هذا الاخْتلافِ أن يَكون له أثرٌ في اختلاف المَعْنى بين المَدْخَلين، كما في الجدول رقم (2).

الجدول رقم (2) من المعجم العربي الأساسي

المدخل	المضارع	المصدر	الوصف	الجمع	الدلالة	الصفحة
أَجَّ[1]	يَؤُج	أجًا وأَجِيجًا	أُجُوج		تلهَّب، واشتدَّ حرُّهُ	ص 82
أَجَّ[2]	يَؤُج	أُجُوجًا أُجَاجٌ			ملوحة الماء	ص 82
أَزَّ[1]	يؤُزّ	أزًّا			الإغراء والحركة الشديدة	ص 85
أَزَّ[2]	يَئِزُّ	أزًّا			أَزَّ القدْر: اشتدَّ	ص 85

		وأَزِيزًا			غليانها، وصوت الرعد	
بَيْتٌ[1]				ج أبيات	الشعر	ص 186
بَيْتٌ[2]				ج بيوت	المسكن، وبَيْت الرَّجل: امرأته وعياله	ص 186
جنَبَ[1]	يَجْنُبُ	جَنَابَةً			الشيء بَعُد عنه	ص 266
جَنَبَ[2]	يَجْنُبُ	حَنْبًا			أَصَابَ جَنَبه	ص 266
حَدَّ[1]	يَحُدُّ	حَدًّا حَادٌّ			شحْذُ السيوف، ووضع فاصلًا بين القطعتين، وتمييز بين الأشياء.	ص 298
حَدَّ[2]	يَحِدُّ	حِدَّةً حَادٌّ			قيام عقوبة محددة على الجاني	ص 298
دافِعٌ[1]				ج دوافع	حافزٌ وسبَبٌ	ص 455
دافِعٌ[2]				ج دافعون	من يدفع الضراب	ص 455
عَبَرَ[1]	يَعْبُرُ	عُبورًا	عابِرٌ		قطع الطريق	ص 817
عَبَرَ[2]	يَعْبُرُ	عِبَارَةً وعَبْرًا			تفسير الأحلام	ص 817

يُبيِّن الجدول رقم (2) ظاهرة اعتماد لجنة تأليف "المعجم العربي الأساسي" في تكْرار المداخل الفرعية على معيار اختلاف أحد الصور الاشتقاقية، لكن قد لاحظنا من خلال للمداخل هذا القاموس أنَّ لجنة التأليف لم تطَّرد في هذا المنهج، حيث اطّلعْنا على بعض المداخل _ وإن كانت قليلة- كُرِّرت استنادًا على معيار الاختلاف في بعض صور الصيغ الاشتقاقية في المدخلين، دون أن يكون لهذا الاختلاف أثرٌ في اختلاف المعنى، وهذا ما يتَّضح من خلال الأمثلة الواردة في الجدول رقم: (3).

الجدول رقم (3)

المدخل	المضارع	المصدر	الوصف	الجمع	الدلالة	الصفحة
آلف[1]	يؤالف	مُؤالفةً			اتعود الشيء	ص 101
آلف[2]	يؤالف	إيلافا			تعود الشيء	ص 101
آنس[1]	يُؤانس	مؤانسة	مؤَنس		الأُلْفة	ص 113
آنَسَ[2]	يُؤْنِس	إينَاسًا	أنيس		الألفة	ص 113
حَبَّ[1]	يَحِبُّ	مَحَبَّةً	حَابٌّ		ضد الكره	ص 285
حبَّ[2]	يَحُبُّ	حُبًّا	حبيبٌ		ضدَّ الكره	ص 285

حَبَ[3]	يَحَبُّ	حُبًّا	مَحْبوبًا		ضدَّ الكره	ص 285
حرّ[1]	يَحُرَّ	حَرًا	حَارٌّ		ضدُّ البروردة	ص 304
حرَ[2]	يَحِرَّ	حَرًا	حَارٌّ		ضدُّ البروردة	ص 304
حرَّ[3]	يَحَرَّ	حَرًا	حَارٌّ		ضدُّ البروردة	ص 304
حرَّ[3]	يَحَرَّ	حَرَارةً	حِرانٌ		ضدُّ البروردة	ص 304
حَشَدَ[1]	يَحْشُدُ	حشْدً			جَمع النَّاسَ	ص 319
حَشَدَ[2]	يَحشُد	حُشُودًا			جمعَ النَّاس	ص 319
مَسْحُوقٌ[1]		–	–	مسحو قون	منبوذون	ص 612
مَسْحُوقٌ[2]	–	–	–	مساحي ق	دقيق تجميل	ص 612

4.2 اختلاف جذر المدخلين

تختص القواميس الجذرية بميزة المحافظة على شمل الأسرة اللفظية، وذلك لكوْنهَا تقوم بجمع مُشتقاتِ المادة المُعجميَّة تحت جذرها الأصلي، فقال يَقول وقال يقيلُ مثلا لا ترِدان في مدخل واحد، بحيث تردُ الأولى تحت جذر (ق ول) والثانية تحت جذر (ق ي ل) وكذلك سال يسأل تأتي تحت جذر (س أ ل) وسال يسيل تأتي تحت جذر (س ي ل).

وقد رأت لجنة تأليف "المعجم العربي الأساسي" نظرًا لكونه موجَّهًا إلى النَّاطقين بغير اللغة العربية ومن أجل تسهيل البحث على هذه الفئة أن تسلك منهجًا خاصًا في مداخل الكلمات التي تتشَابَه في النّطق وتختلف جذورها، بأنَّ تُوردها في مداخلها الأصْلية (الجذر) مُبيِّنةً دلالاتها، ثم توردها مرةً أخرَى في مداخل الكلمات التي تتشَابه معها نُطقا بالإحالة إلى المدخل الأصل بقوله: (انظر مدخل كذا).

وبالتالي أصبح اختلاف جذر الكلمة أحد معايير تكرار المداخل في هذا القاموس، كما يتضح في المثالين: (6 أ، ب) و(7 أ، ب).

6). أ. **"إجارة1**: 1 ـــــ أجرة عمل، 2 ـــــ عقد يمكن استغلال شيء مقابل عوض.

ب. إجارة2: (انظر: جور) " (ص 72).

7). أ. **"سائل**[1] ج ـــــ ون: 1 اسم فاعل من سأل، 2 الفقير.

ب. **سائل**[2]: ج سوائل (انظر سال)" (ص 600).

5.2 اختلاف نوع المقولة

كشفنا من خلال استقرائنا لمداخل "المعجم العربي الأساسي" أنَّه من بين المعايير التي اعتمدتها لجنة تأليفه في تكرار المدخل الفرعي، معيار اختلاف نوع المقولة، ويتمثل ذلك في مظاهر عدَّةٍ، أهمّها:

أ. أن يكون أحد المدخلين مصدرا والآخر اسم، ومن أمثلة ذلك:

8) أ. "**ضَبٌّ**[1]: مص ضَبَّ.

ب. ضَبٌّ[2]: ج ضِبَابٌ وأَضُبٌّ: حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشنه وله ذيل عريض خشن ملتوٍ" (ص 762).

9) أ. "**ضَرْبٌ**: مص ضَرَبَ.

ب. ضَرْبٌ ج أَضْرَابٌ وَضُرُوبٌ، 1 المثل والشكل، 2 النوع (يعتبر المسرح ضربا من ضروب التجديد في الأدب العربي الحديث)، 3 [في الشعر] آخر تفعيلة من الشطر الثاني من البيت" (ص 768).

10) أ. "**طِيبَةُ**[1]: 1 مص طَابَ، 2 صِفة من يُحبُّ الخير ويفعله.

ب. طِيبَةُ[2]: مدينة مصرية تاريخية على نهر النيل، تقوم عليها حاليا آثار معابد الكرنك والأقصر" (ص 806).

11) أ. "**ظُهُورٌ**[1]: مص ظَهَرَ (كثير من الناس مُصاب بداء حب الظهور).

ب. ظُهُورٌ[2]: 1 مف ظَهْرَ، 2 مف ظُهْرَ" (ص 812).

الثاني) 4 أحد أقسام المدرسة..." (ص 938).

ب. أن يكون أحد المدخلين اسم علم والآخر وصفا (اسم المَرَّة، اسم فاعل، اسم مفعول، صفة المشبهة باسم الفاعل...إلخ) كما في الأمثلة الآتية:

12) أ. "**خَطِّيٌّ**[1]: مؤ خطية: مكتوب بخط اليد (أرسل رئيس الجمهورية رسالة خَطِّيَّة).

ب. خَطِّيٌّ[2]: رمح منسوب إلى الخَطّ، وهو موضع في البحرين" (ص 407).

13) أ. "**صَعْدةٌ**[1]: ج صَعَداتٌ: المرَّة من الصعود (يتعب فلان في كل صَعْدةٍ)

ب. **صَعْدة**[2] مدينة في الجمهورية العربية اليمنية، مركز ديني قاعدة محافظة صَعْدَة" (ص 734).

14) أ. "**صَعِيدٌ**[1] ج صُعُدٌ وأصْعِدَة: تُراب طيِّبٌ نظيفٌ...

ب. **صَعِيد**[2]: منطقة تقع جنوب مصر تمتد بين الجيزة وأسطوان وبطول 900 كم". (ص 735).

15) أ. "**فَارِسٌ**[1]: ج فَوارسُ وفِرْسانُ: ماهِرٌ في رُكوبِ الخيل (درَّبه أبوه منذ صغره في ركوب الخيل. فأَصبحَ فَارسًا في رُكوبِ الخيل).

ت. **فَارِسٌ**[2] أمَّةُ الفُرسِ...." (ص 926).

6.2. اختلاف أصل لغة المدخلين

نقصد باختلاف أصل المدخلين أن يكون أحد المدخلين من لغة والآخر من لغة أخرى، كأن يكون الأوّل من أصل عربي، والثاني من أصل أعجمي، وليس من المستحيل أن تقترضَ لغةٌ لفظًا من لغة أخرى، ويتَّحد اللفظ المُقترض مع لفظٍ آخر أصْليٌّ، ويكون لكلٍّ من اللفظين دلالته الخاصة به، وقد حدث هذا النَّوع في اللغة العربية قديمًا وحديثًا، وقد اكتشفنا من خلال استقرائنا لمداخل "المعجم العربي الأساسي" أنَّ لجنة تأليفه اعتمدت على معيار اختلاف أصل لغة المدخلين في تكرار المداخل الفرعية، ومن أمثلة ذلك:

16) أ. "**تُوتٌ**[1]: جنس من الفصيلة القراصية يزرع لثمره يأكله الإنسان.

ب. **تُوتٌ**[2]: أوَّل الشهر في السنة القبطية" (ص 205).

وقد ذكر ابن منظور في "لسان العرب" أنَّ المدخل الثاني من أصل فارسي، فقال: "التُّوت: الفُرْصادُ واحدته توتَةٌ بالتاءِ المثنَّاة ... وحُكيَ عن الأصمعِي أنَّه

بالثاء في اللغة الفارسية، وبالتاء في اللغة العربية، وفي التهْذِيب التوث كأنه فارسي، والعربُ تقول التُّوتُ بتاءين"[19]، بالتالي نكون أمام مدخلين مختلفين أصْلًا، أحدهما من أصل اللغة القبطية، اسم شهر من أشهرها (**تُوتٌ**[1]) والآخر مُعرَّب توُثْ بالفارسية (**تُوتٌ**[2]).

17) أ. **"شَاشٌ**[1]: نسيج رقيق من القطن تُضمَد به الجراح ونحوها، ويستخدم كذلك للفِّ العمامة أو كقطاع للرأس أو الوجه القطعة منه شاشة...

ب. **شَاشٌ**[2]: مدينة في بلاد ما وراء النهر من أعمال سمَرْقَند" (ص 708) فالمدخل

الأول عربي مولد، كما جاء في المعجم الوسيط، حيث قال: **"الشَاشٌ"**: نسيج رقيق من القطن تُضمَد به الجروح ونحوها (مو)"[20]، أما المدخل الثاني، فهو اسم بلد غير عربي.

ويمكن أن نلخص معايير تكرار المدخل الفرعي في (المعاجم العربية المعاصرة) من خلال الخطاطة الآتية:

معايير تكرار المدخل الفرعي

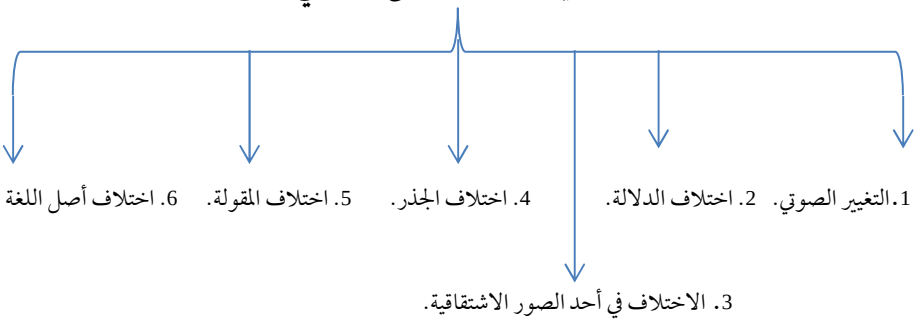

(19) ابن منظور لسان العرب، ص 454.

(20) المعجم الوسيط، ص 499.

خاتمة

لقد تطرقنا في هذا المقال لمعايير الترتيب الداخلي (المداخل الفرعية) في المعاجم العربية المعاصرة، وقد توصلنا إلى نتائج عدة، أهمُّها:

1. ظاهرة ترتيب المداخل الفرعية المعاجم العربية المعاصرة، على النحو الآتي:

- تقديم الأفعال على الأسماء.
- تقديم الفعل المجرّد على المزيد.
- تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي.
- ترتب الأسماء ترتيباً ألفبائيا.

2. ترتب المعاني في ثلاثة طرق أساسية، وهي: الترتيب حسب الشيوع، والترتيب التاريخي حسب الأقدم، والترتيب المنطقي فيقدم المعاني الحسية على العقلية، والمعاني الحقيقية على المجازية.

3. ظاهرة انقسام مؤلفي القواميس العربية المعاصرة، في معالجة مداخل المشترك اللفظي إلى اتجاهين: اتجاه أول اعتبر أنَّ اللفظ واحد والمعاني متعددة، متأثِّرٌ بطرح القدماء وفهْمِهم للمشترك اللَّفظِي، وأمَّا الاتِّجاه الآخر، فقد اعتبر أنَّ الألفاظ تتشابه شكْلًا وتخْتلفُ مبْنًى ومعنًى، فقام أصحاب هذا الأخير بتعدد مداخل المشترك اللفظي مستفيدين من تطور الأبحاث الدلالية.

4. أنَّ القواميس العربية المعاصرة، اعتمدت في تكرار المداخل الفرعية على ست معايير أساسية، وهي: أولا: التغيير الصوتي، ثانيا: اختلاف الدلالة، ثالثا: اختلاف الصور الاشتقاقية، رابعا: اختلاف الجذور، خامسا: اختلاف نوع مقولة، سادسا: اختلاف أصل اللغة.

المصادر والمراجع:

ابن جني (أبي الفتح عثمان، ت: 392 ه) **"سر صناعة الأعراب"** تحقيق، د. حسن هنداوي، ط1 (2000).

ابن منظور (محمد بن مكرم 630– 711ه) **"لسان العرب"** دار عالم الكتب، السعودية، ط2 (2003).

بلاهده (فريدة) **"معايير ترتيب المداخل الفرعية في المعجم الوسيط والمنجد في اللغة العربية المعاصرة"** مجلة "اللسانيات" التابعة لمركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، العدد المزدوج 19– 20 (2014).

تمام حسَّان **"مناهج البحث في اللغة العربية"** مكتبة النشر للطباعة بمصر، ط1 (1989).

عاطف فضل (محمد) **"الأصوات اللغوية"** دار المسيرة للنشر والطباعة بعمان، ط1 (2013).

عبد العزيز المطاد: **"مناهج البحث في المصطلح من خلال كتابات الرازي"** منشورات المناهج، الرباط، 1999.

عمر (أحمد مختار) **"علم الدلالة"** عالم الكتب، بالقاهرة، ط5 (1998).

عمر (أحمد مختار) بمساعدة فريق عمل **"معجم اللغة العربية المعاصرة"** عالم الكتب، القاهرة، ط1 (2008).

عمرو (محمد فرج مدكور) **"تعدد المعنى في المعجم العربي المعاصر"** مجلة جامعة الإمارات العربية، العين، العدد 18 (2011).

القاسمي (علي) **"المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق"** مكتبة لبنان ناشرون، ط1 (2003).

مجمع اللغة العربية بالقاهرة **"المعجم الوسيط"** مكتبة الشروق الدولية، ط4 (2004).

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **"المعجم العربي الأساسي"** تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب، طبعة لاروس ط1 (1989).

Dubois (j) (1979) et autres : Dictionnaire de la langue Francaise, Lexis, Librairie Larousse, Paris.

Lehrer (A) (1974) Semantic Fields and Lexical Structure, Amsterdam, London.

لغة الجسد في سورة عبس
دراسة سيميائية إحصائية

د.بسام مصباح طه أغبر
وزارة التربية والتعليم الفلسطينية

مقدمة:

تتعدد وسائل تواصل الإنسان مع محيطه، ويسعى، بشكل دائم، إلى بناء شبكة علاقة تُذلل له العقبات، وتيسر له قضاء الحاجات، والتعبير عن خلجات نفسه، ومكنونات صدره، ويترجم ذلك بأساليب كثيرة؛ فتارة يستعمل اللغة المنطوقة (Verbal Language)، أو اللباس ولونه، أو حركات جسده، وهو ما يُطلق عليه اللغة غير المنطوقة (Body Language)، وغيرها من الأساليب التواصلية المتعارف عليها في كل بيئة اجتماعية، أو فترة زمانية.

يجتهد أولو العلم في كل عصر في معرفة خفايا القرآن الكريم، وتدبر آياته، والعمل بها، واستنباط الأحكام منها، وهذه الأحكام لا ترتبط في أحكام فريضةٍ، أو تأدية شعيرة، بل إنَّ القرآن الكريم الذي ارتضاه رب العالمين كتاباً يُصلح به أحوال الناس، ويعيشون في ظلاله، هو أوسع من ذلك، فهو دستور حياة، ونهج صلاح للإنسان إذا ما فهم دقائقه، وعَمِلَ بشرائعه وأحكامه، فهو، أي القرآن الكريم، يُعلمنا طرائق الحوار بين الناس، وهذا الحوار يُعدُّ أساس تفاهم الإنسان مع أخيه الإنسان، فإذا مضى هذا الحوار، أو كانت لغة التخاطب واضحة بين الطرفين، يَسهل عندها حلُّ أي غموض، أو شرح أي لَبس وقع لسوء تفاهم، ولَمَّا كان هذا الحوار أو هذا الخطاب القرآني الكريم لا يقتصر على اللغة المنطوقة، وفيه كمٌّ كبير من اللغة الجسدية، جعل الباحث من هذا البحث

ميدان عرض وتحليل ومناقشة لظاهرة لغة الجسد في القرآن الكريم، وخصَّص منه سورةً كريمة، هي سورة عبس؛ وهذه السورة القرآنية، هي الوحيدة التي تحمل عنواناً يشير في أصله إلى حركة جسدية، وبعد عملية إحصائية، وجد الباحث أنَّ لغة الجسد فيها جاءت في (14) آية من مجمل آياتها البالغة (42) آية، أي أنَّها بلغت ما نسبته (33٪)، وهذه نسبة كبيرة جداً في سورة واحدة، تجعل منها ظاهرةً تحتاج إلى دراسة وتحليل.

لقد توزعت محاور لغة الجسد في هذه السورة الكريمة إلى خمسة محاور، هي: الوجه، والحضور، والتلهي، والفرار، واليد، يمثل كلٌّ محور منها طائفةً أو مجموعة من الحركات الجسدية المشتركة، وعمل الباحث -في تحليله- على المزاوجة بين علم لغة الجسد ودلالاته، وعلم اللغة الحديث ونظرياته، خدمة للنص القرآني، وتجلية لهذه الظاهرة العلمية. وبذلك فإنَّ هذه الدراسة تهدف إلى معرفة الظلال الدلالية التي أدتها لغة الجسد في سورة عبس، وتتبعها إحصائياً، ومعالجة تحليل تفوق محاور على أخرى، في هذه السورة الكريمة، وهنا تبرز مشكلة البحث:، ما الظلال الدلالية التي أظهرتها لغة الجسد في سورة عبس؟

لقد جاء هذا البحث **مقسماً** إلى أبواب أربعة، هي:

1. لغة الجسد جذور وثمار.
2. أسباب نزول سورة عبس، وموضوعاتها.
3. تجليات لغة الجسد في سورة عبس.
4. نتائج وتوصيات.

الباب الأول: لغة الجسد جذور وثمار:

تتبع الباحثون في علم السيمولوجيا عامة، والمتخصصون في لغة الجسد أو ما يُطلق عليه علم الكينات (Kinesics)[1]، أصول هذه الظاهرة، وبدايات

(1) يُقصد بالكينات Kinesics: الوحدات الحركية للجسد التي يكون لها معان، وتصاحب الكلام، أو تسدُّ مسدَّه. أو هي " دراسة وسائل الاتصال البصرية". يُنظر: ==

ظهورها، وحقول دلالاتها، وأفردوا مساحات لها، للوصول إلى استقراء عالمي، ووصف علمي لهذه الظاهرة[2].

إنَّ الإنسان، في حياته اليومية، لا يقتصر في تواصله مع محيطه الخارجي، على اللغة المنطوقة لتبادل الأفكار أو استلام المعلومات، وتعددت الدراسات العلمية التي تتبعت النشاط الإنساني، وما زالت في تتبع مستمر، محاولة إيجاد العلاقة بين الإنسان ومحيطه وتفسيرها؛ إذ حدد الباحثان (Ruesch & Kees) النظم الأساسية اللازمة لتحقيق عملية التواصل الإنساني، فوجداها في سبعة عناصر، هي: المظهر الخارجي، واللباس، والحركات الجسدية المقصودة، والنشاط العشوائي، وآثار النشاط، والأصوات المنطوقة، والكلمات المقولة، والكلمات المكتوبة[3]. وتتفق هذه العناصر، مع ما ذهب إليه عالمُ النفس الأمريكي، (Albert Mehrabian) الذي وجد أنَّ نسبةَ ما يستخدمُه المرء من لغةٍ مَنْطوقةٍ بفونيمات قِطعية لا يتجاوز (7٪) فقط، أما ما يستخدمُه المتكلمُ من مصاحباتٍ صوتيةٍ غَيْرِ قطعية، أي بوساطةِ فونيماتٍ بروسودية تطريزية (Suprasegmental Phonemes)، كالتنغيم، والنَّبر، والمفصِل، والدرجة الصوتية،

== – الخولي، محمد علي: **معجم علم اللغة النظري**. بيروت: مكتبة لبنان. 1982. ص:161.

–Julius Fast, Body Language, London, 1978 P:11.

–David Crystal, A First Dictionary of Linguistics and Phonetics. London, 1980. p:318

(2) من أبرز تلك البحوث: محجوب، فاطمة: **دراسات في علم اللغة. بحوث تطبيقية لغوية وقرآنية**. ط:1. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث. 1432هـ. ص:242 وما بعدها.

– دفة، بلقاسم: علم السيمياء في التراث العربي. **مجلة التراث العربي**. دمشق. اتحاد الكتاب العرب. عدد (91) 1424هـ. ص: 68– 79.

– داود، محمد: **جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية– دراسة دلالية ومعجم**. ط:1. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. 2006.

– العبد، محمد: **العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال**. ط:1. القاهرة: مكتبة الآداب. 1428هـ.

– أبو زيد، أشرف: سيمياء الجسد في شعر فرسان الجاهلية. **جامعة الأزهر: حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا**. القاهرة: عدد (24) جزء (8). 1441هـ. ص: 7747– 7798.

(3) J. Ruesch and W. Kees, Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations. (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1956) p: 69.

وغيرها، فإنها تصل إلى نسبة (38٪)، في حين تصل نسبة الاتصال الإنساني المعتمد على لغة الجسد (55٪)(4).

وأظهرت الدراسات التي قام بها علماء لغة الجسد، أنَّ نِسْبةَ الكلامِ المنطوق، في التعبير عن المعاني، تتراوح من 30 إلى 35٪ فقط(5)، وتتفق هذه النتائج، أو النسب المئوية، مع ما ذهب إليه الباحث النفسي (Hall)، الذي وجد أنَّ اللغة (Language) تعدُّ عنصراً واحداً فقط من عشرة أنواع منفصلة من النشاطات البشرية، وأطلق عليها "أنظمة التراسل الأولية" (Primary Message Systems)، وهي: التفاعل، والاتحاد، وموارد الإعاشة، وثنائية الجنس، والإقليمية، والزمانية، والتعلم، واللعب، والدفاع، والانتفاع(6).

وكان الجاحظ، من قبل، قد حدد خمسةَ عناصر يتم عن طريقها إيصال المعاني، وهي: اللفظ، والإشارة، والعَقْد، والخَطّ، والحال(7). إذن، لا يقتصر فهم

(4) يُنظر:

– ألن وباربرا بيز: **المرجع الأكيد في لغة الجسد**. ط:1. مكتبة جرير. 2008م. ص:9.

– عكاشة، حمزة: **لغة الجسد – اللغة الصامتة. كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال حركة أجسادهم**. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. 2006م. ص:10، 41، 53، 55.

– أبو عاصي، حمدان رضوان: **الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى**. غزة: مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مجلد: (17) عدد: (12). 2009م ص:59.

– شحرور، ليلى: **أسرار لغة الجسد**. خفايا إشارات التآلف أو التنافر بين الناس. بيروت: الدار العربية للعلوم، ناشرون. 2008م. ص:7، 13.

– Mark Knapp, L, Nonverbal Communication in Human Interaction, U.S.A. Holt, Rinehart and Winston, Inc. 1972. p:12.

(5) يُنظر: محجوب، فاطمة: **دراسات في علم اللغة**. ص:161. ويُنظر أيضاً:

– ألن وباربرا بيز: **المرجع الأكيد في لغة الجسد**. ط:1. مكتبة جرير. 2008م. ص:9.

– عبد اللاة، خالد: **لغة الجسد**. القاهرة: دار المشرق العربي. 2012م. ص:3–4، 7.

(6) إدوارد تي. هول: **اللغة الصامتة**. ترجمة لميس فؤاد اليحيى. ط:1. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع. 2007م. ص:50، وما بعدها. وكذلك:

– E.T.Hall, The Silent Language, Garden City, N.Y: Doubleday, 1959. P:27.

(7) الجاحظ، عمرو بن عثمان (ت 255هـ–869م) **البيان والتبيين**. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:7. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1418هـ. 76/1.

المعنى عند طرفي الرسالة- المرسل والمستقبل- على اللغة، التي تُعدُّ وسيلةً من وسائلَ متعددةٍ، ينقل بها الإنسانُ أفكارَه، ويتفاعل بها مع محيطه؛ فالتواصل إما أن يكون لفظياً منطوقاً، أو غير لفظي، تشترك فيه وسائل تواصل متعددة تعمل ترجماناً لمشاعر الإنسان، وتُخرِجُ ما بَطِنَ منها، بصور متعددة؛ فلا تعدو الإشارة، على سبيل المثال، إلا "أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ، وحِلْية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالتها. وفي الإشارة بالطَّرف والحاجب، وغير ذلك من الجوارح، مَرْفَقٌ كبير، ومَعُونة حاضرة، في أمورٍ يستُرها بعضُ النَّاسِ من بعض، ويخفونها من الجليسِ وغير الجليس. ولولا الإشارةُ لم يتفاهم النَّاسُ معنَى خاصٍّ الخاصّ، ولجَهِلوا هذا الباب البتة"(8).

إنَّ ما ذهب إليه الجاحظ، ومن بعده علماء النفس، في وصفهم الدقيق للعلاقة بين التواصل اللفظي المنطوق والتواصل الحسي الملحوظ، أكّد عليه أيضاً عدد كبير من العلماء؛ إذ ذهب (Abercrombie) إلى "أننا نتكلم بأعضائنا الصوتية، ولكننا نتخاطب بأجسامنا؛ فالخطاب يتكون من أكثر بكثير من المبادلة البسيطة لألفاظ منطوقة"(9)، (Edward Sapir) أننا "نستجيب للحركات الجسمية في خفة ويقظة بالغة، وفقاً لشفرة محكمة الصنعة وسريّة، مكتوبة في أي مكان، ولا يعرفها أحد، ويفهمها الجميع"(10)، وتلقف راي (Birdwhistell) كلام سابير السابق، ووظفه في دراسة علم السلوك الحركي عن طريق السياق (Kinesics in Context) وأنشأ فرضية جوهرية، مفادها: "حتى لو لم تعِ أو تلاحظ إيماءات الشخص الذي تتحدث معه، فأنت ما زلت تعرف بشكلٍ غير

(8) **البيان والتبيين**. 78/1.

(9) John Gosling: Kinesics in Discourse. In: Malcolm Coulthard & Martin Montgomery (eds): Studies in Discourse Analysis. Routledge. London & New York. 1981. Pp:158-166.

ويُنظر أيضاً:

- العبد، محمد: **العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال**. ص: 116.
- العبد، محمد: **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة**. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي. 1415هـ. ص:200.

(10) John Gosling: Kinesics in Discourse. 158.

واعٍ معنى الإشارات غير الشفهية التي يصنعها هذا الشخص"[11]. وهذا يعني أنّ لكل عضو من أعضاء الجسد الإنساني وظيفة تعبيرية يقوم بها، وتعبر عن خوالج النفس البشرية، وترتبط ارتباطاً قوياً مع اللغة المنطوقة (Verbal Language)، وهو ما أكّد عليه (Birdwhistell) في إحدى نظرياته قائلاً: إنَّ "هناك مجموعة من السلوكيات الحركية الجسمية التي ترتبط بالبنية اللغوية ارتباطاً مباشراً"[12]، من أجل ذلك، تُعدُّ اللغة المنطوقة (Verbal Language)، وغير المنطوقة (Body Language)، قسماً متكاملاً لا تفاضُلَ بينهما، أو تناقض، بل إنهما لا تتعارضان مع وسائلِ اتِّصال وتواصلٍ أُخرى، تنسجم معهما، ولا تتناقض[13].

ولتوضيح دلالات ذلك، نذكر مثالاً، من تراثنا العربي الإسلامي، وهو الحركة الجسدية المتمثلة في ضرب الخد، أو صكّ الوجه، أي اشتراك أكثر من عضو جسدي لإنتاج حركة ذات دلالة، ونطلق عليها في هذه الحالة مصطلح "كينومورفيم مقيد Bound Kinemorpheme"[14].

فمِن دلالات حركة (صكّ الوجه) أو الكينومورفيم المقيد (صكّ الوجه)، التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} [الذاريات: 29]، وهذه الآية الكريمة،

(11) شيلي هاجن: **كل شيء عن لغة الجسد**. مكتبة جرير. ط:1. 2017م. ص:10

(12) Ray Birdwhistell: A Kinesic Linguistic Exercise: The Cigarelle Scence, in: John j. Gumperz & dell Hymes (eds): Directions in Sociolinguistics, Basil Blackwell, Oxford. 1989. P: 381.

(13) Ray Birdwhistell. Some Body Motion Elements Accompanying Spoken American English, In Communication: concepts and perspectives, Washington, DC: Spartan Books, 1967. P:71.

ويُنظر أيضاً:

- Michael Argayle. Social Interaction, New York, Atherton Press, 1969. P:70.

(14) هو عبارة عن حركة ثانوية، يقومُ بها أحدُ أعضاء الجسم، وتردُ مصاحبةً أو مرافقةً حركةَ عضوٍ جسدي آخر رئيس، فهاتان الحركتان، معاً، تقومان بأداءِ دلالةٍ واحدة من خلال ازْدواجيةِ الحركة العُضْوية، ولكنَّ واحداً من هذين العضوين المنتجين للحركةِ النهائيةِ الحاملةِ للدلالةِ، ذات الوظيفة المحددة، يكون أساسياً، أو حراً، والآخر يكون ثانوياً، أو مقيدا. يُنظر: النوري: **لغة الجسد**. 112-113.

جاءت في حوار خليل الله إبراهيم، "عليه الصلاة والسلام"، مع الملائكة عندما بشَّروه بغلام عليم، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات: 24 – 28] وأصل الصكّ في اللغة: الضرب الشديد، ومنه: صَكَّ الرجلُ الْبَابَ؛ إذا "أَغْلَقَهُ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ"[15]، فعملية الصكّ تُنتج صوتاً قوياً مسموعاً، فبعد أن تلقت امرأة إبراهيم، عليه السلام، نبأً عظيماً، ووصلت الدهشة النفسية عندها ذروتها، ولم تسعفها اللغة المنطوقة، أو الكلمات المعهودة لتعبر عن هذا التعجب والاستغراب؛ لأنَّ حال الزوجين الجسدي لا يقدر على الإنجاب؛ عندها وفي تلك اللحظة جاءت هذه الحركة الجسدية لتدل على حالتها النفسية؛ فالحركة الجسدية (صكّ الوجه) اختصرت لنا كثيراً من الكلام، وفي ذلك، قدَّر الرازي ذلك الكلام الذي عبّرت عنه لغة الجسد، أو، بعبارة أدق الكينومورفيم المقيد (صكّ الوجه)، قائلاً: "فَكَأَنَّهَا قَالَتْ: يَا لَيْتَكُمْ دَعَوْتُمْ دُعَاءً قَرِيباً مِنَ الْإِجَابَةِ، ظَنَّاً مِنْهَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَمَا يَصْدُرُ مِنَ الضَّيْفِ عَلَى سَبِيلِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ كَقَوْلِ الدَّاعِي: اللهُ يُعْطِيكَ مَالًا وَيَرْزُقُكَ وَلَدًا، فَقَالُوا: هَذَا مِنَّا لَيْسَ بِدُعَاءٍ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى"[16].

ونجد في السنة النبوية دلالة أخرى لهذه الحركة الجسدية، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ"[17]، فقد أمرنا الإسلام أن نصبر عند وقوع المصائب، وألا يصدر عنّا شيء من أفعال الجاهلية، أو ما يُظهر رفضنا لقضاء الله وقدره، ومن ذلك، على سبيل المثال، لطم الخدود؛ ويدل هذا الكينومورفيم المقيد، في هذا الموقف،

15() ابن فارس، أحمد (ت 395هـ–1004م): **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. ط:1. 1399هـ. 3/ 276.

(16) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 28/ 177.

(17) البخاري، محمد بن اسماعيل (256هـ–870م): **الجامع المسند الصحيح**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط:1. بيروت: دار طوق النجاة. 1422هـ. ح.ر: 1294. 81/2.

على الحزن، والجزع، والسخط من قدر الله تعالى، ويبدو أن هذه الحركة الجسدية تضربُ في جذورها لأفعال الجاهلية؛ إذ كانت تصدر عن النساء في حال فقد عزيز من أعزائهنّ، فأمرنا الرسول بالابتعاد عن كل ما يتصل بتلك الجاهلية، أو جذورها، وأن نصبر على ما أصابنا.

وتظهر مثل هذه الحركة الجسدية، في قَول الشاعر[18]: [الطويل]

تَقُـولُ وَصَـكَّتْ وَجْهَهـا بِيَمِينهـا أَبَعْـلِيَ هَـذَا بـالرَّحَى الْمُتَقَـاعِسُ
فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلـي وَتَبَيَّنـي بَلائـي إِذَا التَفَّتْ عَلَيَّ الفَـوَارِسُ

وقد علّق ابن جني على الدور الدلالي الذي أداه الكينومورفيم المقيد (صكّ الوجه)، وقدرته على اختصار كثيرٍ من الكلمات والعبارات، قائلاً: "فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس - من غير أن يذكر صكَّ الوجه- لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجِّبةً مُنكرةً، لكنَّه لما حكى الحال فقال: (وصكتْ وجهها) عُلِمَ بذلك قوةُ إِنْكارِها، وتعاظُمُ الصورة لها. هذا مع أنك سامعٌ لحكاية الحال، غَيرُ مُشاهدٍ لها، ولو شاهدْتَها لكُنْتَ بها أعرفَ ولعِظَمِ الحال في نفس تلك المرأة أَبْيَن، وقد قيل: (ليس الـمُخْبَرُ كالـمُعاين) ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكَّت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها..."[19].

وبذلك تتجلّى لنا من الأمثلة السابقة، الدلالات المتعددة التي أظهرتها لغة الجسد، المتمثلة في (صك الوجه)؛ فمرة تدل هذه الحركة الجسدية على التعجب، ومرة على الحزن والسخط، وأخرى تدل على الاستنكار، ولو تتبعنا دلالات هذا الكينومورفيم المقيد لظهرت لنا دلالات أخرى، وكما ذكرنا، فإنَّ علم لغة الجسد

(18) يُنسب لأبي ملحم السعدي. يُنظر: ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد (328هـ-940م): **العقد الفريد**. تح: مفيد قمحية. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1404هـ. 1/99-100.

(19) ابن جني، عثمان (392هـ- 1002م): **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار. ط:2. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر. 1952م. 1/245-246.

علم واسع، ونظرياته متعددة، ولا يمكننا أن نتناول حدوده، أو تفرعاته، في هذا البحث.

الباب الثاني: سورة عبس، اسمها ومحاورها:

يُعدُّ اسم "عبس" وهو الاسم الأكثر شهرة بين طبقات المشتغلين في علوم القرآن الكريم وتفسيره، ولهذه السورة أسماء عدة، هي: سُورَةُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُوم، والصَّاخَّةِ، والسَّفَرَةِ، والْأَعْمَى[20]، ومما يجب ذكره، أنَّ السيوطي رحمه الله لم يذكر هذه السورةَ في السِّورِ التي لها أكثر من اسم[21]، وتُعدُّ سورة "عبس" السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحملُ اسماً يدل على حركة جسدية، وهو فعل العبوس، وينتجُ هذا الفعل عندما يُقطِّب الرجلُ مَا بَين عَيْنَيْهِ، وتوحي هذه الحركة الجسدية على الغضب والكره، وإذا طغت تلك الحركة على مُحيَّا الإنسان يُقال عندها عنه: عَبَّاس[22].

وكان سبب نزولها، كما روى الإمام مالك عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: "أُنْزِلَتْ {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس:1] فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ". جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَدْنِنِي، وَعِنْدَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَقُولُ: "يَا أَبَا فُلَانٍ، هَلْ تَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟" فَيَقُولُ: لَا، وَالدِّمَاءِ، مَا أَرَى بِمَا تَقُولُ بَأْساً. فَأُنْزِلَتْ {عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: 2]"[23].

(20) ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ-1973م): **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984م. 101/30.

(21) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ-1505م) **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1394هـ. 196/1.

(22) يُنظر: الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ-981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م. 69/2، ومقاييس اللغة. 211/4.

(23) ابن أنس، مالك (ت 179هـ-795م): **موطأ الإمام مالك**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار التراث العربي. 1405هـ. (باب ما جاء في القرآن) ص:203.

وتوزعت محاور هذه السورة في: قصة رَسُولِ اللهَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع عبد الله بن أم مكتوم، رضي الله عنه، وعلو شأن الَقرآن الكريم، ومراحل خلق الإنسان من الخلق إلى البعث، والدعوة إلى التفكر في الطعام الذي يأكله الإنسان. وصور من أهوال يوم القيامة، وانقسام الناس يومها إلى فريقين(24).

الباب الثالث: تجليات لغة الجسد في سورة عبس:

عندما نتدبر آيات الله تعالى، في قرآنه الكريم، نجدُ للغة الجسد، ظهوراً بارزاً، وحضوراً قوياً، لا يقل أهميةً عن اللغة المنطوقة (Verbal Language)؛ ليكونَ هذا الخطاب الإلهي القرآني خطاباً حياً متجدداً، يجد فيه المتلقي حيوية اتصالية، تُجسِّدُ بعضَ مقاصد القرآن الكريم؛ فعندما يتدبر المتلقي القرآنَ الكريم، يشعرُ أن القرآن نزل الآن، عذباً، غضاً، طرياً، وتتبوأ لغة الجسد في القرآن الكريم مكانة عظمى، ففي دراسة تضمنت (4480) آية قرآنية، من أصل (6236) آية قرآنية، هي مجموع آيات القرآن الكريم، شكلت لغة الجسد في تلك الآيات نسبةً مرتفعة بلغت (72٪)(25)، ولعل هذه النسبة المرتفعة تؤكد أهمية لغة الجسد في إبراز المعنى للمتلقي، وتحمل دلالات علينا أن نتدبرها كما نتدبر اللغة، وبدأت دراسات علمية تظهر، جعلت محور دراستها تحليل لغة الجسد في القرآن الكريم(26).

---

(24) يُنظر: محمود مهنا وعيسى وادي،: **مِن دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**. ط:2. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون. 1440هـ. ص:457–460

(25) أحمد، محمد الأمين موسى: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. ط:1. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام. 2003م.ص:18.

(26) توجد دراسات عديدة، حللت لغة الجسد في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال:

– العبد، محمد: **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة**. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي. 1415هـ.

– عودة، عبد الله: **أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم**. ط:1. عمّان: دار النفائس. 2005م.

– عرار، مهدي: **البيان بلا لسان**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2007م.

– عتيق، عمر: **لغة الجسد في القرآن الكريم**. جامعة آل البيت: **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**. مجلد (9) عدد (1/ أ) 1434هـ. ص ص: 81–97. ==

وعند العودة إلى دلالة اسم السورة مع آياتها، ومحاورها، نجد أنَّ الفعل الحركي (عبس) يُلقي بظلاله على السورة كاملة؛ إذ جاءت لغة الجسد في (14) آية من مجمل آياتها البالغة (42) آية، أي: إنها بلغت ما نسبته (33٪)، وهذه نسبة كبيرة جداً في سورة واحدة، وسنقوم بتحليل لغة الجسد في هذه السورة الكريمة، عن طريق توزيعها في خمسة محاور، هي: الوجه، والحضور، والتلهي، والفرار، واليد. والرسم البياني اللاحق، يُظهر توزيع النسب المئوية لهذه المحاور:

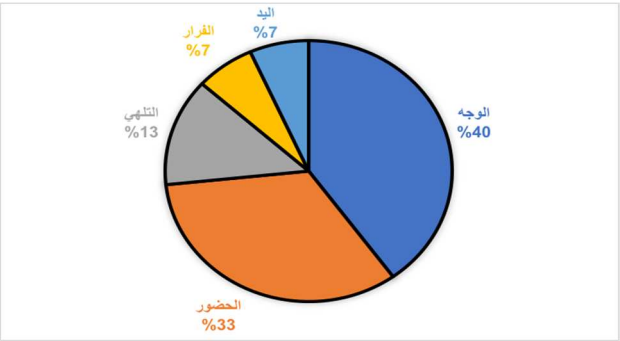

1. محور الوجه:

يتربع الوجه في قمة دلالات لغة الجسد؛ إذ هو أول ما يُقابل المتلقي الحاضر، ويستطيع أن يُعبِّرَ عن أفكار الإنسان الداخلية تعبيراً دقيقاً، وتظهر الانفعالات النفسية عليه دون قدرة على إيقافها أو التحكم فيها؛ ويبدو أن سبب هذه القوة التعبيرية فيه، وجود أكثر من عضو جسدي فيه، مثل: العينان، الحاجبان، والفم، والخد، وغيرها، وتضم "هذه المجموعة [أي الوجه

== – ابن يونس، شهرزاد: **لغة الجسد في القرآن الكريم– مقاربة سيميولوجية لحركتي العين واليد**. الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة. **مجلة العلوم الإنسانية**. عدد (43) مجلد (ب). 2015م. ص ص: 203–225.

– النوري، محمد جواد: **لغة الجسد – علم الكينات. دراسة نظرية تطبيقية**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2018م. ص:193–250.

وملحقاته] من تعبيرات الجسد سبعة وستين (67) تعبيراً"[27]. ولعل الصورة التعبيرية المرفقة رقم (1)، تُظهر بعضاً من لغة الوجه.

صورة رقم (1) بعض من ملامح لغة الوجه.

وقد عرف العربُ هذه القوة التعبيرية لضمائر النفس البشرية، فتمثلوها في أشعارهم وأقوالهم، يقول الشاعر[28]:

متى تَكُ في صَدِيـــقٍ أو عَــدُوٍّ تُخَبِّرْكَ الوُجُوهُ عَـنِ القلـــوبِ

فعندما تتغير تعابير الوجه، فرحاً أو سروراً، أو تعجباً، أو إنكاراً، عندها يُطلق على هذه الحركة الجسدية مصطلح الوحدة الحركية كينيم (kineme) وهذه الحركة الجسدية، تُعطي أكثر من دلالة يُحددها الموقف النفسي الذي صدرت

(27) داود، محمد: **جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية– دراسة دلالية ومعجم**. ص:32.

(28) **ديوان زهير بن أبي سلمى**. تحقيق: علي حسن فاعور. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1408ه. ص:29.

عنه، أو الموقف الاجتماعي الذي حدثت فيه، ويُسمى هذا التنوع الحركي ألوكين (Allokine)[29] "قياساً على تنوعات الوحدة الصوتية الواحدة [ألوفون] (Allophone)"[30][31]

وفي السنة النبوية أحاديثُ كثيرةٌ تدل على مكانة لغة الوجه، في معرفة حال النبي محمد، "صلى الله عليه وسلم"، من فرح أو غضب، فها هو ذا كعب بن مالك، يقول: "وَكَانَ رَسُولُ الله، "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ **وَجْهَهُ** قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ"[32]، وفي حديث آخر عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَامَ عَلَى البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ **فِي وَجْهِهِ**

(29) يُقصد بالألوكين: "واحدٌ من عدة متغيِّرات غير وظيفية لإشارة ما. ويقصدُ بالإشارةِ تلكَ التي تصاحبُ القولَ، أو تسدُّ مسدَّه، مثل حركةِ العَيْنِ، أو اليدِ، أو الرَّأْسِ، أوالأصابع". يُنظر: الخولي، محمد علي: **معجم علم اللغة النظري**. ص: 10.

30() يُطلق مصطلح "الفون" Phone، أو "الألوفون" Allophone على التنوع الصوتي السياقي للفونيم؛ ففونيم النون، على سبيل المثال، هو صوت رئوي، مستخرج، أنفي، لثوي، مائع ذو وضوح سمعي مجهور. ولكن هذا الفونيم عندما يأتي في كلمة مثل "ينظر"، يصبح حاملاً لصفات صوتية جديدة فرضها السياق الذي جاء فيه، فهو صوت: رئوي، مستخرج، مؤنف، لثوي أسناني، احتكاكي، مجهور، مفخم. في حين إذا جاء بعد هذا الفونيم، أي فونيم النون، فونيم الباء، مثل (من بعد)، يظهر لدينا ألوفون النون الساكن، مع الباء، وهو صوت: رئوي، مستخرج، أنفي، شفوي ثنائي، مجهور. يُنظر:

– أغبر، بسام: **الوحدة الصوتية، أو الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجاً**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2019. وللتعرف إلى الفرق بين الحرف؛ أي "الفونيم"، والصوت؛ أي "الألفون"، يُمكنُ الاطلاعُ على:

– ابن جنّي، عثمان (392هـ– 1002م) **سر صناعة الإعراب**. تحقيق: محمد إسماعيل. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1428هـ. 1/ 19.

– حسان، تمام: **اللغة العربية بين المعيارية والوصفية**. القاهرة: عالم الكتب. 2000م. ص:119.

(31) العبد، محمد: **العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال**. ص: 117.

(32) ابن الحجاج، مسلم: **المسند الصحيح**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ح.ر: 2769. 4/ 2127.

الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَتُوبُ إِلَى اللهَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[33].

وبذلك يَظهر لنا أكثر من حركة جسدية، أو ألوكين، بحسب الحالة النفسية، والإنفعالية والانفعالية للإنسان.

لقد حاز محور لغة الوجه، أو ألوكين الوجه، في سورة عبس، على النسبة الأعلى فيها؛ إذ بلغ (40٪) من محاور لغة الجسد، وتوزع هذا المحور، على ثلاثة حقول دلالية، هي: العبوس، والفرح، والبؤس.

(أ) العبوس:

افتتحت هذه السورة الكريمة، بقوله تعالى:{عَبَسَ وَتَوَلَّى(1)}، وذكرنا فيما مضى ما رواه الإمام مالك عن سبب نزول هذه السورة، ويُعطينا التدقيق، أو تحليل الحادثة سبباً، أو أسباب عبوس النبي المصطفى، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، في وجه الصحابي الكريم عبد الله بن أم مكتوم؛ إذ كان رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، حريصاً على دخول كبار الكفرة في الإسلام، وفي دخولهم للإسلام فتحٌ عظيم؛ إذ يدخلُ معهم خلق كثير، من الأبناء والأتباع، إضافة إلى ذلك، تُرفع العصا الغليظة عن المسلمين، فكان النبيُّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» يشحذ طاقته كلها، ويستعملُ ما فتح الله عليه من أساليب الدعوة، ويتفنن في إقناعهم، يُقبل عليهم وَيَقُولُ: "يَا أَبَا فُلَانٍ، هَلْ تَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟"، فكان همُّه عظيماً، وغايته «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، جليلة، وفي هذا الموقف الدعوي والنفسي، جاء ابن أم مكتوم، طالباً التفقه في الدين، ومعرفة أحكامه، وهو، أي، ابن مكتوم، "وَإِنْ كَانَ لِفَقْدِ بَصَرِهِ لَا يَرَى الْقَوْمَ، لَكِنَّهُ لِصِحَّةِ سَمْعِهِ كَانَ يَسْمَعُ مُخَاطَبَةَ الرَّسُولِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أُولَئِكَ الْكُفَّارَ، وَكَانَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهُمْ أَيْضاً، وَكَانَ يَعْرِفُ بِوَاسِطَةِ اسْتِمَاعِ تِلكَ الكَلِمَاتِ شِدَّةَ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»،

(33) **صحيح البخاري**. ح.ر:2105. 3/63.

بِشَأْنِهِمْ"[34] ومعلوم أنَّ مخاطبة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» تحتاج إلى أدب ووقار، بل إنَّ مجرد نداء الرسول بصوت عالٍ، أو في وقت غير مناسب، فيه إيذاء له، ألم يقل ربنا: {إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الْحُجُرَاتِ: 4] وقيل: "إِنَّمَا عَبَسَ، النَّبِيُّ، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، لِأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الَّذِي كَانَ يَقُودُهُ أَنْ يَكُفَّهُ، فَدَفَعَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُكَلِّمَ النَّبِيَّ، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، حَتَّى يُعَلِّمَهُ، فَكَانَ فِي هَذَا نَوْعُ جَفَاءٍ مِنْهُ"[35].

ومعلوم "أَنَّ الْأَهَمَّ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُهِمِّ"[36]؛ فالأهم دخول هؤلاء النفر إلى الإسلام، وهو أمر مُقدَّمٌ على معرفة أحكام جديدة، فالإسلام قد وقر واستكنَّ في قلب هذا الصحابي الجليل، رضي الله عنه، وفي هذا الموقف اتَّخذ رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» حركة جسدية لا إرادية، وهي العبوس؛ لأنَّه أُشغلَ عن أعظم مهمة موكلة إليه، وهي الدعوة إلى الإسلام؛ فهذا الفعل الجسدي أو الألوكين، أظهر الحالة النفسية العابسة لرسول الله، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، مع أنَّ المعبوس بوجهه، وهو ابن أم مكتوم، رضي الله عنه، أعمى لا يرى، وفي ذلك تعظيم رباني لهذا الإنسان، ومَن كان مثله، وتوجيه لكل من يعمل في حقل الدعوة الإسلامية، بضرورة الاهتمام بهذه الشريحة الضعيفة، وأن يأخذوا نصيبهم في الحياة، كاملاً غير منقوص، فالإعاقة لا تعني التهميش، وكان رسول الله، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، "بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَكَانَ إِذَا

(34) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 52/31.

(35) القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ–1273م) **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط:2. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1384هـ. 213/19.

(36) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 52/31.

نَظَرَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مُقْبِلاً بَسَطَ إِلَيْهِ رِدَاءَهُ حَتَّى يُجْلِسَهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ اسْتَخْلَفَهُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ حَتَّى يَرْجِعَ"[37].

ب) الفرح:

ومن دلالات لغة الوجه في هذه السورة الكريمة ظهور الفرح على الفئة المؤمنة، وذلك في قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39)}** إذ تنقلنا هاتان الآياتان إلى موقف عظيم، وأهوال كبيرة، تأخذنا إلى مشهد عظيم يحدث بعد خروج الناس إلى يوم القيامة، وانقسامهم إلى فريقين، فريق نجا، وفريق فرَّ وهوى، فكيف بيّنت لنا هاتان الآيتان الحالة النفسية للفريق الناجي؟

إنَّ أول ما وصفت به وجوه المؤمنين الناجين أنها **{مُسْفِرَةٌ}** ويدل الجذر اللغوي (سفر) على الِانْكِشَافِ وَالْجَلَاءِ، ومنه يُقال: أَسْفَرَ الصُّبْحُ إذا انكشَفَ الظَّلَامُ. وَوَجْهٌ مُسْفِرٌ إِذَا كَانَ مُشْرِقًا سُرُورًا[38]، فأولى حالات الفرح لهذه الفئة الناجية هو خلاصها "مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا وَالِاتِّصَالِ بِعَالَمِ الْقُدْسِ وَمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ وَالرَّحْمَةِ"[39]، والسبب الآخر، هو انكشاف الغمة عنهم، ووجودهم في صف الفريق الناجي، وابتعادهم عن زمرة الفريق الهالك، هذا كله جعل وجوههم ضَاحِكَةً، أو بمعنى آخر ظهر السرور الداخلي، والاستقرار النفسي عندهم على صفحات وجوههم، بلغة جسدية تتمثل في عملية الضحك، التي يرافقها صدور أصوات الفرح، ونجد أنَّ القرآن الكريم قد وظَّف في هذا الموقف المقالي كلمة (ضاحكة)، ولم يأتِ بكلمة (مبتسمة)؛ إذ إنَّ أنَّ دلالة الضحك أوسع وأعم من

(37) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ–923): **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد شاكر. ط:1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1420هـ. 218/24–219. وكذلك:

– الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت 1122هـ–1710م): **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**. تحقيق: طه سعد. ط:1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 1424هـ. 16/2–17.

(38) يُنظر: ابن فارس، أحمد (ت 395هـ–1004م): **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. ط:1. 1399هـ.

(39) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 62/31.

دلالة الابتسام؛ لأن عملية الضحك يشترك في إنتاجها أكثر من عضو جسدي من أعضاء الوجه، وتحدث دفعة واحدة، إضافة إلى صدور أصوات تنم عن الفرح، في حين، لا ينتج الابتسام إلا إذا انفرجت الشفتان وبانت بعض الأسنان، ولا يصدر فيها أيُّ صوت، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد تكون الابتسامة مصطنعة، وتكون الشفتان في حالة التصنع، في وضع جانبي، وتظل بقية عضلات الوجه وملامحه دون حركة[40]، من أجل ذلك، نستطيع القول: إنَّ كلَّ كلمةٍ في القرآن الكريم تعشق موضعها، ولا يمكن أن يحل مكانها، أو يؤدي دورها، أي كلمة أخرى.

ونعود إلى عملية الضحك، المرتسمة في صفحات وجوههم؛ إذ أنَّ تلك العملية زادت نسبتها في قلوبهم، وزاد الفرح الداخلي في نفوسهم عندما نجوا من الهول المذهل والفزع الأكبر؛ فأصبحت وجوههم {مُسْتَبْشِرَة}؛ بسبب وعد رباني كان لهم في الدنيا، عندما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا (122) } [النساء: 122]، ولأن هذا الاستبشارَ هو غاية الاطمئنان، وقمة السعادة، استعمل القرآن الكريم كلمة تشي بمبالغة المعنى، فقال: {مُسْتَبْشِرَةٌ}؛ إذ منح دخول السين والتاء إلى البناء اللغوي، في هذه البنية الصرفية، المبالغة[41] في الفرح لما وجدوه من نعيم رباني أبدي، إضافة إلى ذلك، فإنَّ هذه الكلمات الثلاثة: {مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ، مُسْتَبْشِرَةٌ} جاءت كلها أسماء، ولم تأتِ أفعالاً، ومعلوم أن الاسم يدل على الثبوت[42]، وتنتمي هذه الأسماء إلى عائلة اسم الفاعل الذي يدل على الحدوث[43]؛ أي: إنَّ القرآن الكريم وظّف

(40) شيلي هاجن: **كل شيء عن لغة الجسد**. ص:92.

(41) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. 138/30.

(42) الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ- 1078م): **دلائل الإعجاز**. تحقيق: محمود شاكر. ط:3. جدة: دار المدني. 1413هـ. ص:174.

(43) الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسين: **شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**. تحقيق: يوسف عمر. ط:2. بنغازي: جامعة قار يونس. 1996م. 413/3.

صيغة اسم الفاعل، في هذا المقام ليدل على حدوث الفرح على وجوه الفئة الناجية، ويبقى مرافقاً لهم حتى يدخلوا جنان النعيم.

وبذلك عبّرت لغة جسد هذه الفئة الفائزة عن سرائر نفوسها، وترجمتها حركات بارزة على صفحات وجوه أعضائها، وأغنت كلمات قليلة عن شرح أحوال كثيرة.

ت) البؤس:

وفي مقابل الفرح الخالد للفئة المؤمنة، تأتينا- في هذه السورة الكريمة- مظاهرُ البؤس الدائم على وجوه فئة خاسرة هالكة، ويصور لنا القرآن الكريم الحالة النفسية الذليلة لها، بتعابير جسدية قاسية، لا يمكن إخفاؤها، أو محاولة تصنع عكسها، يقول تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)}.

فأول علامات هلاك هذه الفئة أن تعلو وجوهها غبرةُ الذل والهوان؛ لأنَّ من صفات هذه الفئة -في الدنيا- التكبر والتعالي على أوامر الله تعالى، وعلى خلقه، وعباده، فأذلها الله تعالى في يوم يكون فيه عبادُ الله في أمن، وأمان، وعلو شان، ويغشى وجوه الفئة الهالكة -بعد الغبرة- سواد الانقباض، "وَلَا يُرَى أَوْحَشُ مِنَ اجْتِمَاعِ الْغَبَرَةِ وَالسَّوَادِ فِي الْوَجْهِ"[44].

إنَّ ابتعاد هذه الفئة الهالكة عن رحمة الله تعالى، جعلها محجوبةً عن النجاة، ومَن طُردَ مِن رحمة الله، ودخل في لعنته، يصبه العذاب النفسي، الذي يُعدُّ أشدُّ أثراً في النفس من العذاب الجسدي، أَلم يقل ربُنا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162)} [البقرة: 161، 162]؛ فهذه الفئة

(44) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ-1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 62/31.

الهالكة، جمعت بين الكفر، وهو الظلم العظيم، والفجور، وهو صفة الكَاذِب الْمُفْتَرِي عَلَى اللهَّ تَعَالَى، المائل عن الحق؛ أي أنها جمعت بين فسادين: فساد الاعتقاد، وفسادَ العمل، فهذه الفئة لا تبالي بما ترتكبه من معاص وآثام، فجزاهم الله، جل في علاه بسوء أعمالهم، فكما جمعوا بين الكفر والفجور في الحياة الدنيا، جمعَ الله الغبرة والسَّواد في وجوهِهم[45]، وهل هناك عضو من أعضاء جسد الإنسان تظهر عليه ملامح الذُّلِّ والصَّغَار كما تظهر على قسمات الوجه وملامحه؟

2) محور الحضور:

يأتي هذا المحور في المرتبة الثانية بين محاور لغة الجسد في هذه السورة؛ إذ بلغت نسبته (33٪)، ويندرج تحت هذا المحور: الحديث عن مجيء ابن أم مكتوم إلى النبي «صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وسعيه للحصول على مرضاة الله تعالى، ووصف لمجيء الصاخة، وأخيراً تصدي رسول الله «صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، للمشركين وإرهاق نفسه طمعاً في إسلامهم، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ) دلالة الفعل "جاء":

يبدأ هذا الفعل بصوت الجيم، ويُختتم بصوت الهمزة، ويُعدُّ هذان الصوتان، في اللغة العربية، من الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي لإنتاجهما، مما جعل الناطق العربي، في نطقه اللهجي، يلجأ إلى طرائق نطقية ديافونية[46] أو

(45) يُنظر: الطبري: **جامع البيان**. 234/24، و: الرازي: **مفاتيح الغيب**. 62/31، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. 226/19.

(46) يُقصد بمصطلح الديافون (Diaphone) كما يقول دانيل جونز: "اسم لعائلة من الأصوات تتكون من الصوت الذي ينطق به المتكلم في مجموعة معينة من الكلمات مع الأصوات الأخرى المختلفة التي يستعملها متكلمون آخرون في اللغة نفسها". ويمكننا أن نمثل لذلك في اللغة العربية، بأشكال "نطق الجيم الفصحى بين التركيب والاحتكاكية والانفجارية". يُنظر:

- Daniel Jones, The phoneme: Its Nature and Use, Cambridge University Press, Cambridge, 1976 .P: 196.

- عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**. القاهرة: عالم الكتب. 1418هـ. ص: 260

فاريفونية[47] متعددة، تخلصه، من صعوبة نطق هذين الصوتين؛ فصوت الجيم الذي يُصنف ضمن الأصوات المركبة (Affricates)، عمد الناطق العربي إلى التخلص من هذا الصوت المركب، فتعددت طرائق نطقية فيُنطق: كافاً مجهورة، أو دالاً، أو شيناً مجهوراً، أو ياء، أمَّا صوت الهمزة الذي عدَّه كثيرٌ من الباحثين، صوتاً لا مهموساً ولا مجهوراً، فإنَّ كثيراً من الناطقين يميلون إلى التخلص منه، إما بإسقاطه من الكلام، أو إلى تسهيله[48].

ويبدو أن المكونات الصوتية الصعبة لهذا الفعل، ألقت بظلالها على دلالته، فهو يدل على حصول الحضور، ولكن بمشقة وصعوبة؛ إذ يفرِّقُ علماء اللغة، والمشتغلون في العلوم القرآنية، بين دلالة (المجيء، والإتيان، والإقبال)؛ إذ يدلُّ الجذر (جيأ) على الحضور، وهو أعمُّ من الإتيان؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة. والمجيء كذلك هو أعمُّ من الإقبال الذي يدل على الإِتيَان مِنْ قِبَلِ الْوَجْه، في حين يدل المجيء على الإتْيَان من أَي وَجه كَانَ[49]. ويرى الباحث السامرائي أنَّ المجيءَ يستعملُ "لما فيه صعوبةٌ ومشقة، أو لما هو صعب وأشق مما تُستعمل له

(47) يُقصد بمصطلح الفاريفون (Variphone): الأداء النطقي للفونيم، حسب نوعية البيئة الاجتماعية، والنفسية، والإقليمية التي يتفاعل معها المتكلم في لحظة ممارسته للاتصال اللغوي. يُنظر:

– Jones. p:205

- عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**. ص: 264

(48) لمعرفة قصة تطور هذين الصوتين، والطرائق اللهجية المتعددة لنطقهما في اللغة العربية، يُنظر:

- بشر، كمال: **علم الأصوات**. القاهرة: دار غريب. 2000م. ص: 309–342.

- النوري، محمد جواد: **دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2018م. ص: 114–118.

- أغبر، بسام: ظاهرة القلقلة في الدرس التراثي، في ضوء الدرس الصوتي الحديث– دراسة تطبيقية على سورة البقرة. غزة: **مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية**. الجامعة الإسلامية. مجلد (26) عدد (1). 2018م. ص: 197– 225.

(49) يُنظر: أبو هلال العسكري (ت 395ه– 1005م): **الفروق اللغوية**. تحقيق: محمد سليم. ط:1. القاهرة: دار العلم والثقافة. 1418ه. ص:306. وكذلك:

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان الداودي. ط:1. دمشق: دار القلم. 1412ه. ص: 212.

(أتى) فهو يقول مثلاً: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التنور} [المؤمنون: 27]، وذلك لأنّ المجيء فيه مشقة وشدة. وقال: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ} [ق: 19]"[50].

وتظهر هذه الدلالة، في محور المجيء والسعي، عندما وصف القرآن الكريم، مجيء ابن أُمِّ مكتوم إلى رسول الله، «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقدوم هذا الإنسان الذي يُعاني من فقدان البصر، يعني أنَّه كابد الصعاب والمشاق ووعورة الطريق، حتى تمكن من قطع المسافة، والوصول إلى مبتغاه، فقال القرآن الكريم عنه: {أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2)}، وكرر هذا المجيء عندما قال في موضع آخر: {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8)} إذ أفاد فعل "السعي" على حدوث قدومه مسرعاً، طالباً باختياره التفقه في أمر الدين، والخشيةُ تسكنه {وَهُوَ يَخْشَى (9)}، وتحمل دلالة الخشية في هذا الموضع، ثَلَاثَةَ أَوْجُهٍ، أنه: "يَخْشَى اللهَ وَيَخَافُهُ فِي أَنْ لَا يَهْتَمَّ بِأَدَاءِ تَكَالِيفِهِ، أَوْ يَخْشَى الْكُفَّارَ وَأَذَاهُمْ فِي إِتْيَانِكَ، أَوْ يَخْشَى الْكَبْوَةَ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْمَى، وَمَا كَانَ لَهُ قَائِدٌ"[51]، وبذلك نقلت لنا لغة جسد هذا الصحابي الجليل، حرصه على مرضاة الله، عز وجل، والسعي إلى هدفه، دون أن يمنعه مانع، أو يقعده قاعد.

وتظهر دلالة الصعوبة، التي يحملها الفعل (جاء)، في قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33)}

فالصَّاخة الصيحة الشديدة تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ، أَيْ: إنها تُصِمُّهَا. وتدل الصاخةُ فِي الْقُرْآنِ الكريم عَلَى حَادِثَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وانْتِهَاءِ هَذَا الْعَالَمِ، عندما تَحْصُلُ صَيْحَاتٌ، مِنْهَا: أَصْوَاتٌ تُزَلْزِلُ الْأَرْضَ، وَاصْطِدَامُ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ ببعضها بعضاً، أو بِالْأَرْضِ مَثَلاً، وَنَفْخَةُ الصُّورِ الَّتِي تُبْعَثُ عِنْدَهَا النَّاسُ[52]، فهذه

(50) السامرائي، فاضل صالح: **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**. ط:4. عمّان: دار عمّار. 1428هـ. ص: 97.

(51) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.54/31.

(52) ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ–1973م): **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984م.134/30–135. بتصرف.

الصيحة تُثير الرعب والخوف الشديدين، في النفس عند سماعها، ومشاهدة تبعاتها من دمار، وأهوال، وخراب.

إنَّ تحليل المكونات الصوتية لهذه الكلمة؛ أي الصاخة، يُظهر لنا أنها تتكون من صوتين مفخمين، تتوسطهما حركة المد الطويل، أو الفتحة الطويلة، التي يُسميها تراثنا اللغوي ألفا، فالصَّاخة مبدوءة بصوت الصاد المفخم تفخيماً كاملاً، وهو صوت صفيري احتكاكي مضَّعف، ويأتي بعده المد الطويل، كما قلنا، ثم صوت الخاء المفخّم الاحتكاكي المضعَّف، فأصوات هذه الكلمة لها جرس قوي نافذ، مما ساعدها على حمل الدلالة المعنوية التي تشي بها هذه الكلمة؛ فالصَّاد هنا يدل على الصوت الشديد، والمدّ الطويل ساعد في زيادة طول هذا الصوت، والخاء يدل على اضطراب واحتكاك.

لقد جُسّدت هذه الصاخة، هُنَا مَجَازاً فِي "الحُصُولِ وَالْوُقُوعِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْمُؤَقَّتَ الْمُؤَجَّلَ بِأَجَلٍ يُشْبِهُ شَخْصًا سَائِرًا إِلَى غَايَةٍ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ الْمُؤَجَّلُ عِنْدَ أَجَلِهِ فَكَأَنَّهُ السائر إِلَى مكانه المَقصُود."[53] وذلك كلُّه جعل الفعل "جاء" يتفق في دلالته المعنوية، التي تدل على الصعوبة، كما قلنا، مع الدلالة المعنوية لـ "الصاخة" التي جُسدت مجازاً في هيئة شخص يأتي حاملاً معه أهوالا وصعابا.

ومن المهم الإشارة إلى ملامح دلالية أُخرى للفعل "جاء"، استنبطها الباحث داود، تتمثل في خصوصية هذا الفعل بالإنسان، ودلالته على الحركة، والانتقال، والإياب والحضور[54].

ب) التصدي:

لقد بلغ حرص النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» على إسلام الناس عامة، وصناديد الكفرة خاصة، حدا لا يمكن وصفه، فأصابه، عليه الصلاة والسلام، الهمُّ والغمُّ؛ لعدم إيمانهم، وفي ذلك يقول تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى

(53) **السابق**. 90/30.

(54) داود، محمد: **الدلالة والحركة. دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة**. ط:1. القاهرة: دار غريب. 2002. ص:150–152.

آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)} [الكهف: 6] وفي سورة عبس يظهرُ ذلك الحرصُ الهائل، في قصة حواره، عليه الصلاة والسلام مع أولئك الكفرة، وعندما أعرضوا عنه «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» بالغ في الإقبال عليهم، والميل إليهم، فقال تعالى: {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى(6)} والفعل {تَصَدَّى} فيه قراءتان متواترتان(55)، هما:

1. قراءة تخفيف الصاد: {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} وقرأ بها: عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب، وخلف.

2. قراءة تثقيل الصاد: {فَأَنْتَ لَهُ تَصَّدَّى}، وقرأ بها نافع وابن كثير وأبو جعفر.

ومعنى الفعل {تَصَدَّى} أي: "تتعرّض لَهُ، وتميل إِلَيْهِ، وتُقبل عَلَيْهِ"(56)، ويؤدي تشديد الفعل إلى المبالغة في تنفيذه، أو زيادة الحرص على القيام به، وبذلك يكون المؤدي لهذا الفعل استعمل جسده كاملاً لإقناع الطرف المقابل، ويكون ذلك بأساليب كثيرة، منها: حسن استقبالهم، وإقبال وجهه عليهم، والإنصات لكلامهم، ومبادلتهم الحديث، وحشد الطاقات الجسدية واللغوية لإقناعهم، وإجلاسهم في مكان يليق بمنزلتهم، وربما استعمل رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هذه الأمور، أو بعضاً منها، أو غيرها؛ حرصاً على إسلامهم، وطمعاً في إيمانهم وإيمان من معهم، ومِنَ المُسلَّم به أنَّ تعدد القراءات القرآنية يؤدي إلى اتّساع المعاني، وبذلك "تدل القراءتان أنَّ النبيَّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» من حرصه على إيمان المشركين كان يتصدَّى لهم، بل يبالغُ في ذلك"(57).

---

(55) ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 833هـ-1429م) **النشر في القراءات العشر**. تحقيق: علي الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية. 398/2.

(56) الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ-981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.74/12.

(57) محمود مهنا، وعيسى وادي: **اتّساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية**. ط:1. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون. 1438هـ. 632/3.

3. محور الابتعاد:

يضم هذا المحور الحركات الجسدية التي تدل على التلهي والابتعاد، أو الانشغال عن السائل، وعدم المبالاة بشخصه، أو تحول الشخص من مكان إلى آخر، وهذه التصرفات لا يمكن أن تكتمل بحركة جسدية واحدة، بل تحتاج إلى حركات جسدية؛ ليكتمل بناؤها، وتتضح دلالتها. واحتل هذا المحور المرتبة الثالثة بين محاور لغة الجسد في هذه السورة الكريمة؛ إذ بلغت نسبته (13٪).

(أ) التولي:

يُقصد بالتولي لغة "الإِعْرَاض"[58]، ومنه قوله تعالى: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)} [يوسف: 84] فلما سَمِعَ يَعْقُوبُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، "كَلَامَ أَبْنَائِهِ ضَاقَ قَلْبُهُ جِدًّا، وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَفَارَقَهُمْ"[59]، ومنه قول الشاعر[60]:

[الطويل]

إِذَا مَا امْرُؤٌ وَلَّـى عَلَيَّ بِـوُدِّهِ   وَأَدْبَرَ لَمْ يَصْـدُر بِإِدْبَارِهِ وُدِّي

وظهر هذا الفعل، أي فعل التولي، في هذه السورة في قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى(1)}، وجاء إعراض الرسول عليه الصلاة والسلام عن ابن أُمِّ مكتوم، رضي الله عنه، تالياً للحركة الجسدية الأولى، أو ما أطلقنا عليه -سابقاً- ألوكين الوجه، وهو العبوس، وبذلك أظهرت لنا الحركاتُ الجسدية شدَّةَ انشغال الرسول الكريم عليه الصلاة وأفضل التسليم وإعراضه عن الصحابي الجليل،

(58) الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ-981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م. 325/15.

(59) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ-1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 496/18.

(60) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ-889م): **أدب الكاتب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار الطلائع. 2005م. ص:295.

الراغب في إصلاح نفسه، وزيادة ارتباطه بربه، في المقابل كان منه، عليه السلام، إقبالٌ شديد على ذلك الكافر الزاهد في الإسلام، ونجدُ أنَّ القرآن الكريم خاطب النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، بإسناد الفعلين إلى صيغة الغائب: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، "تَعْظِيمًا لَهُ"[61] عليه الصلاة والسلام، ولم يقل:(عبست وتوليت)؛ لأن العبوس والتولي لا يمكن أن يصدرا "مِمَن جُبلَ على خُلقٍ عظيم، وبُعثَ رحمةً للعالمين"[62]، وربما قد يكون توجيه الخطاب بأُسلوب "الْغَيْبَةِ؛ لِيَكُونَ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ سَمْعَهُ بَاعِثاً عَلَى أَنْ يَتَرَقَّبَ المَعنِيُّ مِنْ ضَمِيرِ الْغَائِبِ فَلَا يُفَاجِئُهُ الْعِتَابُ، وَهَذَا تَلَطُّفٌ مِنَ اللهِ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَقَعَ الْعِتَابُ فِي نَفْسِهِ مُدَرَّجاً، وَذَلِكَ أَهْوَنُ وَقْعاً، وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: {عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} [التَّوْبَة:43]"[63].

(ب) التلهي:

يُقال في اللغة: "لَهِيَ عَن الشَّيْء، يَلهَى: إذا تشاغل بِغَيْرِهِ"[64]، وعند حدوث هذا الفعل من الإنسان في تواصله مع الآخرين، فإنَّ ذلك يعني انصراف الإنسان بفكره، وخطابه، وحركاته، عن شخص، وتوجيهه، أو تسليطه لشخص آخر وذلك لتحقيق مصلحة يجهلها، أو لا يعلمها المُتَلهى عنه، وجاء هذا الفعل في قوله تعالى: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى(10)} والمُتَلهى عنه في هذه الآية، هو ابن أُمِّ مكتوم الذي جاء، في مشقة، كما ذكرنا سابقاً، إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي كان حينها يُكثِّفُ جهوده في مصلحة أخرى، وهي إيمان أولئك الكفرة، على قاعدة تقديم الأَهَمِّ عَلَى المُهِمِّ، وهنا يأتي التوجيه الرباني، لرسول الله

(61) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. 213/19.

(62) محيي الدين شيخ زاده، محمد بن مصلح (ت 685هـ–1287م): **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**. تحقيق: محمد شاهين. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ. 506/8

(63) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 496/18.

(64) الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ–981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.226/6.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكل داعية يسلك طريق النبي الكريم، عليه الصلاة والسلام، في الدعوة إلى الله جلَّ في علاه، أن يا محمد، "مِثْلُكَ خُصُوصاً لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَدَّى لِلْغَنِيِّ، وَيَتَلَهَّى عن الفقير"(65).

إذا ما أَمعنّا الفكر في صيغتي {تَصَدَّى، وتَلَهَّى}، فسنجد أنَّ العربي سيجعل بنيتهما اللغوية على: {تتصدى، وتتلهى}، ولكنَّ التعبير القرآني جاء مخالفاً لما اعتاد عليه العربي، ويبدو أن حذف التاء منهما، يعود إلى أسباب دلالية هي:

1. صدر هذا الموقف من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرةً واحدة، أو في جلسةٍ واحدة، وذلك يعني مدة زمنية قليلة.

2. بالغ النبي، عليه الصلاة والسلام، في إقناع صناديد الكفار، وكان فعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نابعاً من القلب، ورغبة في إسلامهم، وإسلام من معهم.

3. صدر فعل التصدي من الرسول عليه الصلاة والسلام فقط، وليس من أحد آخرَ من الصحابة، وذلك التَّصَدِّي لَا يَلِيقُ بالرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لأجل ذلك كله ناسب حذف التاء في الفعلين، أو بمعنى أدق: ناسب الحذفُ البنائي من الصيغتين الدلالةَ المعنوية، والحركة الجسدية التي اشتمل عليها الفعلان.

4. محور اليد:

تؤدي اليدُ وظائفَ دلالية كبيرة في لغة الجسد، وتكاد توازي في دلالتها ما يؤدي الوجه والفم، بل إنَّ بعض الباحثين ذهب إلى القول: إنَّ "اليدين تنقلان المعنى والمشاعر أكثر مما ينقله الوجه والفم"(66) ويعود سبب ذلك لأنَّ "اليد هي

(65) الزمخشري، محمود بن عمر (538هـ–1144م) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. ط:4. بيروت: دار الكتب العلمية. 1427هـ. 689/4.

(66) شيلي هاجن: **كل شيء عن لغة الجسد**. ص:40

أداة الدماغ، والجزء الوحيد في الجسم البشري الذي هو دوماً تحت العينين، والرابطة المميزة للعالم الخارجي"[67].

تحققُ اليد وما فيها من حركات، أو إشارات، بذاتها، أو مع أعضاء جسدية أخرى، "عدداً لا يُستهانُ به من الكينومورفيمات ... يُجسِّدُ كلُّ واحدٍ منها كينومورفيماً واضح الدلالة"[68]، وتتعدد تلك الدلالات بحسب طريقة أداء حركة اليد، سواء أكان ذلك بسطاً، أم قبضاً، أم تلويحاً، أو تكوّن كينومورفيماً مع أحد أعضاء الجسد، والصورة رقم (2) توضح بعضاً من تلك الحركات:

الصورة رقم (2) بعض حركات اليد

ومن أبرز تلك الدلالات: القدرة، والنعمة والإحسان، والدعاء، والتملك، والشجاعة، والسلام، والبطش[69].

وردت اليد في قوله تعالى:{ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15)} [عبس: 11–15]

(67) باكو نتالي: **لغة الحركات**. ترجمة: سمير شيخاني. ط:1. بيروت: دار الجليل. 1995. ص:42.

(68) النوري: **لغة الجسد**. 147.

(69) يُنظر: داود، محمد: **جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية– دراسة دلالية ومعجم**. ص:96 – 107.

لقد نالت تلك الصحفُ الطهارة بسبب طهارة أولئك السفرة؛ فلمَّا " كَانَ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ أُضِيفَ التَّطْهِيرُ إِلَيْهَا لطهارة من يمسها"[70]، وتعددت أراء المفسرين حول المقصود بالسفرة الذين يملكون الصحف، فقيل هم: الكتبة، أو القرّاء، أو أَصْحَابُ النَّبِيِّ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحي[71].

لقد منحت اليد -في هذا المقام القرآني- دلالة على الطهارة، والرفعة، وامتلاك الأمر العظيم، بل إنَّ هذه الدلالة انتقلت إلى ذلك الشيء المحمول، وهو الصحف، وهنا تبرز لغة الجسد في إنشاء معنى دلالي جديد، أو ربما يكون غير مألوف عند المتلقي.

5. محور الفرار:

تتعدد صور تنقل الإنسان من مكان إلى آخر، بحسب الحالة النفسية التي دعته إلى ذلك الانتقال، فقد يكون مشياً، أو سعياً لطلب حاجة، أو هروباً مما يُخيفه، وقد يكون رجوع القهقرى، أو الإقدام والمغامرة، وغير ذلك مما حفظته لنا المعاجم العربية، وكتب اللغة[72]، ومن أنواع الانتقال، الفرار، وهو نوع من أنواع الرَّوغان والهرب[73] حذراً مما يُخيفه، وإذا فرَّ الإنسان من المواجهة فإنَّه يوصف بالجبن والخوف.

---

(70) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ-1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.56/31.

(71) يُنظر: الطبري: **جامع البيان**. 221/24، و:القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. 216/19.

(72) الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ-1083م) **فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق: الشربيني شريدة. ط:1. القاهرة: دار اليقين. 1431هـ. ص: 147-149

(73) ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458هـ- 1066م) **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق: عبد الحميد الهنداوي. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ. 230/10.

- ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458هـ- 1066م) **المخصص**. تحقيق: خليل جفال. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 358/3

جاء هذا الوصف، أي الفرار في قوله تعالى: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34)}، والمقصود باليوم هو يوم القيامة؛ إذ يَفِرُّ الإنسان من أَقْرَبِ النَّاسِ إليه؛ بسبب هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْم، ومن أسباب هربه: خوفه من مطالبة أقرب النَّاسِ إليه، لبعض المساعدة، أو إقامة حجة التقصير عليه، ومن ذلك أن "يَقُولَ الْأَخُ: مَا وَاسَيْتَنِي بِمَالِكَ، وَالْأَبَوَانِ يَقُولَانِ قَصَّرْتَ فِي بِرِّنَا، وَالصَّاحِبَةُ تَقُولُ أَطْعَمْتَنِي الْحَرَامَ، وَفَعَلْتَ وَصَنَعْتَ، وَالْبَنُونَ يَقُولُونَ: مَا عَلَّمْتَنَا وَمَا أَرْشَدْتَنَا"[74]، وربما يكون المعنى المقصود في هذا المقام "أَنَّ هَذَا فِرَارُ الْمُؤْمِنِ مِنْ قَرَابَتِهِ الْمُشْرِكِينَ خَشْيَةَ أَنْ يُؤَاخَذَ بِتَبِعَتِهِمْ إِذْ بَقُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَتَعْلِيقُ جَارِ الْأَقْرِبَاءِ بِفِعْلِ: يَفِرُّ الْمَرْءُ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ قَدْ وَقَعُوا فِي عَذَابٍ يَخْشَوْنَ تَعَدِّيَهُ إِلَى مَنْ يَتَّصِلُ بِهِمْ"[75].

النتائج والتوصيات:

ومن أبرز نتائج هذه الدراسة، أنَّ لغة الجسد تعبر عن المكنون الداخلي للإنسان، أو تترجمه على شكل حركات بارزة لا يمكن إخفاؤها، ومن ذلك:

1) تؤدي لغة الجسد وظائف دلالية لا تقل أهميتها ومكانتها عن اللغة المنطوقة، بل يوجد تعانق بين لغة الجسد مع اللغة المنطوقة في تأدية المعنى بأبهى صوره، ولا يمكن عزلهما عن بعضهما، فهما تؤديان وظائف عديدة، من أبرزها: نقل الحالة النفسية الوجدانية بأدق تفاصيلها للمتلقي، وفي كثير من المواقف تُغني كلمةً واحدة عن جمل كثيرة، أو تفسيرات طويلة.

2) يُعطي التحليل الدلالي المتمازج بين معطيات علمي لغة الجسد واللغة الحديث تفسيرات دقيقة الدلالة، ويكشف خفايا تحتاج إلى إعمال فكر، للوصول إليها، إضافة إلى ذلك، فإنَّ المنهجَ الإحصائي لا يقتصر على معرفة النسب

(74) الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. 61/31.

(75) ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ–1973م): **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984م. 136/30.

المئوية، أو الأعداد الرقمية التي تظهر في البحث، بل يجب أن يتم تحليل هذه النتائج، ومعرفة ارتباطها في النص المدروس.

3) من الوظائف التي أدتها لغة الجسد في القرآن الكريم، إبقاء الخطاب الإلهي حياً متجدداً، يجد فيه المتلقي حيوية اتصالية، تلك الحيوية تُجسِّدُ بعضَ مقاصد القرآن الكريم، إضافة إلى ذلك فإنَّ كلَّ كلمةٍ في القرآن الكريم، لها موضعها ومقامها. ولا يمكن لكلمة أخرى أن تؤدي الدلالة التي ترشح من الكلمة الأصل.

4) تُعدُّ سورة عبس، السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحمل عنواناً، يُشيرُ في أصله إلى حركة جسدية، وظهرت تجليات هذا العنوان على السورة كاملة، مما أدّى إلى تعدد الحقول الدلالية للغة الجسد فيها.

5) كانت النسبة الأكبر للغة الجسد، في سورة عبس، للغة الوجه، وتفوق على المحاور الأخرى، بنسبة بلغت (40٪)؛ ولعل سبب ذلك يعود إلى أنَّ للوجه قوةً تعبيريةً لا يمكن إخفاؤها؛ فهو أول ما يُقابل المتلقي الحاضر، ويوجد فيه أكثر من عضو جسدي يعمل على إيصال رسائل حركية، تُبيّن شعوره، فرحاً، أو تعجباً، أو كآبة.

6) لم تكن ردة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة ابن أُمِّ مكتوم نابعة عن غضب نفسي، أو انفعال عاطفي، بل كان أساسها الحرص على تبليغ الناس الإسلام، ودخول العدد الأكبر منهم في هذا الدين العظيم.

7) يؤدي تعدد القراءات القرآنية في الموضع القرآني الواحد إلى اتِّساع المعاني، وتعددها، وهذا كله يحتاج منّا إلى تدبر، وفهم للنص القرآني، وإبرازه للناس كافة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- القائمة العربية:

- **القرآن الكريم**

أحمد، محمد الأمين موسى: **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. ط:1. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام. 2003م.

إدوارد تي. هول: **اللغة الصامتة**. ترجمة لميس فؤاد اليحيى. ط:1. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع. 2007م

الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ-981م): **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسين: **شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**. تحقيق: يوسف عمر. ط:2. بنغازي: جامعة قار يونس. 1996م.

أغبر، بسام: **الوحدة الصوتية، أو الفونيم وتجلياته في القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، سورة البقرة نموذجاً**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2019.

_____: **ظاهرة القلقلة في الدرس التراثي، في ضوء الدرس الصوتي الحديث- دراسة تطبيقية على سورة البقرة. غزة: مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية**. الجامعة الإسلامية. مجلد (26) عدد (1). 2018م. ص: 197-225.

ألن وباربرا بيز: **المرجع الأكيد في لغة الجسد**. ط:1. مكتبة جرير. 2008م.

ابن أنس، مالك (ت 179هـ-795م): **موطأ الإمام مالك**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار التراث العربي. 1405هـ.

البخاري، محمد بن اسماعيل (256هـ-870م): **الجامع المسند الصحيح**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط:1. بيروت: دار طوق النجاة. 1422هـ.

بشر، كمال: **علم الأصوات**. القاهرة: دار غريب. 2000م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ–1083م): **فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق: الشربيني شريدة. ط:1. القاهرة: دار اليقين. 1431هـ.

الجاحظ، عمرو بن عثمان (ت 255هـ–869م): **البيان والتبيين**. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:7. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1418ه.

الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ– 1078م): **دلائل الإعجاز**. تحقيق: محمود شاكر. ط:3. جدة: دار المدني. 1413هـ.

ابن الجزري، محمد بن محمد (ت 833هـ–1429م): **النشر في القراءات العشر**. تحقيق: علي الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن جني، عثمان (392هـ–1002م): **الخصائص**. تحقيق: محمد علي النجار. ط:2. بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر. 1952م.

_____: **سر صناعة الإعراب**. تحقيق: محمد إسماعيل. ط:2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1428هـ.

ابن الحجاج، مسلم: **المسند الصحيح**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي

حسان، تمام: **اللغة العربية بين المعيارية والوصفية**. القاهرة: عالم الكتب. 2000م.

الخولي، محمد علي: **معجم علم اللغة النظري**. بيروت: مكتبة لبنان. 1982م.

الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ–1210م): **مفاتيح الغيب**. ط:3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت 502هـ–1108م): **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان الداودي. ط:1. دمشق: دار القلم. 1412هـ.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت 1122هـ-1710م): **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**. تحقيق: طه سعد. ط:1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 1424هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر (538هـ-1144م): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. ط:4. بيروت: دار الكتب العلمية. 1427ه.

أبو زيد، أشرف: **سيمياء الجسد في شعر فرسان الجاهلية**. جامعة الأزهر: حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا. القاهرة: عدد (24) جزء (8). 1441هـ.

داود، محمد: **الدلالة والحركة**. دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة. ط:1. القاهرة: دار غريب. 2002.

_____: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية - **دراسة دلالية ومعجم**. ط:1. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. 2006.

دفة، بلقاسم: **علم السيمياء في التراث العربي**. مجلة التراث العربي. دمشق. اتحاد الكتاب العرب. عدد (91) 1424هـ.

ديوان زهير بن أبي سلمى. تحقيق: علي حسن فاعور. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1408هـ.

السامرائي، فاضل صالح: **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**. ط:4. عمّان: دار عمّار. 1428هـ.

ابن سيده، علي بن اسماعيل (ت458هـ- 1066م) **المحكم والمحيط الأعظم**. تحقيق: عبد الحميد الهنداوي. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ.

_____: **المخصص**. تحقيق: خليل جفال. ط:1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ–1505م) **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1394هـ.

شحرور، ليلى: **أسرار لغة الجسد**. خفايا إشارات التآلف أو التنافر بين الناس. بيروت: الدار العربية للعلوم، ناشرون. 2008م.

شيلي هاجن: **كل شيء عن لغة الجسد**. مكتبة جرير. ط:1. 2017م.

الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ–923): **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد شاكر. ط:1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1420هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ–1973م): **التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية للنشر. 1984م.

أبو عاصي، حمدان رضوان: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى. غزة: مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مجلد: (17) عدد: (12). 2009م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد (328هـ–940م): **العقد الفريد**. تح: مفيد قمحية. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1404هـ.

عبد اللاة، خالد: **لغة الجسد**. القاهرة: دار المشرق العربي. 2012م.

العبد، محمد: **العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال**. ط:1. القاهرة: مكتبة الآداب. 1428هـ.

_____: **المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة**. ط:1. القاهرة: دار الفكر العربي. 1415هـ.

عتيق، عمر: **لغة الجسد في القرآن الكريم**. جامعة آل البيت: **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**. مجلد (9) عدد (1/ أ) 1434هـ.

عرار، مهدي: **البيان بلا لسان**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2007م.

عكاشة، حمزة: **لغة الجسد – اللغة الصامتة. كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال حركة أجسادهم**. عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. 2006م.

عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**. القاهرة: عالم الكتب. 1418هـ.

عودة، عبد الله: **أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم**. ط:1. عمّان: دار النفائس. 2005م.

ابن فارس، أحمد (ت 395هـ–1004م): **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر. ط:1. 1399هـ.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ–889م): **أدب الكاتب**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار الطلائع. 2005م.

القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ–1273م) **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط:2. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1384هـ.

محجوب، فاطمة: **دراسات في علم اللغة**. بحوث تطبيقية لغوية وقرآنية. ط:1. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث. 1432هـ.

محمود مهنا، وعيسى وادي: **اتِّساع الدلالات في تعدد القراءات القرآنية**. ط:1. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون. 1438هـ.

ـــــــــ: **مِن دلالات أسماء السور في القرآن الكريم**. ط:2. بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون. 1440هـ.

محيي الدين شيخ زاده، محمد بن مصلح (ت 685هـ–1287م): **حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي**. تحقيق: محمد شاهين. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ.

النوري، محمد جواد: **دراسات صوتية وصوتية صرفية في اللغة العربية**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2018م

_____: **لغة الجسد – علم الكينات. دراسة نظرية تطبيقية**. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2018م

أبو هلال العسكري (ت 395هـ– 1005م): **الفروق اللغوية**. تحقيق: محمد سليم. ط:1. القاهرة: دار العلم والثقافة. 1418هـ.

ابن يونس، شهرزاد: **لغة الجسد في القرآن الكريم– مقاربة سيميولوجية لحركتي العين واليد**. الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة. مجلة العلوم الإنسانية. عدد (43) مجلد (ب). 2015م. ص ص: 203–225.

ثانياً– القائمة الأجنبية:

Daniel Jones, The phoneme: Its Nature and Use, Cambridge University Press, Cambridge, 1976.

David Crystal, A First Dictionary of Linguistics and Phonetics. London, 1980.

E.T.Hall, The Silent Language, Garden City, N.Y: Doubleday, 1959.

J. Ruesch and W. Kees, Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations. (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1956)

John Gosling: Kinesics in Discourse. In: Malcolm Coulthard & Martin Montogomery (eds): Studies in Discourse Analysis. Routledge. London & New York. 1981.

Julius Fast, Body Language, London, 1978

Mark Knapp, L, Nonverbal Communication In Human Interaction, U.S.A. Holt, Rinehart and Winston, Inc. 1972.

Ray Birdwhistell: A Kinesic Linguistic Exercise: The Cigarelle Scence, in: John j. Gumperz & dell Hymes (eds): Directions in Sociolinguistics, Basil Blackwell, Oxford. 1989.

Ray Birdwhistell, Some Body Motion Elements Accompanying Spoken American English, In Communication: concepts and perspectives, Washington, DC: Spartan Books 1967.

مفاهيم الاشتقاق ومصطلحاته في الدرس اللغوي العربي

د.إدريس بوكراع
جامعة محمد الأول بوجدة
جامعة محمد الخامس أبوظبي

الأصل – في مجالات العلوم والفنون – أن تكون المفاهيم والمصطلحات واضحة، يحتل كل منها الحيز المخصص له. ولكن قد يحدث أن تلتبس المفاهيم وتتداخل المصطلحات، فتحمّل المصطلحات ما لا تتحمل، ويُجنح بها نحو اتجاهات أخرى غير مناسبة لها. يحدث هذا الجنوح – أحيانا – قصدا لتحقيق مآرب خاصة، ولكنه كثيرا ما يحدث عن غير قصد، وخاصة حين تتقارب المفاهيم، وتتشابه، فينقل المصطلح من مفهوم إلى آخر دون الانتباه إلى تغيير مساره.

ويعد الاشتقاق من أبرز القضايا اللغوية التي حدث فيها الاضطراب في المفاهيم والمصطلحات، فأصبح من العسير على طلاب العلم الإحاطة بالاشتقاق وتمييز أصنافه.

لقد اتخذ الاشتقاق – في تاريخ الدرس العربي – مسارا تميز فيه بالتغير في المفهوم، والتعدد في المصطلح، مما كان له الأثر البارز في استيعاب الموضوع والاستفادة منه.

أولا: مسار الاشتقاق:

- الصورة الأولى:

تنبه اللغويون إلى الاشتقاق في مرحلة جمع اللغة، حين لاحظوا تشابها ظاهرا بين مجموعات المفردات العربية، وتعددت وجهات نظرهم فيما بعد،

ولكن أغلبهم ذهب إلى إثبات الاشتقاق الذي يعني "أَخْذ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة، كضارب من ضرب وحَذِر من حَذِر"[1].

وقد اجتهد العلماء في دراسة الاشتقاق، وفي تحديد أصل المشتقات، فمال البصريون إلى المصدر، ومال الكوفيون إلى الفعل، ومال غيرهما إلى آراء أخرى لم تلق رواجا كما لقيت آراء البصريين والكوفيين.

وعمد بعض اللغويين إلى تطبيق نظرية الاشتقاق فألفت كتب، منها: "اشتقاق أسماء البلدان" لأبي المنذر الكلبي (204هـ)، و"الاشتقاق" لقطرب (206هـ)، و"اشتقاق الأسماء" للأصمعي (216هـ)، و"الاشتقاق" للمبرد (285هـ)، وغيرها.

وظل مفهوم الاشتقاق واضحا، محدد المعالم، ولكن المصطلحات الدالة عليه تعددت، فسمي: اشتقاقا، واشتقاقا صغيرا، وأصغر، وعاما، وصرفيا.

- الصورة الثانية:

اتجه ابن فارس (395هـ) بالاشتقاق اتجاها خاصا متميزا، فقد كان بعض المعجميين يشيرون - أحيانا - إلى المعنى الجامع للمشتقات خلال تعريف المفردات، فلما ألف ابن فارس معجم "مقاييس اللغة" نقل الاشتقاق إلى ميدان التطبيق المعجمي، فعمد إلى افتتاح كل باب من أبواب كتابه بدلالة الجذر التي اجتهد في استخلاصها من المفردات المشتركة في ذلك الجذر. وسمى كتابه "مقاييس اللغة" للدلالة على أوجه التشابه بين المفردات، أو الجوامع الاشتقاقية التي يُقاس عليها كل جذر من جذور اللغة. يقول ابن فارس في مقدمة الكتاب: "إن للغة العرب مقاييسَ صحيحةً، وأصولا تتفرع منها فروعٌ. وقد ألف الناس

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1998م، ج1، ص275.

في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول. والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدّرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يُسْأَل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"[2].

هذا هو مفهوم الاشتقاق الذي ظل سائدا إلى نهاية القرن الرابع الهجري، فقد كانت كل إشارة نظرية، وكل تطبيق عملي إنما يتجه نحو أصل واحد لمجموعة من المفردات تشترك في الجذر، أي في الحروف الأصلية للكلمات بترتيبها، فإذا اختلف الترتيب كان الانتقال التلقائي إلى جذر آخر، وإلى أصل اشتقاقي آخر. ولهذا لا يكاد العلماء والباحثون يصنفون عمل ابن فارس ضمن فرع مستقل من الاشتقاق، وإنما يصلون صنيعه بالاشتقاق الصغير، ويعتبرونه اجتهادا داخل دائرته. نستثني من هذا إشارة لعبد السلام هارون الذي اقترح أن يسمى عمل ابن فارس في مقاييسه بالاشتقاق الكبير. فقد لاحظ عبد السلام هارون خطأ للسيوطي في "المزهر"، فقال: "والسيوطي في المزهر يبسط مثالا للاشتقاق الأكبر ... قال: قولهم شجرت فلانا بالرمح، تأويله: جعلته فيه كالغصن في الشجرة ... فقد أخطأ السيوطي بهذا المثال قاعدة ابن جني في الاشتقاق الأكبر ... أما أنا فقد رأيت أن هذا الضرب من الاشتقاق الذي ساق السيوطي مثله جدير بأن تنشأ له تسمية خاصة، هي: الاشتقاق الكبير، فإن المدلول الذي ساقه ابن جني للاشتقاق الصغير أو الأصغر يتناول أمرين: أما أحدهما فهو اشتقاق المشتقات السبعة من أفعالها، كاسم الفاعل واسم المفعول من فعل معين من أفعال المادة. ولا ريب أن المعنى الذي في هذا العمل يسري بتمامه في جميع مشتقاته. ولا يختلف اللغويون في ذلك. وأما الآخر فهو قرابة فعل وتصاريفه من أفعال المادة الواحدة وتصاريفه لفعل آخر وتصاريفه من المادة

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ط1399هـ – 1979م، ج1، ص1.

نفسها، وهو الاشتقاق الذي لم يفطن له من اللغويين إلا القليل، فطن له ابن جني، وفطن له كذلك معاصره ابن فارس فطنة أكمل وأشمل، إذ أجرى هذا القياس الاشتقاقي في جمهرة مواد اللغة، بتأليفه كتاب المقاييس، الذي نجح فيه نجاحا رائعا بإرجاعه كلمات كل مادة إلى قدر مشترك أو أقدار مشتركة فيها جميعا. فهذا الاشتقاق الذي يدعوه ابن جني صغيرا أو أصغر جدير بأن نسميه اشتقاقا كبيرا"[3].

هذه دعوة لعبد السلام هارون إلى تصنيف نماذج الاشتقاق الصغير – كما وردت عند العلماء – إلى صنفين متمايزين:

الأول: "اشتقاق المشتقات السبعة من أفعالها، كاسم الفاعل واسم المفعول من فعل معين من أفعال المادة"[4]. وهو الاشتقاق الذي عني بدراسته علماء الصرف.

والثاني: "قرابة فعل وتصاريفه من أفعال المادة الواحدة وتصاريفه لفعل آخر وتصاريفه من المادة نفسها". وهو اشتراك أصناف من الكلمات – وإن اختلفت معانيها – في جذر واحد. كاشتراك (البِطالة، والبطلان، والبطولة) في مادة

(ب ط ل)، واشتراك، الذهب والذهاب في مادة (ذ ه ب)، واشتراك الإنفاق، والنَّفاق، والنِّفاق في مادة (ن ف ق).

ولم يحظ هذا النوع بعناية الصرفيين، واعتنى به فقهاء اللغة والمعجميون. ويقترح عبد السلام تسميته بالاشتقاق الكبير. ولكن اقتراحه لم يجد آذانا صاغية، فلم ينتشر بين الباحثين، ولم يشر إليه أحد ضمن أنواع الاشتقاق.

(3) عبد السلام محمد هارون، مقدمة كتاب الاشتقاق، لابن دريد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ص27.
(4) * الظاهر أن عبد السلام هارون يميل إلى رأي الكوفيين في أصل الاشتقاق.

- الصورة الثالثة:

حين ألف ابن جني (392هـ) كتابه "الخصائص" أشار إلى موضوع آخر ربطه بالاشتقاق، سماه "الاشتقاق الأكبر"[5]. وهو - في رأيه - أحد أنواع الاشتقاق يقوم على تقليب الأحرف الأصلية للكلمة[6]، فذهب إلى أن العرب ربطوا بين الألفاظ والمعاني ربطا واسعا عاما فانطلقوا من الأصول الثلاثية وجميع صورها الممكنة فجعلوا لها معنى جامعا ترتد إليه[7]. يقول ابن جني: "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتَعقِد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيءٌ من ذلك عنه رُدَّ بِلُطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[8].

ويسوق أمثلة لذلك فيذكر أن (ك م ل) و(ك ل م) (م ك ل) و(م ل ك) و(ل ك م) و(ل م ك) جمعيها تعود إلى معنى القوة والشدة وإن اختلفت صور تقاليبها، وأن (ق ول)، (ق ل و)، (و ق ل)، (و ل ق)، (ل ق و)، (ل وق) بجميع تقاليبها تعود إلى معنى الإسراع والخفة[9].

إن هذا النوع من الاشتقاق عند ابن جني أعمق من الاشتقاق الصغير لأنه عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية، ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كلٍّ منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصوتي. والمتأمل لصنيع ابن جني يلاحظ أنه حاول جمع تقاليب المادة وما

(5) سماه الكبير أيضا.

(6) اختلف العلماء قديما وحديثا في تسميته، فسمي كبيرا، وأكبر، وكُبَارا، وتقليبا.

(7) يذكر ابن جني أن أستاذه أبا علي الفارسي كان يستنبط – في بعض المناسبات – المعنى الجامع لبعض الأصول، ولكنه اكتفى بنماذج قليلة، ولم يؤمن بسريان ذلك في جميع عناصر المعجم العربي. ينظر: ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 (د. ت)، ج2، ص135.

(8) ابن جني، الخصائص، ج2، ص136.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص5 و14.

تصرف منها، فبسط القول في النماذج التي اختارها بعناية فائقة، وأهمل ما لم ينسجم مع المعنى العام الذي أورده.

لقد كان ابن جني معجبا – غاية الإعجاب – باللغة العربية، ولعل هذا الإعجاب هو الذي دعاه إلى تصور هذه العلاقة الجامعة بين الأسر اللغوية المشتركة في الحروف الأصلية وإن اختلف ترتيبها. وقد حاول أن يدافع عن نظريته، ولكنه لم يستطع أن يقنع بها غيره. وقد عبر السيوطي عن رفضه لنظرية ابن جني في الاشتقاق صراحة حين قال: "وهذا مما ابتدعه الإمامُ أبو الفتح ابن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيرا، وليس معتَمدا في اللغة، ولا يصح أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بيانا لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قَدْرٍ مشترك، مع اعترافه وعِلْمِه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وأن تراكيبها تفيد أجناسا من المعاني مغايرة للقَدْر المشترك"[10].

– الصورة الرابعة:

ظل مفهوم الاشتقاق منحصرا في النوعين السابقين: الصغير والأكبر مدة من الزمن، فلما ألف السكاكي (626 ه) كتابه "مفتاح العلوم" أشار إلى أن أحد شيوخه، وهو الحاتمي أضاف للاشتقاق نوعا ثالثا، فقال: "اقتصرت في التجنيس على ما تحتمله حروف كل طائفة بنظم مخصوص، كمطلق معنى البينونة فيما ضربنا من المثال للباء ثم الياء ثم النون، وهو المتعارف، سمي الاشتقاق الصغير، وإن تجاوزت إلى ما احتملته من معنى أعم من ذلك كيفما انتظمت، مثل الصور الست للحروف الثلاثة المختلفة من حيث النظم، والأربع والعشرين للأربعة، والمائة والعشرين للخمسة، سمي الاشتقاق الكبير. وههنا نوع ثالث من

(10) السيوطي، المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ج1، ص275.

الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر: وهو أن يتجاوز إلى ما احتملته أخوات تلك الطائفة من الحروف نوعا أو مخرجا"[11].

وهكذا توسع مفهوم الاشتقاق، فأصبح يضم ثلاثة أنواع: صغير، وكبير، وأكبر. وتحول مفهوم الاشتقاق الكبير من الدلالة على نظرية ابن جني إلى الإبدال، وحل محله مصطلح (الاشتقاق الكبير).

والراجح أن الحاتمي – حين اعتبر الإبدال نوعا من الاشتقاق – اضطر إلى تغيير المصطلحات، فقد كان الاشتقاق قبله نوعين فقط، هما: الصغير والأكبر، وكانا يشتركان في الاستخراج من أصل واحد لا خلاف فيه بين الحروف إلا في الترتيب، فالصغير من شروطه استقرار الحروف في أماكنها، والأكبر يتعداه إلى كل الصور الممكنة بالتقليب. فلما أضاف الحاتمي النوع الثالث – وهو الإبدال – رأى أن التقليب أقرب منه إلى الاشتقاق الصغير، فأعاد التصنيف بأن ترك للصغير مصطلحه، وجعل التقليب اشتقاقا كبيرا – لقربه من الصغير – وجعل الإبدال – لبعده – اشتقاقا أكبر[12].

- الصورة الخامسة:

حافظ الشريف الجرجاني (816هـ) – في التعريفات – على قسمة الحاتمي للاشتقاق، وعلى المصطلحات التي أوردها السكاكي، ولكنه أحدث تغييرا في مفهوم الاشتقاق الكبير، فقال: "الاشتقاق: نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتهما معنىً وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة. الاشتقاق الصغير: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في الحروف والتركيب، نحو : ضرب، من :الضرب. الاشتقاق

(11) السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418ه، ص48–49

(12) سار على هذا النهج من المحدثين: الدكتور علي عبد الواحد وافي، ينظر كتابه: فقه اللغة، نهضة مصر، ط3، 2004م، ص137 وما بعدها. وكذلك فعل الدكتور إبراهيم أنيس، ولكنه بعدما ذكر الاشتقاق الأكبر وهو الإبدال قال: "أجدر به أن يعد من الكلمات التي تطورت أصواتها"، فعبر عن إخراجه من دائرة الاشتقاق. ينظر كتابه "من أسرار اللغة"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص52.

الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جبذ، من: الجذب. الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في المخرج، نحو: نعق، من النهق"[13].

لقد نقل الجرجاني مصطلح (الاشتقاق الكبير) فجعله دالا على القلب المكاني، بعد أن كان دالا على نظرية ابن جني[14].

وفي العصر الحديث سار عبد القادر المغربي على نهج الجرجاني في مصطلحات الاشتقاق ومفاهيمه، فاعتبر الصغير، والكبير، والأكبر. وقال عن الاشتقاق الكبير: "القلب: ويقال له أيضا الاشتقاق الكبير. وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب، مثل: فعل (جبذ) المشتق من مادة (الجذب)"[15].

وأشار إلى أن النحت "أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها...وهو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق، وليس اشتقاقا بالفعل، لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة، والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر"[16].

- الصورة السادسة:

كان عبد الله أمين من رواد البحث المحدثين في الاشتقاق، وقد تميز بإضافة نوع رابع للاشتقاق هو النحت، فقال في مقدمة كتابه "الاشتقاق": "أقسام علم الاشتقاق أربعة، واخترت لها من الصفات الصغير والكبير والكُبَار

(13) الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ -1983م، ص27.

(14)لم يعبر الجرجاني بصريح اللفظ عن القلب المكاني، ولكن المثال الذي ضربه يدل عليه.

(15) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1947م، ص14.

(16) عبد القادر المغربي، الاشتقاق والتعريب، 13. حذا حذو المغربي مصطفى الشهابي في كتابه: "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث"، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ط1955م، ص10 وما بعدها.

والكُبَّار ... الاشتقاق الصغير ... الاشتقاق الكبير، وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في بعض أحرفهما مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف المغيرة أو في صفاتها أو فيهما معا. ويسمى إبدالا لغويا تمييزا له من الإبدال الصرفي، وقد أسميته إبدالا اشتقاقيا ... الاشتقاق الكُبَار: وهو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغيير في ترتيب بعض أحرفهما بتقديم بعضها على بعض مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف. ويسمى هذا الاشتقاق قلبا لغويا تمييزا له من القلب الصرفي الإعلاليّ ... وقد أسميت هذا القلب اللغوي القلب الاشتقاقي ... الاشتقاق الكُبَّار: ويسمى نحتا. والنحت: أخذ كلمة من كلمتين فأكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى"[17].

لقد تفرد عبد الله أمين – بالإضافة إلى إلحاق النحت بالاشتقاق – بتغيير مفهوم مصطلح "الاشتقاق الكبير"، فسمى به الإبدال، كما تميز بجعل الاشتقاق الكُبَار دالا على مفهوم جديد لم يسبق إليه، جمع فيه القلب المكاني ونظرية ابن جني في الاشتقاق. ففي تفصيل القول في مبحث الاشتقاق الكُبَار قال: "هو أن تجد بين كلمتين فأكثر تماثلا في الحروف واختلافا في ترتيبها بتقَدُّم بعضها على بعض، بدون زيادة أو نقص فيها مع الاتحاد في المعنى. أو أن تعمد إلى كلمة فتشتق منها كلمة فأكثر، بتقديم بعض الحروف على بعض، بدون زيادة أو نقص فيها مع الاتحاد في المعنى. وأكثر ما يكون الاشتقاق الكبار أو القلب في الكلمات الثلاثية. وأول من عرفه إمام الأئمة أبو الفتح عثمان بن جني، فقال: وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا..."[18].

لقد عرّف عبد الله أمين الاشتقاق الكُبَار تعريفا مفتقرا للدقة، إذ لا يكاد يتبين القارئ منه الفرق بين الجزء الأول والجزء الثاني، أي بين قوله: "أن تجد بين

(17) عبد الله أمين، الاشتقاق، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2000م، ص 1 –2.
(18) المرجع نفسه، ص373.

كلمتين فأكثر تماثلا في الحروف واختلافا في ترتيبها بتقدم بعضها على بعض بدون زيادة أو نقص فيها مع الاتحاد في المعنى"، وبين قوله: "أن تعمد إلى كلمة فتشتق منها كلمة فأكثر بتقديم بعض الحروف على بعض، بدون زيادة أو نقص فيها مع الاتحاد في المعنى"، خاصة حين ذكر في الجزء الثاني "الاتحاد في المعنى"، وهو سهو منه، لأن المراد هو الاتحاد في المعنى العام بين جميع المفردات المنتمية إلى أصل واحد.

ويستطيع القارئ أن يتبين مراد عبد الله أمين من خلال النماذج التي قدم لهذا النوع من الاشتقاق، ومنها:

- "لُعْطَة، عُلْطَة: وهي خط بسواد أو صفرة تخطه المرأة في خدها"[19]. وهذا هو القلب المكاني.

- و"السِّوار: معروف، وهو حلي يحيط بالمعصم من ذهب أو فضة، والرَّسْوَة: ما كان من خرز"[20]. وفيه إشارة إلى نظرية ابن جني في الاشتقاق، إذ السوار والرسوة يشتركان في معنى عام جامع، ولا يدلان على معنى واحد كما هو شأن اللعطة والعلطة.

- الصورة السابعة:

يرى الدكتور صبحي الصالح أن الاشتقاق أربعة أنواع هي: الأصغر، والكبير، والأكبر، والكُبَار. يقصد بالأصغر الاشتقاق الصرفي، ويقصد بالكبير نظرية ابن جني، وبالأكبر الإبدال، وبالكُبَار النحت. وهو في القسمة تابع لعبد الله أمين، ولكنه يختلف عنه في المصطلحات ومفاهيمها، فقد سمى عبد الله أمين الاشتقاق الصرفي صغيرا، وسماه هو أصغر، وسمى عبد الله الإبدال اشتقاقا كبيرا وسماه هو: اشتقاقا أكبر، وسمى عبد الله النحت اشتقاقا كبارا، وسماه هو اشتقاقا كبّارا، واختلف معه في نظرية ابن جني مفهوما ومصطلحا، فقد دمج

(19) المرجع نفسه، ص388.

(20) المرجع نفسه، ص388.

عبد الله القلب المكاني بنظرية ابن جني وسماهما قلبا كُبَارا أو أكبر، بينما أفرد هو نظرية ابن جني وسماها اشتقاقا كبيرا[21].

ثانيا: مآلات الاشتقاق:

1. مآلات المفهوم:

- توسع المفهوم وانحساره:

تبين من تتبع مسار الاشتقاق وحركة دراسته، أن مفهومه شهد نمطا واضحا من التمدد والاتساع، فقد بدأ مفهوما واحدا مقتصرا على صلة القرابة بين الصيغ القياسية المعروفة في لسان العرب داخل المادة اللغوية الواحدة، ثم ألحق به ابن جني مفهوما ثانيا حين نادى بوجود صلة أعمق بين مجموعة المفردات داخل المادة تسري فيها وإن اختلف ترتيب عناصرها الأساس، فأصبح الاشتقاق صغيرا وأكبر. وأضاف بعض العلماء صنفا ثالثا للاشتقاق هو الإبدال. ثم أضاف عبد الله أمين صنفا رابعا هو النحت، واجتهد في صياغة تعريف جامع يستوعب كل أنواع الاشتقاق، فقال: "الاشتقاق أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعا"[22].

لكن مفهوم الاشتقاق شهد انحسارا لدى بعض الباحثين المحدثين قريبي العهد من عبد الله أمين، كعبد الواحد وافي، ومصطفى الشهابي اللذين اقتصرا على ثلاثة أنواع من الاشتقاق هي: الصغير والكبير والأكبر، وتحدثا في كتابيهما عن النحت، ولم يدرجاه ضمن أنواع الاشتقاق[23].

ثم عاد صبحي الصالح - في كتابه دراسات في فقه اللغة -إلى القسمة الرباعية من جديد بإدراجه النحت ضمن أنواع الاشتقاق. واقتصر بعض

(21) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م، ص173.

(22) عبد الله أمين، الاشتقاق، ص 1.

(23) ينظر: عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص144. ومصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص10-14.

الباحثين – فيما بعد – على الاشتقاقين الصغير والكبير، كما نجد عند رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في فقه العربية".

وما يزال الباحثون مختلفين في مفهوم الاشتقاق وأنواعه. وقد آن الأوان لتوحيد التصور والاقتصار على الاشتقاق في صيغته الأولى فقط، وتسمية الظواهر، والنظريات الأخرى بما يناسبها من الأسماء حتى يؤمن اللبس.

- بين نظرية ابن جني والقلب المكاني:

لعل أهم انحراف عن المسار حدث في تاريخ الدرس الاشتقاقي العربي هو اعتبار الاشتقاق - الذي نادى به ابن جني – قلبا مكانيا. فقد ذكر الجرجاني أن معناه: "أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جبذ، من: الجذب"[24]. وهو تعريف يناسب القلب المكاني، ولا يناسب ما ذهب إليه ابن جني. وابن جني نفسه – ميز في كتابه "الخصائص" – بينهما، فتحدث عن القلب المكاني وما يتعلق به في مواضع[25]، وخصص للاشتقاق الأكبر فصلا خاصا[26].

وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل اللغويين الذين تنبهوا للقلب المكاني، فتتبع نماذجه في كتاب "العين" خلال تعريف المفردات، كما في قوله: "الخَيْلَعُ والخَيْعَلُ مقلوب، وهو من الثياب غير منصوح الفرجين تلبسه العروس ... والخَيْعَلُ والخَيْلَعُ من أسماء الذِّئب"[27]. وكذلك قوله: "العِضْفَاجُ: الضَّخْم السَّمين الرِخْو. وعَضْفَجَتُه: عِظَمُ بطْنه وكَثرةُ لحمه. وقد يقال: عِفْضَاج بمعنى عِضْفَاج، مقلوب"[28]. ومنه: "اللَّمَقُ: الطريق، قال رؤبة:

(24) الجرجاني، التعريفات، ص27.

(25) كما في: "باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير"، الخصائص، ج2، ص71

(26) الخصائص، ج2، ص135

(27) الخليل، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، (د. ت)، ج1، ص 119 – 120.

(28) المصدر نفسه، ج2، ص310.

ساوى بأيديهن من قصد اللَّمَقْ. وهو اللَّقَم، مقلوب"[29]. وفي هذا إشارة صريحة للقلب المكاني، وهو استعمال اللفظ العربي بصيغتين بقلب أماكن الحروف دون أن يتغير المعنى. ويتبين من حديث الخليل في الموضوع أن بعض نماذج القلب المكاني كانت شائعة في زمانه، أبرزها (جذب وجبذ) حتى صارت مضرب الأمثال. يقول الخليل: "ازحَلَفَّ وازْلَحَفَّ مثل جذب وجبذ"[30].

والقلب المكاني – عند الخليل – من مظاهر اختلاف لغات العرب، يقول الخليل: "ضَفَعَ الإنسان يَضْفَعُ ضَفْعا، إذا جَعَس. وفَضَعَ ... لغتان، مثل جذب وجبذ مقلوبا"[31]. وهذا تعبير صريح من الخليل بإثبات القلب المكاني، وأنه – وإن كان في أصله من صور اختلاف لهجات العرب – صار من مظاهر التنوع في المعجم العربي بعد الاحتكاك والتداخل بين لهجات العرب، فقوله: "لغتان" يعني أن صيغتي "ضَفَعَ" و"فَضَعَ" تدلان على معنى واحد، وتتناوبان في الاستعمال.

وظل هذا التصور سائدا في التراث العربي، فلما ألف ابن فارس كتابه "الصاحبي" اعتبر القلب المكاني من سنن العرب في كلامها، فقال: "ومن سنن العرب القلبُ، وذلك يَكون في الكلمة، ويكون في القِصَّة. فأمّا الكلمة فقولهم: "جَذَبَ، وجبَذَ" و"بكل، ولبَكَ"، وهو كثير، وقد صنّفه علماء اللغة"[32].

وقد اعتنى ابن جني – في الخصائص - بموضوع القلب المكاني، فذهب إلى أن القلب لا يكون إلا إذا لم يمكن أن يكون اللفظان جميعا أصلين؛ بحيث يَقْصُر أحدهما عن صاحبه، ولا يساويه، فقال: "اعلم أن كلَّ لفظين وُجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا على صاحبه

(29) المصدر نفسه، ج5، ص173.

(30) المصدر نفسه، ج3، ص333

(31) المصدر نفسه، ج1، ص282.

(32) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م، ص153.

فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصل، وأيهما الفرع، وسنذكر وجوه ذلك. فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَذَب، وجَبَذ؛ ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا، نحو: جذب يجذب جذبا فهو جاذب، والمفعول مجذوب، وجبذ يجبِذ جبذا فهو جابذ، والمفعول مجبوذ. فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلا لصاحبه فسد ذلك؛ لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر. فإذا وقفت الحال بينهما، ولم يُؤْثَرْ بالمزية أحدهما وجب أن يتوازيا، وأن يَمْثُلا بصفحتيهما معا، وكذلك ما هذه سبيله. فإن قَصُر أحدهما عن تصرف صاحبه، ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفا أصلا لصاحبه. وذلك كقولهم: أَنَى الشيءُ يَأْنِي، وآنَ يَئِينُ، فآنَ مقلوب عن أَنَى. والدليل على ذلك وجودك مصدرَ أنى يأني وهو الإنَى، ولا تجد لـ: آن مصدرا؛ كذا قال الأصمعي"[33].

والحقيقة أن اعتبار القلب أقوى من نفيه في جميع النماذج التي أورد ابن جني ومن لف لفه، لأن التقارب في اللفظ والاتحاد في المعنى يبعد أن يكون من قبيل الصدفة. فكيف يعقل أن يكون كل من (جذب) و(جبذ) أصلين نشأ كل منهما بمعزل عن الآخر؟ وهما متقاربان تقاربا شديدا في اللفظ ومتحدان في المعنى.

وقد استند ابن جني إلى الاشتقاق لتقوية موقفه، فزعم أن تساوي اللفظين في المشتقات دليل على أصالتهما، وتفاوتهما فيه دليل على القلب. والحق أن تساوي اللفظين أو تفاوتهما في الاشتقاق ليس هو الفيصل في إثبات القلب أو نفيه، وإنما القلب المكاني ظاهرة معجمية صوتية، توجد في العربية كما توجد في غيرها من اللغات واللهجات، ولها أسباب، منها: توخي سهولة النطق، وأخطاء السمع أو النطق، وإرادة العبث والتهكم في الكلام، واختلاف اللهجات.

(33) الخصائص، ج2، ص71-72.

ومن هنا يتضح الفرق الجلي بين القلب المكاني والاشتقاق الأكبر الذي نادى به ابن جني، إذ القلب ظاهرة لغوية مستعملة في لغة العرب، متعلقة بأزواج محدودة من المفردات، والاشتقاق الأكبر نظرية ومذهب فكري مؤسس على تصور لا يقتصر على أزواج من الكلمات، وإنما يتسع لجميع تقاليب الجذر. وابن جني لم يقل في الاشتقاق الكبير – مثلا – إن (جَبَرَ) يرادف (بَجَرَ)، ولكنه يرى أن المفردات العربية التي تشترك في مادة (ج ب ر) وتقاليبها كلها يجمعها معنى عام واحد. وهذا المعنى ليس مستعملا في اللغة، وإنما هو مجرد اجتهاد أعمل ابن جني فيه فكره، وهو لذلك معرض للقبول والرفض. ولهذا اختلف العلماء والباحثون فيه، فأثنى عليهم بعضهم، وانتقده آخرون بشدة[34].

– جدوى أنواع الاشتقاق في تنمية العربية:

اختلفت وجهات نظر العلماء والباحثين في أهمية أنواع الاشتقاق في تنمية معجم العربية، فذهب بعضهم إلى إمكان استثمار جميع الأنواع، وأشار عبد الله أمين إلى أهمية الإبدال والقلب في توليد الألفاظ، فقال: "الاشتقاق الكبير ... ويسمى إبدالا لغويا تمييزا له من الإبدال الصرفي. وقد أسميته إبدالا اشتقاقيا ... والإبدال الاشتقاقي أوسع دائرة وأجدى عائدة على اللغة من الإبدال الصرفي لأنه يزيدها ثروة وغنى ... الاشتقاق الكُبار ... ويسمى هذا الاشتقاق قلبا لغويا ... وهذا الضرب من الاشتقاق إذا أحسن الانتفاع به أمد اللغة بثروة حسنة"[35].

وكان مصطفى الشهابي من أوائل العلماء العرب المحدثين عناية بالمصطلح، وقد ألف عددا من الكتب والمقالات المتخصصة في المصطلح، من أهمها: كتابه: "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث"، تناول فيه جملة من المواضيع، منها: وسائل نمو اللغة العربية، فقال: "نمت اللغة

(34) اعترض عليه السيوطي فقال: "هذا مما ابتدعه الإمامُ أبو الفتح بن جني ... وليس معتَمدًا في اللغة، ولا يصح أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب". المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص275. وأثنى عليه آدم ميتز فقال: "إن لغويي العرب لم يعرفوا إنتاجا أعظم منه"، ينظر: د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص209.

(35) عبد الله أمين، الاشتقاق، ص1–2.

العربية بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب. وهي الوسائل التي رجع العلماء والنقلة إليها عندما وضعوا آلاف المصطلحات في صدر الإسلام، سواء في العلوم الفقهية واللغوية، أو في علوم فارس واليونان والهند وغيرها من الأمم. وهذه الوسائل هي التي نتخذها في زمننا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية"[36].

ثم عمد إلى تفصيل القول في هذه الوسائل التي رآها مناسبة لتوليد المصطلح العربي، فبدأ بالاشتقاق، وجعله ثلاثة أنواع: الصغير، والكبير، والأكبر. الصغير هو الاشتقاق المعروف، والكبير هو القلب، والأكبر هو الإبدال، ثم قال في جدوى هذه الأنواع: "الاشتقاق الصغير ... هو الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، لأنه الأوسع دائرة، والأكثر نتاجا، وإلا فإن في لغة العرب وسائل أخرى لنموها وتكاثر كلماتها ... إلا أنها تجري على نمط آخر، وتتحرك في دائرة أضيق. وأريد بها: (القلب)، و(الإبدال)، و(النحت)"[37].

ولكن دعوى الشهابي المبكرة لم تتقبلها مجامع اللغة العربية، وقابلها عدد من الباحثين بالرفض، ومنهم الدكتور عبد السلام المسدي الذي أفاض في نقده للشهابي، فقال: "باب الاشتقاق قد اتسع أمره في الدراسات فأدرج فيه ما يدخل الضيم على استقامة نظرية في علم المصطلح العربي ... فنمط الاشتقاق التوليدي ... قد اصطلح عليه بالاشتقاق الصغير ثم أردف إليه نوعان آخران هما: الاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر. فأما الكبير – ويسمى كذلك قلبا – فهو أن يكون بين الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب في الحروف (ومعناه تقديم بعض أحرف الكلمة الواحدة على بعض، مثل: جذب وجبذ، وعاث وعثى)... فمكمن الغرابة التصنيفية ليس في تقرير أمر الظاهرة، فذلك حصافة سبق إليها الأقدمون. ولكن المضني هو أن نورد هذا الضرب من الاشتقاق على أنه من الوسائل التي نمت بها العربية، ورجع العلماء

(36) مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص9–10.

(37) المرجع نفسه، ص10.

والنقلة إليها عندما وضعوا آلاف المصطلحات في صدر الإسلام، سواء في العلوم الفقهية واللغوية أو في علوم فارس ويونان والهند وغيرها. فهذا النوع من الاشتقاق – إن جاز عده اشتقاقا – مظهر معجمي ليس إلا...لذلك كان سماعيا محضا...قد يكون في أصل منشئه شذوذا في الوضع أو لحنا في الاستعمال، تداولته اللغة فتراكم بما يشبه العوارض المرضية، وربما كان تنوعا لهجيا... فالقلب بهذه الخصيصة يفضي إلى خلق أزواج معجمية خلو من أي قيمة وظيفية، إذ لم تنبن على مردود دلالي ... أما ثالث الاشتقاقات فهو الاشتقاق الأكبر، ويسمى الإبدال، (وهو انتزاع لفظ من لفظ مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج واختلاف في بعض الحروف، نحو: عنوان الرسالة وعلوانها). وهو في حقيقة أمره ظاهرة صوتية...وليس إدراجه ضمن وسائل نمو اللغة العربية بأقل غرابة من إدراج سابقه، إذ هو من حيث الاستعمال سماعي مطلقا، ومن حيث القيمة الوظيفية غير ذي مردود معجمي ولا إثراء دلالي"[38].

إن الاشتقاق الجديرَ بهذا المصطلح – في رأي المسدي – هو ما يسمى اشتقاقا صغيرا، لأنه توليدي، بل هو أهم وسائل التوليد المصطلحي. أما ما نتج في العربية بالإبدال والقلب، إنما نتج في اللغة العامة بطرق عفوية غير مقصودة. ولذلك لا يمكن أن يعتمدا في توليد المصطلحات.

2 – مآلات المصطلح:

– تعدد المصطلح للمفهوم الواحد:

كان من نتائج تناول موضوع الاشتقاق وتصنيف أنواعه، تعددُ المصطلحات الدالة على مفهوم واحد، فقد سمي الاشتقاق الصرفي بعدة مصطلحات: (الاشتقاق، والاشتقاق الصغير، والاشتقاق الأصغر، والاشتقاق الصرفي، والاشتقاق العام، والاشتقاق التوليدي).

(38) عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1984م، ص32 وما بعدها. والأقوال الموضوعة في النص بين قوسين نقلها المسدي من كتاب مصطفى الشهابي "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث".

وسميت نظرية ابن جني بأكثر من مصطلح، سماها ابن جني نفسه: الاشتقاق الأكبر، والكبير، وسماها عبد الله أمين: الاشتقاق الكُبار[39]، وسميت قلبا، وقلبا لغويا، وقلبا اشتقاقيا[40].

وسمى الحاتمي الإبدال اشتقاقا أكبر، وسماه عبد الله أمين اشتقاقا كبيرا، وسماه كثير من العلماء والباحثين إبدالا.

وسمى عبد الله أمين النحت اشتقاقا كُبَّارا، وسماه صبحي الصالح كُبَارا، وسماه العلماء والباحثون نحتا.

- دلالة المصطلح الواحد على أكثر من مفهوم:

آلت دراسة الاشتقاق – عبر محطاته التاريخية – إلى تعدد دلالة المصطلح الواحد.

- فمصطلح (الاشتقاق الكبير): أطلق على نظرية ابن جني، وعلى القلب المكاني، وعلى الإبدال، واقترحه عبد السلام هارون لتسمية نظرية ابن فارس في مقاييسه.

- ومصطلح (الاشتقاق الأكبر): أطلق على نظرية ابن جني، وأطلقه أغلب العلماء والباحثين – بعد ابن جني - على الإبدال.

- ومصطلح (الاشتقاق الكُبَار): أطلقه عبد الله أمين على نظرية ابن جني والقلب المكاني، وأطلقه صبحي الصالح على النحت.

3. تركيب:

أ. وجوب التمييز بين نظرية ابن جني وبين القلب المكاني، وقد رأينا أنهما مختلفان اختلافا بينا.

(39) جمع عبد الله أمين بين نظرية ابن جني والقلب المكاني.

(40) عبد الله أمين، الاشتقاق، ص2.

ب. لا بد من التمييز بين الظواهر اللغوية، والنظريات اللغوية، ومناهج البحث. فالاشتقاق، والقلب المكاني، والإبدال، والنحت ظواهر لغوية وُجدت في نصوص العربية خلال مراحلها التاريخية المختلفة، وثبت تداولها ضمن خصائص اللغة العربية. أما صنيع ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة"، وما سماه ابن جني اشتقاقا أكبر في "الخصائص" فأجدر بأن يدرجا ضمن النظريات اللغوية، لأنهما يتميزان بجهد فكري بذله الرجلان في حقل المعجم العربي، تجاوزا فيه الوصف إلى التنقيب الدقيق عن الروابط العامة بين المفردات. وأما التقليب عند الخليل في كتاب "العين" فمنهج من مناهج البحث، استند إليه الفراهيدي لحصر مادته وترتيبها. وقد قاده هذا المنهج إلى التمييز بين المستعمل من كلام العرب والمهمل منه.

ج. وجوب تسمية الظواهر والنظريات والوسائل بأسمائها، وجعل الاشتقاق نوعا واحدا فقط يفرد بمصطلح (الاشتقاق)، وتسمية كل مفهوم من المفاهيم الأخرى بمصطلح يناسبه بعيدا عن الاشتقاق، خاصة أن لكل مفهوم مصطلحه: كالإبدال، والنحت، والقلب المكاني، فيما عدا نظرية ابن فارس، ونظرية ابن جني اللتين يمكن التفكير في المصطلح الذي يناسب كلا منهما.

د. ضرورة التمييز – في وسائل تنمية اللغة العربية – بين الوضع العام والوضع الخاص بالمصطلحات. فإذا كان الاشتقاق أقوى أداة لتنمية المعجم العربي، سواء من حيث الألفاظ العامة أو المصطلحات، فإن القلب المكاني، والإبدال، قد أديا إلى نشأة بعض المفردات العربية، ولكنهما لا يفيدان في توليد المصطلحات.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- الجرجاني، محمد بن علي (816هـ)، **التعريفات**، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، **الخصائص**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 (د. ت).
- الخليل، الفراهيدي (170هـ)، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، (د. ت).
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر(626هـ)، **مفتاح العلوم**، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- السيوطي، جلال الدين (911هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ 1998م.
- صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (395هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، الناشر محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م. **ومقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ط1399هـ - 1979م.
- عبد السلام محمد هارون، مقدمة كتاب **الاشتقاق**، لابن دريد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- عبد السلام المسدي، **قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1984م.

- عبد القادر المغربي، **الاشتقاق والتعريب**، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1947م.
- عبد الله أمين، **الاشتقاق**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2000م.
- علي عبد الواحد وافي، **فقه اللغة**، نهضة مصر، ط3، 2004م.
- مصطفى الشهابي، **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ط1955م.

ذاكرة اللسان

اللغة العربية والعالم الحديث

شارل بيلا
جامعة السربون (باريس)

قيل إن العرب لم يتصوروا الزمان كما نتصوره نحن أبناء القرن العشرين، إلا أن المؤرخين المسلمين شعروا بفردانية الوقائع التاريخية، أو بعبارة أخرى علموا أن التاريخ لا يعود ولا يستعاد، بالرغم من ذلك كله نرى جزءا من تاريخ العرب، بل من تاريخ اللغة العربية، كأنه يتكرر في وقتنا هذا إذ أن الناطقين بالضاد تعترضهم – والأولى أن أقول: تعتريهم مشاكل شديدة التعقد شبيهة بما اضطر أجدادهم في صدر الإسلام إلى تذليله من الصعوبات فيما يخص اللغة ومقتضياتها.

فلقد دعيت إلى تبيين هذه المعضلات وتوضيحها أي إلى الحديث حول إمكانيات اللغة العربية وهل هي جديرة بأن تستعمل في التعليم العالي والتقني، فهذا باب من أبواب العلم بعيد المرام صعب الطرق دقيق الفتح لأن مكانة العربية وموقفها من العالم الحديث موضوع يبعث على المجادلة والمشاجرة ويضرم نار الأهواء، فيستوجب الخوض فيه بعض الاحتياطات والتحفظات.

فالمسألة التي طرحت على بساط البحث ترجع إلى التساؤل عن روح العربية – ولم أقل عبقرية العربية لأن العبقرية شيء آخر لا يمت إلى مرادنا بسبب، وعن المصطلحات المستعملة في التعليم الفني والعلمي أتوجد وتستطيع أن تظهر إلى حيز الوجود أم لا، فيمكنني أن أجيب عفويا على هذا السؤال قائلا إن جملة من المصطلحات غير موجودة إلى حد الآن، إلا أن أغلب ما يحتاج إليه منها ممكن الوضع جائز الاختراع، ومثل هذا التصريح من شأنه أن يقر العيون

ويثلج الصدور، غير أني بحاجة إلى ضرب مثل بسيط إفهاما للموافقين وإفحاما للمخالفين: هبوا أن حارة جديدة قد بنيت في مدينة من المدن الكبار، فلا غرو أن إحداثها يثير مشاكل شتى منها مشكلة النقليات العمومية مثلا، فما هي واجبات المسؤولين عند ذلك؟ فيجب عليهم أولا أن يدرسوا المعضلة ويتأملوا معطياتها، أي أن يقدروا الحوائج الجديدة ثم يعددوا ويحصلوا الوسائل الموجودة فإن لم يكف ما لديهم من سيارات النقل التمسوا مركبات أخرى على حسب ما يقتضيه عدد السكان وهلم جرا، إلا أن النقليات لها إدارة منظمة وموظفون متدربون يعرفون موارد الأمور ومصادرها ويتخذون التراتيب اللازمة، أما اللغة فليس لها ديوان حكومي ولا يخدمها موظفون يطبقون مبادئ معلومة ويسلكون مسالك محدودة، بل يخدمها أفراد ليس لهم من الحيلة إلا حبهم للغة ومن المنهاج إلا ما خطر ببالهم، فعدم المنهاج أو إتباع منهاج اختباري لا يفضي في القرن العشرين إلا إلى الفوضى[1]، وخلاصة القول ففي جميع الميادين ينبغي لمن أراد القيام بالحوائج الجديدة الناجمة عن تغير الأحوال أن يحصي هذه الحوائج ويستخدم جميع ما لديه من الوسائل لسد الثلمة الظاهرة: فإن نجح فله الحمد وإن أخفق فقد أبلغ العذر.

ومن شأن الإنسانية، من بدئها إلى آخر الأبد، أن تتغير أحوالها وتتطور فتتقدم وتترقى، ولولا ذلك لعشنا في الكهوف والغيران وغطينا أجسادنا بجلود الوحوش والسباع، غير أن الحضارة ليست بنصيب أمة من الأمم بل إنها نعمة عامة ينتفع بها من شاء ويتركها من شاء، أعني بذلك أن البشرية إن تقدمت جملة فإن الأمم المختلفة تناوبت على المدنية وتداولتها، فنشأت حضارات وكهلت ثم هرمت وماتت، فقامت مقامها حضارات أخرى صارت مصيرها وهكذا إلى يومنا هذا، ومن ناحية أخرى فمن المعلوم أن المدنيات المعاصرة كانت تتباين بقدر تباعد البلدان وتفاوت الأحوال الجغرافية والاقتصادية إلى غير ذلك من

(1) لقد كتبت هذه الأسطر قبل إنشاء مكتب التعريب الذي نشر معاجم مؤقتة لها أهمية كبرى في سبيل التعريب ووضع المصطلحات المحتاج إليها.

العوامل الفعالة، فلم تزل هذه العوامل تعمل عملها وتؤثر في شكل المدنيات، ولكن الدنيا بعد أن كانت فسيحة الأقطار أصبحت ضيقة الأنحاء متماسكة الأجزاء رغما عن النـزاع السياسي أو الديني الظاهر الذي يكاد يخفي بواطن الأمور، والحاصل أن جميع المدنيات تميل الآن – في بعض نواحيها على الأقل – إلى شيء من الائتلاف والتشابه لا يخلو من أن يثير مشاكل شتى فيما يتعلق بمظاهر الحياة عامة، وباللغات المتكلم بها في مختلف أقطار العالم خاصة.

ثم إن التاريخ الكوني يعلمنا أن التقدم كان في أغلب الأوقات بطيئا تدريجيا لا يستعجل الأجيال المتتالية في وضع الكلام المناسب للحضارة التي هو آلة لها وأداة، وكذلك كانت الحال في أوربا على عهد الثورة الصناعية التي اندلعت في القرن التاسع عشر، فمنذ ذلك الوقت، وخصوصا منذ الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، تهاطلت علينا المخترعات الصناعية والمكتشفات العلمية حتى قيل إن الشيء يكاد يؤخذ قبل أن يوضع اسمه، وأن المدلول يسبق الدال عليه.

فلا يخفى على أحد أن الدول الغربية لها اليد البيضاء في أكثر هذه المخترعات والمكتشفات، ولحسن الحظ تكوَّن ولا يزال يتكوَّن كلام علمي مستمد من اللاتينية واليونانية اللتين أصبحتا معدنين لا ينبضان بعد أن كانتا أصلين أساسيين من أصول اللغات الغربية، ففي أغلب الأحوال يجوز أن تصير كلمة موضوعة في أمريكا مثلا فرنسية بغير تبديل إلا في النطق، ولكن الآفة التي لا مفر منها هي الاقتباس من اللغات الأجنبية في ميادين تستغني عن ذلك كالتجارة والرياضة، فالصحف الفرنسية وبعض الكتب مشحونة بألفاظ إنجليزية أو أمريكية لا حاجة إليها، ويشتكي أنصار الفرنسية هذا الاجتياح السلمي الذي أصبح خطرا على فصاحة اللسان[2]: يدل على ذلك كله على أن لغة عالمية كالفرنسية التي كانت إلى عهد قريب لغة الأوساط المثقفة في جميع أقطار

(2) حتى لقد نشر أخيرا أحد زملائي بجامعة السوربون الأستاذ (Étiemble) كتابا ممتعا عنوانه: "هل تتكلمون بالفرنجليزية" (نحتا من فرنسية وإنجليزية) ينتقد فيه الذين يكثرون من استعمال ألفاظ وتراكيب إنجليزية فيما يقولون ويكتبون.

أوربا، ولم تزل في بعض البلدان لغة الدبلوماسية لوضوحها وبلاغتها، لا تستطيع أن تتبع التقدم وتوافقه إلا بجهد جهيد، ولكنها لم تتأخر بعد، وعليها أن تقوم بالحوائج الناشئة كل يوم فقط، فما ظنكم باللغات التي كان يتكلم بها رجال انتقلوا فجأة من حضارة بانت بروحانيتها إلى مدينة تتميز بماديتها؟ فهذه هي المأساة ومنها نتج القلق الذي يشعر به الناطقون بالضاد، فليس داء بلا دواء ولن تموت فالأمل ممكن، بل إنه إجباري، ولو خامرني أدنى شك في حيوية العربية لما تناولت هذا الحديث.

فحالة العربية الآن غير حالة اللغات الغربية لأنها لغة عريقة في القدم بلغت أوجها في القرون الوسطى، ثم ركدت عصورا طوالا، وانتعشت في القرن الماضي لأسباب معروفة تغني استفاضتها عن إعادتها هنا، فتغيرت حينذاك الحضارة العربية تغيرا ملموسا، وأخذ سكان الشرق الأوسط من كل شيء غربي بطرف، حتى أنهم يفتقرون الآن إلى وضع عدد وافر من الألفاظ للدلالة على أمور موجودة في الغرب منذ أمد طويل، ويحتاجون، علاوة على ذلك، إلى تتبع الترقي السريع المستمر.

فإن نحن ألقينا نظرة إجمالية على ما تحتاج إليه اللغة العربية من الكلام رأينا أمسَّ الأشياء تنحصر فيما يلي:

أولا- العربية تحتاج إلى أمور وأشياء غير معهودة في المدينة العربية من ملابس ومآكل ومشارب وأدوات وغير ذلك، تحتاج إلى مصطلحات كالراديو والتلفون والنيلون وغيرها مما يدخل في نطاق الحياة اليومية، أو بعبارة أخرى، فاللغة بحاجة ماسة إلى ألفاظ دالة على مدلولات حسية.

ثانيا- الحاجة إلى الدلالة على مفاهيم غير معروفة من قبل متعلقة بالحياة الفكرية والإدارية والسياسية الخ.. فأهم المشاكل في هذا الميدان هو أن تتفق جميع البلدان العربية على " مصطلحات " مقبولة فلا يقال مثلا هنا " دراجة " وهناك " عجلة " للدلالة على (Bicycle).

ثالثا- الحاجة إلى المصطلحات العلمية والتقنية، فهذه المصطلحات هي التي تشغل أذهان الناطقين بالضاد فيتحيرون ويتساءلون عن سبب ما يظهر من تقصير في لسانهم وعن واجبهم في هذا المضمار إلى أمور من شأنها أن تشفي غليلهم.

ذلك أننا أن تأملنا لغة من اللغات، في وقت معين من تاريخنا، رأينا أنها تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

فالقسم الأول ما يجب على إنسان مثقف غير متخصص أن يعرفه من المفردات ليعبر عن أفكاره ويؤدي دوره في المجتمع ويقرأ الكتب والجرائد، فيتراوح عدد هذه الألفاظ حسب اللغات والأشخاص من بضعة آلاف، ومن هذه الكتلة اللغوية تنبثق روح اللغة وتظهر خاصيتها ومميزاتها.

وأما القسم الثاني فهو عبارة عن ألسنة متباينة ضمن لغة واحدة، أعني بذلك كلام الأطباء مثلا والفلاسفة والنجارة والحدادة والمتخصصين في مختلف الصنائع والعلوم والفنون، فيعلم تلامذة صف الفلسفة في المدارس الثانوية أنه لا يمكنهم إدراك ما في كتبهم الفلسفية دون مراجعة معجم خاص يتضمن ألفاظا كثيرة لا توجد في قواميس اللغة، وهكذا أصبح من الميسور أن نميز في هذا القسم الثاني فرعين: فالفرع الأول هو ما يجب على جميع الناس وبالأحرى المثقفين منهم أن يعرفوه من المصطلحات الفنية والعلمية ليقال إنهم من الأدباء، لأن الأدب كما تعلمون هو الأخذ من كل شيء بطرف، وأما الفرع الثاني فهو خاص الخاص وقدس الأقداس إذ يشتمل على المصطلحات الواجبة معرفتها لنيل شهادات التعليم العالي.

أما القسم الأول والفرع الأول من القسم الثاني فلا بأس بهما فيما يخص العربية لأن الجهود التي بذلها الكتاب والعلماء والصحفيون والخبراء قد أفضت إلى نتائج مرضية رغما عن الاتفاق التام بين كثير من الألفاظ وما يناسبها في اللغات الأخرى، فلا أنكر هذه الأصالة ولا أستكرهها، غير أن المكروه هو عدم

الثبوت في المعنى لأن كلمة عربية ربما تدل على مدلولات ومفاهيم تنتقل بين حدين متباعدين، لقد حاولت في معجم صغير نشرته منذ أعوام أن أحدد معنى الكلمات المترادفة ظاهراً المتباينة باطنا كافتراض واحتمال وغيرهما، ثم رأيت أن الكُتاب لا يراعون تدريج المعاني وربما يضعون الكلام غير موضوعه بدون ورع ولا حرج، فعلى كل يبدو أن جملة اللغة وافرة غزيرة ومع ذلك يجدر بي أن أعترف بأن الثّلم لم تسد بعد تماما، وأن مفاهيم عديدة من الصعب التعبير عنها بعربية فصيحة، ولكنا إن قارنا بين حالة اللغة في أواخر القرن الماضي وبين حالتها الحاضرة، لاحظنا أنها تقدمت تقدّما باهرا فيما يخص الإعراب عن مظاهر الحياة الحديثة، وأني لا أعتقد أن الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرف الناطقين بالضاد جديرة بأن توسع اللغة وتغنيها وترقيها وترفعها إلى مستوى عال سام.

أما الفرع الثاني فهو الذي يهمنا الآن لأن العربية متأخرة في هذا الميدان تأخرا نسبيا لا يجوز أن يعاب به العرب أنفسهم، ذلك أن التعليم التقني والعالي كان يتكفل به غالبا في الأقطار العربية أساتذة إنجليزيون أو فرنسيون وكان الطلاب يحسنون لغة غريبة فما زالوا لحسن الحظ يجيدونها، ولكن الأقطار المومى إليها قد نالت استقلالها التام بعد الحرب العالمية الثانية، فأرادت الحكومات أن تعرب التعليم في جميع درجاته ونواحيه دون استعداد كاف بل دون إعداد الأحوال الصالحة، فلقيت بغتة صعوبات شديدة ظنت في أوقات اليأس أنها لن تذلل أبدا، فهذه المصاعب – والحق يقال – مخيفة هائلة غير أن أهل اللغة لم يواجهوا المشاكل من وجوهها ولم يشمروا عن ساعد الجد والكد لحلها حتى ادعى بعضهم أنها محلولة فلا حاجة إذن إلى اعتبارها، فهذه حقيقة مرة من واجبي أن أبرزها.

وقد قلت أيضا إن التاريخ يتكرر أحيانا، فينبغي الآن أن أبدي رأيي في هذا الشأن: يعلم الحفاظ أن القرآن الكريم لا يتضمن كثيرا من المصطلحات الإسلامية التي يرجع فضل وضعها إلى علماء القرن الأول والقرن الثاني الذين

أجهدوا أنفسهم في إفراغ الألفاظ اللازمة في قوالب عربية حتى تصبح اللغة آلة صالحة للحضارة الإسلامية الناشئة إذ كان من الأكيد أن لهجة الحجاز ونَجْد كانت تقوم في الجاهلية بحوائج الشعراء والخطباء وسكان الوبر والمدر، ولكنها أضحت غير كافية بمجرد ما ارتقى العرب مدارج المدنية الرفيعة المتفننة التي نالوا بها مجدا خالدا.

فنشأت إلى جانب العلوم الإسلامية التي تتطلب مصطلحات كثيرة، علوم أخرى كالجغرافية والتاريخ فضلا عن الرياضيات والفلسفة وغيرهما من العلوم، فلما تسلَّم بنو العباس عرش الخلافة شجّعوا حركة الترجمة حتى أن لفيفا من المترجمين نقلوا من البهلوية واليونانية والسريانية عددا جمّا من الكتب الأدبية والتاريخية والعلمية والفلسفية، فنمت اللغة وتوسعت بفضل المترجمين ثم المتكلمين والفلاسفة الذين وضعوا أسس الكلام الفلسفي، ومن العجيب أن أكثر المصطلحات الإدارية والسياسية والفلسفية عربية الأصل – إن استثنينا أسماء النقود القديم اقتباسُها كالدرهم والدينار والفلس، وعددا يسيرا من الألفاظ الفلسفية نفسها مثلا – فترك هذه الملاحظات الخاطفة على سعة الجهود المستمرة التي بذلت لكي تعرب المفاهيم المأخوذة من مدنيات أخرى، ولسوء الحظ لم يعتن أحد بالأساليب والطرائق التي طبقت عفوا أو عن قصد في سبيل هذا التعريب.

ومع ذلك فإذا تصفحنا مثلا كتاب هيولي الطب في الحشائش والسموم لدياسقوريدوس الذي نقل إلى العربية في القرون الوسطى ونشر مؤخرا في تطوان (المغرب) رأينا أن المترجم لم يجد لعدد كثير من أسماء الحشائش والسموم ما يقابلها في اللغة العربية فأبقاها على حالها أي اقتصر على كتابتها بالحروف العربية، ومما يجدر بالملاحظة أن هذه أسماء كتابية صحفية لا رواج لها إلا في الأوساط المتخصصة من العطارين والصيادلة. فإننا سنصادف في مجرى بحثنا ما يشبه تمام الشبه بما قد مر ذكره، وبالضد فإن نظرنا إلى التحفة التي نشرها وترجمها إلى الفرنسية الدكتور رينو والأستاذ كولين وإدراجها في منشورات معهد

الدراسات العليا في الرباط بعنوان: «تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب» اضطررنا إلى الاعتراف بأن اللغة العربية كانت في القرون الوسطى تشتمل على كثير من أسماء النبات والأعشاب التي تنبتها الأرض حول البحر المتوسط، فمن اعتنى من العلماء المعاصرين بفحص لهذين الكتابين وأشباههما وبإقامة لائحة الأسماء المذكورة فيها؟

ولعلكم فهمتم من كل هذا الغرض الذي أرمي إليه والغاية التي أهدف إليها: فإن ما يعترضنا من مشاكل يمكن التماس حلول لها وليس ذلك بممكن فحسب بل ضروري إجباري إذا أردنا أن تدوم هذه اللغة الجميلة العزيزة وتحل محلها بين اللغات الكبرى، فالوسائل التي هي لدينا مختلفة وسأذكرها بدون ترتيب منطقي ليأخذها من شاء ويتركها من شاء:

أولا- رغما عما يزعم بعض الناطقين بالضاد فإن اللهجات العربية حية موجودة غير معدومة، فهي غنية واسعة تتضمن هنا وهناك ألفاظا عامية يومية الاستعمال لا توجد في اللغة الفصحى، منها خاصة مصطلحات أهل الصنائع، فلأي سبب لا يمكن الرجوع إليها عند الحاجة بشرط أن يتفق على معناها؟

ثانيا- رغما عن افتخار العرب بماضيهم المجيد لم يستغلوا ثروة قريبة المنال كثيرة المنافع ألا وهي اللغات الأجنبية التي أخذت من العربية في القرون الوسطى بألفاظ لم تزل حية إلى الآن، فلعل أهم هذه اللغات التركية التي ردت للعربية «جمهورية» و« لسان الحال» وغير ذلك وتستطيع أن ترد لها أيضا قسطا من المصطلحات الطبية والعلمية، ثم تليها الفارسية وكثيرا ما ألجأ إلى قاموس فارسي إذا ما صادفت كلمة عربية لا توجد في المعاجم العادية بالمعنى الذي كانت تستعمل به في القرون الوسطى، لأن أصحاب القواميس العربية لم يقيدوا المولدات، وأظن أن معاصرينا لم يكترثوا لذلك، كما أنهم لم ينتفعوا باللغات الغربية كالإسبانية والفرنسية وغيرهما، وإني أعتقد مثلا أن اللفظة المعروفة

(chéque) التي صارت في العربية « شيك» هي في الأصل « صك»، ولْنقس على ذلك.

ثالثا- وبالعكس من ذلك لا تتورع العربية عن الاقتباس، ومن المعلوم أن الدخيل فيها غير قليل إلا أن المسلمين أنفسهم يقرون بأن في القرآن ألفاظا غير عربية الأصل كمنبر وصراط وصلاة وغير ذلك مما ذكره النحويون، حتى ذهب السيوطي على أن في القرآن بضع كلمات بربرية.

ولكن مسألة الاقتباس من اللغات الأخرى مسألة دقيقة صعبة، فإن اللهجات، بما أنها حية، يمكنها أن تقبل جميع المفردات الأجنبية فتعرّبها تعريبا نسبيا حتى يقال قبطان (capitaine) على وزن فرمان، وجن النار (général) أو تبقيها على حالها كطموبيل (automobile) وأوتيل (hôtel)، أما الفصحى فلا تتمتع بحرية تامة وإن بدلت الكلمة الدخيلة لتفرغها في صيغة شوهتها وجعلتها غير مفهومة، فإن أخذتها اللغة كما هي لم يعرف من جهل اللغة الأصلية كيف يقرأها، وقال مثلا تلفون (بضمتين)، وزدْ على ذلك أنه من الصعب أن يجمع أهل اللغة على مثل هذا الدخيل إلا بعد طول المدة، إن لم تمت الكلمة في أثناء ذلك، فالأفضل، إذن، أن يقتصر على أخذ الألفاظ التي لها أشباه في اللغة فتنضم بسهولة تامة إلى السلاسل اللغوية، كقلم على وزن علم، وتلفزة على وزن فلسفة، وغاز على وزن نار.

وأمّا الألفاظ التي لا تُعرّب بسهولة فأعتقد أن الكف عنها أحسن والتماس كلمات عربية أصوب، فإذا تنافست كلمتان إحداهما عربية والأخرى دخيلة فالأفضل أن تستعمل الأولى بدل الثانية، فقد قرأت في محضر من محاضر الدرك السوري: «كلمناه هاتفيا» ومن العجيب أن أكثر الناس يقولون تلفونيا أو بالتلفون مفضلين كلمة غير عربية بدون جدوى ولا منفعة، فهذا مظهر من مظاهر الفوضى السائدة في الوقت الراهن، وبالعكس فإن تنافست كلمة دخيلة واضحة كَفِلْم وأخرى عربية ذات معان شتى مثل شريط، فالأولى أن تقدم الأولى على الأخرى.

فلا يجوز وأنا بصدد هذه الدراسة الوجيزة لتصريف الدخيل من الكلام إلا أن ألاحظ أن الخط العربي قلما يحتفظ بأصوات الكلمات المأخوذة، وعلى سبيل المثال فإني لا أدري كيف أكتب اسمي حينما أمضي كتابا أو مقالا بالعربية؟

فإن الاتفاق الذي ذكرته آنفا بين (فِلْم) والجهاز الصوتي العربي قليل الوجود نادر الحدوث، ولذلك قد تجاوز بعض الناس الحق إلى الباطل فاقترحوا استبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية، ولكني أعتقد أن مثل هذا المشروع مكتوب عليه الفشل، لأن العربية غير التركية، وأيقنت أن الخط العربي سيدوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومع ذلك لقد تأملت هذه القضية فرأيت أن تستعمل الحروف اللاتينية في أحوال معينة وأوقات محدودة معلومة ونواح خاصة من التعليم العالي، أي في كليات العلوم والصيدلة إذا ما طرق باب المركبات الكيماوية مثل: (methylaminoethanol) لأني أظن أنه ليس من الضروري أن يلتمس الأساتذة تعريب هذه المولّدات – بمعنى الكلمة الأصلي – الحوشية، فيكفي إذ ذاك أن يعرف الطلاب الخط اللاتيني، وبما أنهم مضطرون لأسباب أخرى إلى معرفة لغة أجنبية فليس في ذلك عظيم الضرر.

ومن جهة أخرى يعلم الجميع أن علماء النبات والحيوان يستعملون في العالم أجمع اسما ونعتا لاتينيين لكل جنس ونَوْع منه النبات والحيوان، فهذه الأسماء والنعوت مُجمع عليها، كما قلت في العالم كله والروس أنفسهم الذين يكتبون بخط خاص يذكرون لكل حيوان ونبات اسمه ونعته باللاتينية، ومع ذلك أرى بعض الناطقين بالضاد ينفردون وينفصلون عن سائر العالم فيريدون أن ينقلوا هذه المصطلحات من اللاتينية إلى العربية بدون فائدة.

ولكن لا أرى مانعا من تعريب بعض المصطلحات المستعملة في التعليم الثانوي، وأستحسن المنهاج الذي قد طبق منذ أمد طويل في سوريا حيث تستعمل أسماء مركبة من اللفظة العربية الأصيلة، والنهاية الفرنسية مثل كبريتور وكبريتات.

رابعا- أن اللغة العربية غنية جدا، ولكن اللغويين الذين ألفوا المعاجم على حسب نظريتهم اللغوية جمعوا ما استطاعوا جمعه من لغات القبائل وكلام الشعراء، ولم يلتفتوا إلى الألفاظ المولّدة التي قد يحتاج إليها في الوقت الحاضر، ولقد جعلتني مطالعة الكتب القديمة أعتقد أن تنقيبا دقيقا في مؤلفات القرون الوسطى سيجلب غلاّت وافرة ذات قيمة لا تقدر.

خامسا- أن اللغة العربية مرنة جدا بفضل الاشتقاق، فلها المصادر وأسماء الآلات والأمكنة والأزمنة وغير ذلك مما يسهّل وضع كلمات جديدة، فلا أستنكر مثلا «مكتاب» على وزن «منشار» للدلالة على الآلة الكاتبة، و«نحّال» لمربي النحل، والذي استشنعه هو ما يسمى بالنحت كمثل «تحتربه» (Underground) أو ما «مافوسجي» (ultraviolet) (ما فوق البنفسجي)، أما الألفاظ المركبة من «لا» وكلمة أخرى (لا مبالاة، لا شيء، لا نهائي) فلا بأس بها لأن هذا التركيب قديم لا يخالف روح العربية مخالفة منكرة.

سادسا- لأكثر المفردات القديمة معان شتى يجوز أن يستخرج منها معنى ملائم لما يحتاج إليه تمام الملاءمة، ولما يسمى التضمين دور هام في توسيع اللغة وإغنائها.

تلك بعض الوسائل الصالحة لسدّ الثلم الباقية في اللغة العربية، وقد استخدمت قليلا أو كثيرا منذ القرن الماضي، ولكنني أعتقد أنه من الواجب على الناطقين بالضاد أن يدركوا أن وقت المنهاج التجريبي قد مضى، وحان زمن المنهاج المنطقي العلمي، لأن الحالة الراهنة لا تفضي إلا إلى القلق والغصة ولا تنتج إلا الاضطراب والفقر، فإن عثر أحدهم على كلمة جيدة أو اخترعها من تلقاء نفسه لم يلبث منافسوه وحساده أن يستقبحوها فيحاولوا أن يروجوا مكانها كلمة أخرى أقل جودة وفصاحة وهلم جرا، فهكذا تتعدد العبارات الدالة على مدلول واحد، في حين أن عدة مفاهيم لا يمكن التعبير عنها.

فإن أراد المسؤولون تنمية العربية وتوسيع نطاقها وترقيتها إلى مستوى اللغات الكبرى، فعليهم أن يتخذوا مختلف التراتيب دون أن يتّكلوا على المجامع

العلمية رغم ما تبذله من الجهود في هذا المضمار، فإني لم أزل منذ ربع قرن موقنا بأن **اللغة العربية جديرة بأن تصبح لغة عالمية**، ولكني أتأسف على ضياع الوقت وعدم المنهاج واضطراب المساعي الفردية التي تذهب أحيانا إدراج الرياح، فمن المرغوب فيه أن تؤلف جامعة الدول العربية عدة لجان[3] مركبة من متخصّصين في علم من العلوم وصناعة من الصنائع وفن من الفنون، وتكلفها بتأليف قاموس يوزع في جميع المدارس من الابتدائية إلى العالية لكي تُوحّد اللغة ويزول الاختلاف.

*** مجلة "اللسان العربي": العدد الخامس (5)، من الصفحة 50 إلى 55. سنة النشر: 1967.**

(3) هذا اقتراح كان قبل أن يؤسس المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي.

نشأة اللغة العربية ومصادرها

إبراهيم حركات
جامعة محمد الخامس – الرباط

اللغة العربية من اللغات السامية التي نشأت فيما نسميه الآن منطقة الشرق الأوسط وقد ظلت الآراء مضطربة في الأصل المشترك لهذه اللغات حتى الآن.

على أن المراكز الأولى التي ترعرعت فيها اللغة العربية بعد تبلورها هي على الخصوص اليمن والحجاز. أما في اليمن، فكانت العربية أكثر اتصالا بالأكدية والحبشية من أي لغة أخرى[1] على أن الهجرات الجنوبية إلى الشمال والغرب جعلت عربية اليمن تؤثر إلى حد بعيد في هذه المناطق، وأما في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والنبطية والعبرانية، وهكذا فإن هجرات القحطانيين واحتكاكهم بالعدنانيين ساعدت على تركيز لغة مشتركة للتفاهم وقرض الشعر، هذه اللغة التي أمكنها أن تطغى على الحميرية الصرف.

وما من شك في أن هجرات اليمنيين إلى الشام، وعدم وجود وحدة حكومية عربية، ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على المقومات القبلية لم يكن من شأنه إلا أن يوسع دائرة اللغة العربية بما شملته من تعدد المصطلحات للمعنى الواحد. إذ كان لكثير من القبائل لهجات خاصة دون أن يكون التفاهم مع ذلك صعبا بينها. وإذا كنا نجهل متى نشأت العربية، فمن المعلوم لدينا أنه قد مر قرن على الأقل قبل ظهور النبي، وقبل أن تصل العربية إلى درجة الإتقان[2].

---

(1) حنا 1–21.

(2) لوبون 472.

ولم يقتصر العرب على شبه الجزيرة وحدها كموطن لسكناهم ومعيشتهم، بل انصرفت عناصر منهم إلى البلدان المجاورة لشبه الجزيرة قبل الإسلام ومن وقت طويل. ولما كانت هذه البلاد المجاورة نفسها موطنا لأمم سابقة بينها وبين العرب صلة شديدة القوة كالأنباط والأشوريين الكلدان، فقد سهل على المهاجرين من شبه الجزيرة الاستقرار بهذه البلاد، وكونوا في ظل الحكم الفارسي والروماني بعض الممالك التي اشتهر منها على الخصوص، مملكة الحيرة التي ازدهرت في القرن 5 ق.م. ومملكة غسان التي ازدهرت في القرن 6 ق.م.

فلم يكن العرب والحالة هذه، يعيشون كلهم منكمشين على أنفسهم في شبه الجزيرة، بل كانت لهم علاقة وطيدة بمدنية الفرس والرومان. وهذا ينطبق بالخصوص على سكان الحجاز، وعرب الشام والعراق.

ولقد كان لعرب الحجاز تجارة واسعة مع الفرس والرومان، أو على الأصح مع العراق والشام واحتكر التجارة منهم قريش خاصة، لأنهم كانوا يقطنون مكة التي تعتبر منذ زمن سحيق العاصمة الروحية للعرب.

والتجار يحتاجون إلى تعلم لغة البلاد أو الأمة التي لهم بها علاقة تجارية، ومن ثم كان لا بد أن تدخل ألفاظ كثيرة إلى العربية من الفارسية والرومانية. وهذه الألفاظ لا بد أن تكون ذات صلة بالحضارة ما دام كل من الرومان والفرس في عداد الأمم المتحضرة يومئذ، بل أرقاها علما ومدنية.

لذلك استقبلت العربية ألفاظا جديدة ومتعددة، من بينها أسماء بعض الثياب والأواني مما أوردته عدة مصادر، وعلى رأسها القرآن.

ولغة العرب ظلت ترتبط في الجاهلية إلى حد بعيد بالمحسوسات التي يقع عليها بصر العربي الذي إن أنشأ شعرا أو أدبا، فهو لا يتجاوز ذلك المحيط الضيق الذي عاش فيه، ولا يحلق بعيدا في الأجواء الإنسانية إلا بقدر ما يرد منه ذلك عفوا، كالذي نلاحظه في معلقة عمرو بن كلثوم.

ولكن الذي يثير انتباه الباحث، هو أن كل ما يرتبط بظواهر الطبيعة في حدود شبه الجزيرة، يمثل ثروة لغوية لا تقدر بثمن، فكل أنواع الصحاري

والأودية والحيوانات، وكل أجزاء الدواب والنباتات وغيرها من الكائنات التي عرفها الجاهلي في محيطه، استطاع بمنتهى اليسر أن يخلق لها اسما أو تعبيرا مناسبا، وإنك لواجد لبعض هذه الكائنات والمخلوقات وحتى المصنوعات أسماء عديدة تختلف في الغالب باختلاف لهجات القبائل، كأسماء المعارك والأسد والسيف.

وإذا كانت قريش زعيمة كل هذه القبائل من غير منازع، طالما كانت تتولى أمور الكعبة وتسيطر على تجارة الحجاز، فإن لهجتها استطاعت في النهاية أن تصهر كل هذه اللهجات لتخلق منها لهجة مشتركة، هي التي نسميها اليوم اللغة العربية. فقد كانت يومئذ لهجة، لأنها لم تكن ذات علم مكتوب. ومع ذلك لم تكن لغة قريش بقادرة على أن تقضي كليا على تعدد المصطلحات لنفس المعنى أو المدلول، ولئن كان هذا عيبا في الوقت الحاضر، فإنه كان شيئا عظيما يومئذ لأنه مكن الشعراء أن يفسحوا لأنفسهم المجال في اختيار الألفاظ على تعددها، كما انتهينا بواسطته إلى أن نميز بين بعض اللهجات القبلية. ومن الملاحظ أن كثيرا من القبائل كانت تنظر إلى الجانب المهمل أو غير المنظور في المدلولات فتحدث لها أسماء مخالفة[3]. فالسيف مثلا اسم أداة، ولكن لفظ الحسام له دلالة غير مجرد أداة، فهو يحسم أي يقطع وهذا نموذج لاختلاف اللهجات.

ولو أن الفرس أو الرومان احتلوا شبه الجزيرة، وطال احتلالهم لها، لربما كان للغة العربية في الجاهلية مصير آخر فالمغلوب كما يقرر ابن خلدون يقلد دائما لغة الغالب، ولكن العربية اكتفت منذ العهد العباسي باقتباس عدد من الألفاظ الفارسية واليونانية التي شملت العلوم وجوانب أخرى من الحضارة لم يكن للعرب بها عهد في الجاهلية، ولم يضر هذا الاقتباس اللغة العربية بحال، لأنه اقتباس علمي وحضاري وليس اقتباسا سياسيا إجباريا.

وكانت هناك بعض الميزات التي اختصت بها لهجات العرب غير قريش. وكان هؤلاء يحتكون بهم أثناء مواسم الحج، فما استحسنوه من لهجاتهم تكلموا به وما استقبحوه تركوه. وكان ضمن ما أخذ على هذه اللهجات من عيوب[4]:

(3) لوبون ص 9.

(4) المزهر 1 ص 221.

1 – الكشكشة وهي زيادة شين بعد كاف خطاب المؤنث (عليك، عليكش).

2 – الفحفحة في لغة هذيل، وهي جعل الحاء عينا.

3 – الشنشنة في لغة يمنية، وهي جعل الكاف شينا في جميع الحالات.

4 – العنعنة في بعض لهجات قيس وتميم، وهي جعل الهمزة في أول الكلمة عينا مثل أكرم (عكرم).

ومقابل ذلك نجد ألفاظا كثيرة دخلت العربية منذ العصر الجاهلي عن لغات مختلفة ترتبط اقتصاديا وسياسيا بحياة العرب أنفسهم. ومن هذه الألفاظ[5]:

1) في السنسكريتية: كافور – قرنفل – بهاء.

2) في الفارسية: ديباج – فالوذج – زنجبيل – صندل – سكرجة – طست – إبريق – طبق – خوان – سندس – سميذ – كوز – نرجس – وبعض الألفاظ الفارسية نجدها في القرآن الكريم (ابريق، زرابي، سندس إستبرق).

3) في العبرانية: حج – كاهن – عاشوراء – بيت.

4) في اليونانية: اسطرلاب – بطريق بطاقة – قسطل – ترياق.

5) في الحبشية : منبر – حواري – برهان – كفلين – مشكاة – هرج والثلاثة الأولى من استنتاج السيد جرجي زيدان[6].

فالعربية إذا، اعتنت بألفاظ كثيرة منذ العصر الجاهلي ولكنها ازدادت غنى في العصر العباسي كما هو معلوم.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية 1، ص44–46، والمزهر 1 ص 275.

(6) مصدر سابق، ص 45.

ولم تكن ألفاظ الكلام العادي وحدها مصدرا لدراسة اللغة وتدوينها بل كانت هناك مصادر أساسية أخرى لعلها أهم، وهي القرآن والشعر والأمثال والقصص.

فأما القرآن ففضلا عن كونه أحدث تغييرا جذريا في التفكير العربي في جميع مناحي الحياة، فقد كان مصدرا عظيما للغة التي أغناها بمصطلحات كثيرة أو بأسلوب جديد على الأصح وكثير من هذه المصطلحات أو الأسلوب يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين كالزكاة والميراث والصلاة والإيمان ومشتقاته.

وكان النبي يقدم هذا الأسلوب المنزل عليه في صورة وحي، كأخبار أو جواب عن أسئلة يثيرها العرب: (يسألونك عن الأهلة – يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه – ويسألونك ماذا ينفقون – يتساءلون عن النبإ العظيم...إلخ).

وإذ اتسم الدين بمنتهى البساطة في عهد النبي، فلم تثر أسئلة كثيرة لتأويل عدد من نصوص القرآن. فكان على الصحاب أن يأخذوا على أنفسهم ثقل هذه المسؤولية، فلم يقدم على لك إلا قليل منهم كعكرمة وابن عباس اللذين تصديا للجواب على كثير من الأسئلة التي أثارها المستفسرون.

وأثار الخلاف في قراءة القرآن مشكلة ظهور عدة روايات تنوقلت عن جماعة معينة من القراء واحتفظت الآيات بوجه عام بصورتها الحقيقية، وإنما كان الخلاف يتعلق بالحركات لا بجوهر اللفظ نفسه.

ومهما يكن من شيء فإن القرآن كان مرجعا أساسيا لرواة اللغة الذين اعتمدوه كنقطة استقرار واستنتاج، وقد حفظ عددا من الاستعمالات التي لم تعد اليوم جارية في الأسلوب العربي (إن هذان لساحران- قال رب ارجعون – والأرض فرشناها – فقد صغت قلوبكما – (والمقصود قلبان فقط) قال رب ارجعون ...إلخ.

وكل هذه الاستعمالات وغيرها كان يستشهد به للتدليل على صحة ما يقابله من غير القرآن.

ولم يحظ الحديث بمثل هذه الحظوة من حيث اعتباره مرجعا في اللغة لأن أحاديث كثيرة ضعفت أو نسبت كذبا إلى النبي. وكان لنشأة المذاهب الدينية والسياسية المختلفة، أثرها في خلق أحاديث لم تثبت صحة نسبتها للنبي، ومن ثم، اجتنب نقلة اللغة ورواتها الأخذ بالحديث فيما يهم الاستشهاد بصحيح اللغة وتبيان السالم منها والفاسد.

ومع ذلك فتوجد تراكيب مشهورة وردت قصدا أو ضمنا في أحاديث النبي حتى قيل أنها لم تسمع عن غيره من قبل، ومنها[7] مات حتف أنفه – الحرب خدعة – لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ولكنها أصبحت جارية الاستعمال فيما بعد.

وأما الشعر فمصدر بالغ الأهمية للغة، حتى قيل إنه لولا الشعر لضاع نصف اللغة، وهذا حكم صحيح إلى حد كبير.

وإنما ظل الشعر مصدر اللغة لسهولة حفظه وروايته، ولأنه لا يحتمل المكذوب والمدسوس مثلما يحتمله النثر، وإذا كان الشعر لم يسلم من التحريف والانتحال، فإن بعض الأدباء عمدوا إلى جمع كثير منه كتابة في وقت متأخر نسبيا كأبي تمام (الحماسة) والأصبهاني (الأغاني).

والذين تصدوا من جماع مواد اللغة للتأليف في هذا الباب عمدوا إلى الاستشهاد بالشعر كما فعل النحاة أيضا.

وهكذا استشهدوا بالشطر التالي على أن (عزب) تطلق على الذكر والأنثى:

يا من يدل عزبا على عزب

(7) مزهر ،1 ص 302. ويرى بشر فارس في "مباحث عربية" أن الحديث: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق على الرغم من شهرته، فهو غير مقطوع بحصته، واستند في ذلك إلى "الموطأ" الذي أورده بنص بعثت لأتمم حسن الأخلاق. وإذا فالرواة لم يعتمدوا على الحديث لمثل هذا السبب.

واستشهدوا في إخضاع الأسماء العجمية لأبنية كلام العرب بقول الأعشى:

وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه

له ما أشتهى راح عتيـق وزنبـــق

وشهنشاه، اختصار لـ (شاهان شاه)[8].

كما استشهدوا في مخاطبة الواحد بلفظة التثنية بقول سويد بن كراع:

فان تزجراني يا بن عفان انزجر

وإن تدعاني احم عرضا ممنعــا

وقس على هذه الأمثلة، وقد كان عباس يقول: إذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، لأن الشعر ديوان العرب.

وأما الأمثال فتعتبر كذلك من مصادر اللغة، وللعرب منها الشيء الكثير، وهي ذات أهمية بالغة من حيث ارتباطها اجتماعيا وأدبيا بحياة العرب. كما أن كثيرا منها يصلح تطبيقه على غير العرب من الأمم والأفراد، كقولهم : (الحرب خدعة، ومعظم النار من مستصغر الشرر، ولا يطاع لقصير أمر) وقد أخذت كثير من دول أروبا عددا من الأمثال عن العرب[9].

على أن وراء كل مثل قصة حفظت كتب الأمثال كثيرا منها، وخصوصا، مجمع الأمثال للميداني (518 ه).

والقصص تمثل بدورها نماذج صادقة من تفكير العرب وآدابهم، وأهميتها اللغوية تتمثل فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الأسلوب وأحسن مرجع لها وكتاب الأغاني والبيان والتبيين للجاحظ والأمالي للقالي.

(8) مزهر 1 – 293 و (2) 484.

(9) لوبون ج 1، ص 484.

وموجز القول إن القرآن والشعر والأمثال والقصص قد أدت دورا بارزا في حفظ اللغة وتقويمها. إلا أن وقتا طويلا قد مر على المفكرين والباحثين قبل أن يهتدوا إلى الخطر الذي أصبح يهدد اللغة بعد فشو اللحن فيها بسبب الاختلاط بالأعاجم، وبعد العرب عن شبه الجزيرة التي نشأت فيها لغتهم.

ولست موردا هنا نماذج للأخطاء اللغوية والنحوية التي تفشت على ألسنة العرب في زمن مبكر من صدر الإسلام، فهذه النماذج ترددها مصادر كثيرة كالعقد الفريد والمزهر، وسأورد بعضها فيما بعد.

إلا أن الذي ينبغي تسجيله هنا هو أن جميع الدراسات اللغوية إنما كان سبب نشأتها ونموها القرآن قبل غيره.

ذلك أن ألفاظا كثيرة يرددها القرآن كانت مثار أسئلة المسلمين منذ عهد الرسول. وكان بين هذه الألفاظ ما هو غير عربي، ثم كان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الإقدام على التأويل الشرعي فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن واختلفت الروايات في قراءة القرآن فنشأ عن ذلك علم القراءات التي كانت ذات ارتباط وثيق بالنحو. وأخيرا فإن وضع قواعد النحو كان ضروريا لحفظ آيات القرآن على صورتها الأصلية وبقطع النظر عن تعدد القراءات.

ولحسن الحظ فقد كان العرب يفطنون إلى ضرورة تدوين أكثر ما يمكن من الأشياء التي يخشون على ضياعها بسرعة، كما فعلوا في تدوين المصحف مثلا. وقد بدأوا في ذلك منذ أيام أبي بكر وهذا يدل على أن العرب كان فيهم عدد ممن يحسن الكتابة. بل يمكن أن يفهم من تعليم أسرى مكة لصبيان المدينة إثر وقعة بدر، أن الكتابة كانت تنتشر بمكة التي عرفتها قبل المدينة[10] ومن ثم فتدوين العلوم المتصلة بالقرآن قد سبق تدوين غيرها من العلوم.

وبالرغم من أن الكتابة كادت تكون مجهولة في باقي أجزاء شبه الجزيرة، فإن الألفاظ اللغوية التي حفظتها القصائد تشكل ثروة هائلة، ولقد كانت لغة

(10) P.10 Essai sur l'origine de l'écriture.

الشعر كما يقول بروكلمان[11] أشبه ما يكون بنهر جداوله هي اللهجات المحلية للقبائل، والتي اشتقت من العين نفسه.

وإذا كان للقرآن فضل في انتشار العربية بشكل لم تكد تعرفه لغة أخرى في العالم[12] فإن الموارد الأخرى التي استقى منها الرواة ودارسو اللغة الأولون قد أدت بدورها خدمة لا تنكر للعربية.

ولقد ظلت اللغة العربية على متانتها في عهد النبي على الخصوص وفي أيام الراشدين بوجه عام. وما سجل من الهفوات على بعض العرب آنذاك لم يكن شيئا يذكر بالقياس إلى ما بلغته العربية من فوضى فيما بعد. بل نلاحظ أن السود الذين دخلوا في الإسلام منذ الجاهلية وعهد النبي انسجموا بسهولة مع النطق العربي السليم كعنترة ذي الأم الإفريقية، وبلال الحبشي، وصهيب الذي اختطفه الروم صغيرا. بيد أن عدد هؤلاء كان قليلا لم يؤثر في سلامة اللسان العربي.

ولا ننس بعد هذا أن عددا كبيرا من ألفاظ الجاهلية قد أهمل استعماله ابتداء من صدر الإسلام، ثم فيما بعد. وهكذا فقد كانت أسماء الأيام في الجاهلية هي : السبت : يشيار، الأحد أول، الإثنين: أهون وأهود، الثلاثاء : جبار، الأربعاء : دبار، الخميس : مؤنس، الجمعة : عروبة، كما أهمل قولهم حببت فهو محبوب، وترك : مضنى وبقي امضنى[13] ...إلخ.

وإلى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال في تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من فاسدها وغريبها من مستعملها، وإن كان الكوفيون قد ساهموا بدورهم في هذا الميدان، إلا أن مؤلفاتهم على العموم لم يتح لها تأثير كبير من حيث الذيوع والانتشار.

مجلة "اللسان العربي" : العدد الثاني (2)، من الصفحة 40 إلى الصفحة 44. سنة النشر : 1965.

(11) P. de Linguistique, page 40
(12) P. de Linguistique, page 41

(13) المزهر 1 – 218.

مستقبل العربية كلغة عالمية
رهن بمستقبل العرب

عبد السلام العجيلي
أديب وكاتب- سوريا

1 - إن تحديد انتشار اللغة العربية في العالم ليس ناجما عن مشاكل متعلقة باللغة نفسها، بل عن أسباب متعلقة بالأمة العربية ومنزلتها بين أمم العالم ومستواها الحضاري في العالم المعاصر. ليس أدل على هذا من أن اللغة العربية انتشرت بسرعة فائقة بعد ظهور الإسلام ونهضة العرب الحضارية التي تلت خروجهم من جزيرتهم. لم تقف أمام انتشار اللغة حينئذ أية مشكلة من المشاكل التي تثار الآن كتعقيد النحو والصرف وعسر الكتابة وصعوبة مخارج الحروف.

فتخلف العرب الحضاري هو المسؤول عن الحد من انتشار اللغة العربية بين الأمم التي ليست هذه اللغة لغتها. وحين لا يكون عند العرب ما يغري الشعوب الأخرى بالتماسه من منابعه، من معطيات ثقافية وفنية أصيلة، وحين لا يغزو العرب أمم العالم لا بقوتهم ولا بعملهم، تبقى لغة العرب لغة ثانوية لا يتكلف أحد جهذا في تعلمها غير ذوي الفضول ومحبي الغرائب، مهما كانت اللغة من اليسر أو قرب التناول.

2 - مما أسلفت يتبين أن ليست هناك مشكلة رئيسية ليكون حل لها. ومستقبل اللغة العربية كلغة عالمية رهن بمستقبل أهلها الناطقين بها.

ولا شك أن هناك مشاكل هامشية نستطيع أن نسميها صعوبات لا تخلو من مثلها أية لغة سواء كانت واسعة الانتشار أو قليلته. ومعالجة هذه الصعوبات

تيسر تناول اللغة وتعلمها، ولكنها لا تعطيها القدرة على فرض نفسها كلغة عالمية.

3 – في رأيي كل لغة يتكلم بها الناس ويكتبونها تصلح للتدريس الجامعي. واللغة العربية أصلح من كثير غيرها من اللغات لكثرة مفرداتها ولدقة الفروق بين معاني المفردات المتقاربة منها، ولمرونة التركيب فيها، ولماضيها الحضاري. ولأنها كذلك لغة جماعة كبيرة من الناس لهم تراثهم الجليل في التاريخ وللأوطان التي يسكنونها قيمة في حاضر العالم ومنزلة كبيرة منتظرة في مستقبله.

4 – العلم العصري سواء كان تدريسا في الجامعة أو بحثا علميا هو علم غربي البيئة والأصول أجنبي على اللغة العربية، قد تلقاه الأساتذة والبحاث باللغات الأجنبية في الغالبية العظمى من الحالات.

والمشاكل التي تعترض الأساتذة الجامعيين في تعليم العلم والبحث في اللغة العربية مشاكل على نوعين:

النوع الأول: مشاكل نفسية مصدرها ألفة الأساتذة لغة الأجنبية في تفكيرهم العلمي واقتران المعطيات العلمية في أذهانهم بالتعبير الأجنبي الذي درسوه فيه، أيا كانت اللغة الأجنبية تلك أفرنسية أو إنكليزية أو ألمانية أو روسية. هذا الاقتران وتلك الألفة يؤسسان في نفس الأستاذ الجامعي اقتناعا بعجز اللغة العربية التي تلقى ثقافته العلمية بغيرها، عن أن تكون وعاء متسعا للمعارف التكنيكية أو البحث العلمي.

وهذه المشاكل النفسية تحتاج في حلها إلى إيمان الأساتذة الجامعيين والبحاث بأمتهم وبلغتها وبمستقبلها وطبيعي أن الإيمان بالأمة لا يحدث في يوم وليلة، فهو نتيجة للتربية الوطنية الصحيحة. وكذلك الحال في الإيمان باللغة فهو لا يكون بأمر أو قرار رسمي، بل لا بد للأستاذ الجامعي من أن يكون قوي الاطلاع على لغته الأم متذوقا لقيمتها التاريخية المتمثلة في تراثها المتوارث طوال أربعة عشر قرنا. أما الإيمان بمستقبل الأمة فهو نتيجة ملازمة

لمعايشة الأستاذ الجامعي لواقع الشعب الذي هو أحد أفراده بالاطلاع على مشاكله وحاجاته والتعرف على إمكانياته الكامنة وطاقاته المحدودة. فالأستاذ الجامعي في العالم العربي المعاصر يجب أن لا يكون في عزلة. إنه، لكي يقوم بما عليه أن يقوم به، يجب أن يكون رائدا وطليعة في بناء الأجيال الجديدة التي تفتقدها أمته بين الأمم، أعني بها الأجيال العلمية.

النوع الثاني: من المشاكل التي تعترض الأساتذة الجامعيين في هذا المجال مشاكل واقعية مصدرها اللغة العربية نفسها. فنحن نعرف ونعترف بأن لغتنا لم تصبح بعد لغة علمية متكاملة وأن قصور اللغة العربية في هذا المجال يعود إلى أسباب تاريخية وإنسانية خارجة عن إرادتنا نحن، وعلينا نحن بإرادتنا وتصميمنا أن نمحو هذا القصور ونعطيها الصفة التي تنقصها لتصبح مثل غيرها لغة صالحة لتدريس العلوم والبحث فيها. وهذا أمر لا يمكن أن يحدث في يوم وليلة، أو أن يقوم به فرد أو أفراد قلائل. على كل مدرس وباحث أن يأتي بما يقدر عليه في مجاله، مستعينا بجهود زملائه، مساهما بقسطه من الجهد والابتكار، حتى يتأتى للغة العربية أن تصبح أداة وافية في ميدان العلم مثلها هي في ميادين الفكر والأدب ومثل كل لغة عالمية يثق أهلها بذاتهم ويحترمون أنفسهم.

5 – المصطلح العلمي قد يكون اسما أو فعلا. وهو في هذه الحالة كلمة مكونة من جذر بسيط أو عدة جذور مركبة ترجع في أصولها إلى اللاتينية أو الإغريقية في غالب الأحيان. ويلحق بهذا الجذر أو تلك الجذور إضافات وحيدة أو متعددة مما يخلق منها كلمات جديدة تخضع في تكوينها إلى أصول الصرف والاشتقاق في اللغات العربية. وقد يكون المصطلح العلمي صيغة رياضية أو كيميائية معبرا عنها بالأرقام والحروف اللاتينية واليونانية، أو كلمات مخترعة مختصرة لجملة مصطلحات علمية ممثلة بأوائل حروف جذور تلك المصطلحات.

وطبيعي أن لا يكون هنا اندماج هذا المصطلح العلمي باللغة العربية الفصيحة ذات الأصول الثابتة في التكوين والاشتقاق، ذات الأوزان المحدودة لصيغ الأسماء والأفعال، وذات مخارج الحروف المعروفة والمحددة. غير أن

العقبات التي تحول دون هذا الاندماج ليست عقبات لا تذلل كما أن اللغة العربية ليست الوحيدة التي اعترضتها هذه العقبات فذللتها.

أولى العقبات وأبسطها معالجة هو عدم احتواء الكتابة العربية حروفا معينة، وبصورة خاصة بعض الحروف الصوتية، موجودة في اللغات الغربية مثل حرف V وP وG. وقد عولجت هذه العقبة معالجة معقولة بإجراء تعديلات في التنقيط على الحروف العربية المقاربة في مخرج اللفظ للحروف المفتقدة. ولكن هذه المعالجة لم تدخل في دور التعميم الشامل، وهذا قصور يمكن تلافيه ويجب تلافيه.

وثمة عقبة أخرى هي التي تتعلق بتعريب المصطلح الأجنبي. وقد لعب التحرج والتصلب دورهما في تضخيم هذه اللغة حين أصر بعض المعنيين باللغة العلمية على تعريب كل مصطلح ورفض ما لم يتوافق وزنه وتركيبه مع أوزان الصيغ في اللغة العربية وتركيب الكلمات فيها. ولا شك بأن التنقيب عن كلمات عربية مهملة ومنسية كان العرب القدماء قد استعملوها فيما يقابل مسمياتها العلمية اليوم، كبعض مصطلحات التشريح والفلك وعلم النبات، عمل جليل يغني لغتنا العلمية بمفردات كثيرة نحن في حاجة إليها. إلا أن الطوفان المستمر من المصطلحات العلمية الجديدة يجعل الإصرار على اكتشاف كلمة قديمة لكل مصطلح جديد، أو تعريب هذا المصطلح الجديد بكلمة عربية فصيحة، ثم فرض هذه الكلمة على الأوساط العلمية العربية المتباعدة والمنقطع بعضها عن بعض، أمرا مستحيلا ويضطر العلميين العرب إلى قبول المصطلح الأجنبي بأقل ما يمكن من التعديل في لفظه. لقد ترجمت بعض المدارس مثلا كلمة هرمون بكلمة "حاثة"، وفيتامين بكلمة "حيامين"، إلا أن الأيام وأقلام الكتاب أثبتت المصطلحين العلميين كما وردا في شكلها الأجنبي، ولم يحل ذلك دون اندماجهما باللغة العربية العلمية أو أن يصبحا كلمتين شائعتين على ألسنة العامة من الناس.

ويبدو أن الاشتقاق في المصطلح العلمي وتطويعه لأصول الاشتقاق في اللغة العربية هو أشد العقبات بروزا. فاللغات العربية تقبل كلمات مؤلفة من

عدد من الحروف يفوق العشرة أو العشرين، مركبة من جذور متعددة، مضافا إليها زوائد كثيرة. أما اللغة العربية فإن تحملها للكلمات الكثيرة الحروف عسير، ولذا يلجأ المعربون إلى الكلمات المتعددة للتعبير عن المصطلح العلمي الواحد. فنقول فرط التحسس كترجمة Hypersensibilité إلا أن هذا يخلق لنا متاعب يصعب التغلب عليها في الاشتقاق الوصفي أو الفعلي لمصطلحات مثل هذه. نستطيع أن نقول أكسدة لفعل Oxydation المشتق من أكسد، ونصرف فعل هذا المصدر بطريقة صحيحة. ولكن المسألة تتعقد حين نريد ترجمة Réoxydation وDésoxydation وتصريف الفعل المناسب لكل منهما. وعدا ما هو أكثر تعقيدا من هذين مما تدخل فيه الزوائد اللاتينية واليونانية مثل Ere, ana, dis, Extra-intra ما كان منها بسيطا أو مركبا. ويبدو أن الحل في هذه الحالة وأمثالها هو قبول المصطلح العلمي على حاله أو بقليل من التعديل وترويض اللغة على ألوان من الاشتقاق مرنة وأن لم تتساهل فيها الكتب القديمة أو الآذان المتصلبة.

غير أن كل هذه العقبات، على جدتها، لا تقف أمام الإرادة الصحيحة التي تقتضيها الحاجة الماسة إلى فرض اللغة العربية كلغة علمية عن طريق تدريس العلوم الحديثة لأبنائها بها وتوسيع مفرداتها بقبول المصطلحات العلمية الجديدة في مفرداتها. ولا يخفى علينا أن لغات كثيرة أشد عسرا في قواعدها وفي طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت للعلم (مثل اليابانية والعبرية) فلم تقف دون نفوق أبنائها في العلوم النظرية أو التطبيقية. وإذا كان ثمة حائل صحيح دون أن تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس في اللغة نفسها بل هو في قصور الهمة وضعف الثقة بالنفس.

مجلة "اللسان العربي": العدد الخامس (5)، من الصفحة 137 إلى 139. سنة النشر: 1967.

هل اللغة العربية صعبة؟
كيف يمكن تيسيرها؟

رشاد دارغوت
أديب وشاعر-لبنان

(أ) أجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الأجانب، سواء كانوا مستشرقين أو ديبلوماسيين، حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة. ولا سيما أن الطرق والأساليب المتبعة، حتى الآن، في تدريس لغتنا، للمبتدئين ولسواهم، لم تتطور بالقدر الكافي. كما أن الكتب الموضوعة لذلك الغرض، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى إليها الاختصاصيون.

ب - والأمر الذي لا شك فيه، هو أن اللغة العربية، في أوضاعها الراهنة، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة، سواء في دراستها، نحوا وصرفا، أو في كتابة حروفها، أو قراءة تلك الحروف.

ولئن كانت هذه اللغة، في الأصل، لغة منطقية، وبالتالي سهلة التناول، فهي، بما اجتمع لها من القيود، في مدى تاريخها الطويل، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها، قد صارت إلى ما صارت إليه اللغة اللاتينية، قبل أن تنقرض، وينبثق عنها فروعها الحديثة (الفرنسية والإيطالية والاسبانية).

ج - وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها، وهي التي حببتها إلى شتى الشعوب والأمم المستعربة، فاستبدلت بها لغاتها الأصلية. وذلك بالإضافة إلى كونها لغة القرآن.

وليس أدل على تلك الحيوية المرنة، من تقبلها الاشتقاق، على أوسع نطاق، يمكن أن ترضخ له اللغات. (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب، للعلامة "المغربي")[1].

ولنذكر هنا أن اللغات السامية الشقيقة للغتنا قد انقرضت، منذ مئات السنين، باستثناء العبرانية كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية، كاللاتينية وسواها.

كما يحسن أن نذكر، على هامش القيود والشواذ التي توفرت في اللغة العربية، أن أكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب، حتى في عصور الازدهار الأولى. ولهذا الواقع التاريخي دلالته الخاصة، وأثاره الملموسة فيما وصلت إليه قواعد اللغة، من تعقد بعد البساطة.

خطوات أولى للتيسير

أ – وقد يسر الأولون القراءة، بتشكيل الحروف، أي بوضع الحركات المعروفة عليها الفتحة والضمة والكسرة). ويرجع الفضل في ذلك إلى أبي الأسود الدؤلي، الذي كان يعمل، بتوجيه الإمام علي، على وضع قواعد اللغة الأساسية. فكانت هذه الخطوة موفقة كل التوفيق، إذ يسرت القراءة والفهم معا على القارئ، كما يسرت وتيسرت حفظ المفردات والتراكيب العربية، على وجهها الصحيح، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة.

ب – وكان إعجام الحروف، أي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء، وما إليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة. وقد تم ذلك في العهد الأموي، في خلافة عبد الملك بن مروان، يوم اعتزم تعزيز اللغة العربية، فجعلها لغة الدواوين، أي لغة الدولة الرسمية.

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيسا لمجمع العلمي العربي بدمشق، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال، لا تعرف – ولا سيما المتشابهة منها – إلا من سياق الكلام. " فباب " مثلا كانت تقرأ كذلك، كما تقرأ تاب، أو ناب، أو بات أو ثاب...

ج – وجاء التوقيف، أو استعمال علامات الوقف، حينما دون القرآن، خطوة ثالثة لتيسير القراءة. وإننا لنجد في المصاحف، الموجود بين أيدينا، أولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف، وان كان المقرئون مجمعين على القول بأنه " ليس في القران من وقف وجب".

د – وللبنانيين، على مر العصور سبق في هذا الصعيد، لابد من الإشارة إليه. ففي العهد الفنيقي، أتحفوا العالم بحروف الهجاء، وهي أعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري. فجاءت تلك الحروف الصوتية المعدودة، بعد الحروف الهيروغليفية والمسمارية الكثيرة، دليلا على ما يهدف إليه الفكر الإنساني المتطور، في وسائل التعبير عن ذاته، من اقتضاب، ويسر، وبساطة.

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري، وتيسير الفهم بها، بعد تيسير أساليب التعبير. ويكفي أن نذكر النهضة الأدبية، التي بعثها مغتربونا في مصر، وفي الأمريكيتين، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة، في الوطن وفي المهاجر. حتى صار اللسان العربي، في الكتاب الحديث، كما نعهده الآن، مستساغ الألوان حلو الجرس، مرن السياق، جميل الأسلوب. وبات بإمكان القارئ أن يتابع المطالعة، دون توقف عند كل خطوة، أو رجوع إلى المعجم في كل جملة.

هـ – ولابد من القول، بأن بعض الفضل في ذلك، يرجع إلى التلاقح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية، وأساليب اللغات الأجنبية، التي تعلمناها وأتقناها.

وهو تلاقح تم مثله في العهد العباسي، بين هذه اللغة واللغات الأخرى (لفارسية، والرومية والسريانية وسواها) فجنت لغتنا من ذلك التلاقح في الماضي والحاضر، أطيب الثمرات.

بقيت الحروف العربية نفسها، ووفى أشكالها المطبعية، فهي بين حروف "الأول "وحروف الوسط" وحروف الآخر، والحروف المنفصلة تتضاعف عددا. في حين أنها لا تتجاوز في الأصل السبعة والعشرين. وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة ورواج الكتاب العربي.

و- إلا أن الحلول التي عرضت، حتى الآن، لهذه المعضلة، لم تكن عملية، سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، أو وضع حروف جديدة لا تمت إلى الحروف القديمة بصلة، أو الاكتفاء بشكل واحد من أشكال الحروف الحالية، لكتابتها به باستمرارها، فأي من هذه الاقتراحات، إذا أخدنا به، يقود بالنتيجة إلى طفرة، لا تحمد عواقبها، ولا قبل للشعوب العربية بتحملها، وهي في مستواها الراهن، اجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا.

فضلا عن أن الأخذ بتلك المقترحات، أو بأحدها أمر يخرج عن مدى إمكان هذه الشعوب، لأن الحروف العربية مرحلة من تطور (الأبجدية)، من جهة، ولأنها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم من جهة ثانية.

وقد جاء اقتراح الأمير اغا خان، أخيرا في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951 باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، في البلاد الإسلامية إلى جانب لغاتها القومية، دليلا على صحة ما نذهب إليه.

خطوات تالية لابد منها

أ - لابد من خطوات أخرى نتخذها، لتيسير اللغة العربية، ولكن بصورة تدريجية. وإننا سنخلص ما نرى إمكان الأخذ به، في الوقت الحاضر، بسبيل إدراك تلك الغاية على الوجه التالي:

ب - يتحتم علينا الإبقاء على الحروف العربية، بأشكالها الراهنة على أن نضيف إليها بعض الاصطلاحات التي تمكننا من تصوير الأصوات المعروفة، في اللغة الأجنبية: مثل حرف U الفرنسي، وP وسواهما. وقد جرى الكتاب على

استعمال الباء، بثلاث نقط، لتصوير الصوت الثاني، ونقترح نحن استعمال الواو، تعلوها نقطة، لتصوير الصوت الأول.

ج – ولابد لنا من تشكيل الحروف، أي وضع علامات الإعراب عليها، بسبيل تسهيل القراءة وضبط الكتابة واللفظ، لا فرق في ذلك بين الكتب المدرسية الموضوعة للمبتدئين، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين، وبين الصحف والمجلات وسواها، ومن المنشورات الدورية.

فقد حمل الأولين على وضع هذه العلامات حرصهم على سلامة اللغة، من رطانة الأعاجم، ونحن، على الرغم من الفارق الزمني نجد أن ذلك الباعث لم يبرح قائما. فما علينا إلا أن نقيد الكلمات بالحركات، فنحفظها صحيحة من جهة، ثم نقرأها بيسر وسهولة من جهة ثانية.

د – ولكن كيف نحرك الحروف؟

منذ نحو عشرين سنة، طبقنا القواعد التالية، في جميع الكتب التي ألفناها، أو اشتركنا في تأليفها:

1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنينا عنها عدم وجودها. ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ربع الحركات، على أقل تعديل، في ضبط الكتابة.

2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقف عنده، فلا حركة إذن حين الوقف، عملا بالمصطلح العام، لدى علماء التجويد. وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسير من الحركات التي لا لزوم لها، ما دمنا لا نلفظ حركة الحرف الذي نقف عنده.

3) نحذف الحركات قبل حروف المد وهي ثلاثة: الألف والواو والياء، أما إذا كان الحرفان الأولان للقطع، فإننا نقرن الحرف الذي يسبقهما بالحركة اللازمة.

ومثال ذلك: (باب، ونور، وطيب والألف والواو والياء، وفي هذه الألفاظ، حروف مد تغني عن الفتحة على الباء، والضمة على النون، والكسرة على الطاء. أما في هاتين الكلمتين: " ثوب وطيد" فلا بد من وضع الفتحة على كل من التاء والطاء، لأن الواو والياء فيهما هما حرفا قطع، لا حرفا مد.

ومن السهل إدراك الصعوبات التي نتفاداها بلجوئنا إلى تطبيق هذه القاعدة.

4) لا لزوم للعلامة الخاصة الدالة على همزة الوصل (1) إذ أن همزة القطع وحدها هي التي نرسمها على الألف، حين الكتابة.

5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التأنيث، سواء كان ذلك في الاسم أو في الفعل، ومثال ذلك لفظتا: كتابة، وشربت، ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقها.

6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية ومثال ذلك: الصورة الشمس. إن وضع الشدة على الصاد أو الشين، كما جرت العادة، لأن اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة مثل "مد أو شدد التي تستلزم هذه العلامة.

7) نظهر الألف المضمرة، وسواها من الحروف المتروكة، في مثل " هذا، وذلك ورحمن، وسواها من ألفاظ شائعة، فنستغني عن بعض الصعوبات وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ، دون زيادة ولا نقصان: هذا، وذلك ورحمان، وسواها، كما نكتب داوود بالواوين، (ومئة) على هذه الصورة بالذات، وعمر دون واو، وفيما ومما وعلام، وسواها دون اتصال أو إدغام أو حذف.

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها، أو الصورة التي كانت عليها قبلا. وهي بمجموعها تؤلف إحدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية.

والواقع أنه ليس من مبرر للاستمرار على الأخذ بهذه الشواذ، أو الأخطاء المتوارثة بعد أن تحللت لغتنا من أمثالها في العصور السابقة: (لنذكر كتابة القران، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول: أن كتابة القرآن لا يقاس عليها).

فنحن أحوج إلى التحرر من تلك الأعباء، ولاسيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه.

8) ومن هذا القبيل تجنب الألفاظ المشتركة أو التي تقبل الإبهام ومثال ذلك لفظة: " الأرز" فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة، والمسماة كذلك " الرز" كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف، والذي اتخذه لبنان شعارا له.

لذلك نعمد إلى تخصيص لفظة " الرز" بالغلال الزراعية المذكورة، ونترك اللفظة الأخرى للدلالة على الشجر المشار إليه.

هذه الألفاظ كثيرة في اللغة العربية وأكثر منها المترادفات، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد، بل هي في الأصل نعوت تدل على حالات معينة. فيحسن بنا أن نصرفها إلى وجوهها التي تصلح لها، وحينئذ نتجنب صعوبة أخرى صارت من الأدلة على فقر اللغة لعربية، بعد أن كانت من مظاهر غناها ونعني وفرة الأسماء لبعض المدلولات، كالسيف، والناقة، والأسد وسواها وانعدام الأسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة، على حد سواء.

9) كتابة الهمزة وهي، من أعقد مشكلات الكتابة العربية، ويكفي أن نعلم أن أكثر الأدباء والصحفيين يخطئون في تصويرها، في كثير من المواضع كما أن الاجتهادات في بعض قواعدها المعقدة، تختلف بين قطر وقطر، وبلد وبلد.

ومن رأينا أن نوحد أشكالها: فنجعلها بكرسي الألف، في بدء الكلمة وفي وسطها، ودون كرسي فيما عدا ذلك.

10) وعلى ذكر التوحيد لابد من الإشارة إلى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف في هذا البلد أو ذاك، من بلاد العربية. فبينما نرسم، نحن في لبنان، حرف الياء معجما أي مع النقطتين هكذا (ي)، يرسمه إخواننا المصريون مهملا أي دون تنقيط هكذا (ى). أي أنهم يرسمونه شبيها بالألف المقصورة عندنا. وهكذا يقع القارئ في الالتباس، كلما شاهد هذه اللفظة مثلا (أري)

مكتوبة على الطريقة المصرية. فهل هي (أرى) للمتكلم بصيغة المضارع أم (أري) للمخاطبة بصيغة الأمر!

ومثل هذا كثير، في رسم الحروف، في مختلف البلاد العربية.

هـ) هذه الطرق التي طبقناها، فأتت بأفضل النتائج، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته، إلى فرصة ثانية، يمكننا فيها أن نسهب فيما أجملنا عليه القول، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارئ كما أنها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه. فضلا عما توفره من جهود عامل المطبعة، ووقته. وبالتالي تساهم هذه الطرق، متى طبقت بصورة إجماعية، في ازدهار الطباعة، وتيسير التعليم وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي، الذي يشكو الكساد، حتى في أوساط المثقفين.

و- وإننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة مضبوطة بالحركات، وفقاً للطريقة القديمة وإلى جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها في كتبنا المطبوعة، وفي هذه الرسالة وشرحناها فيما مر باقتضاب، وذلك على سبيل المقارنة.

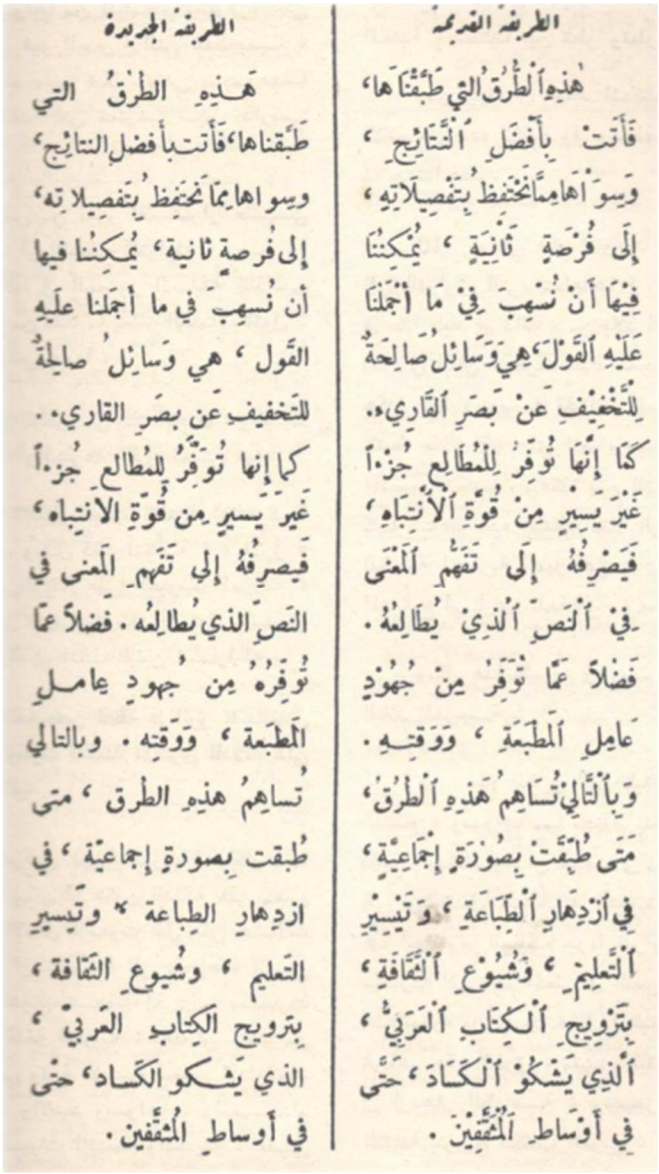

الطريقة القديمة	الطريقة الجديدة
هذه الطرق التي طبقناها، فأتت بأفضل النتائج، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته، إلى فرصة ثانية، تمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القاري. كما إنها توفر للمطالع جزءاً غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه. فضلاً عما توفر من جهود عامل المطبعة، ووقته. وبالتالي تساهم هذه الطرق، متى طبقت بصورة إجماعية، في ازدهار الطباعة، وتيسير التعليم، وشيوع الثقافة، بترويج الكتاب العربي، الذي يشكو الكساد، حتى في أوساط المثقفين.	هذه الطرق التي طبقناها، فأتت بأفضل النتائج، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته، إلى فرصة ثانية، تمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القاري. كما إنها توفر للمطالع جزءاً غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه. فضلاً عما توفره من جهود عامل المطبعة، ووقته. وبالتالي تساهم هذه الطرق، متى طبقت بصورة إجماعية، في ازدهار الطباعة، وتيسير التعليم، وشيوع الثقافة، بترويج الكتاب العربي، الذي يشكو الكساد، حتى في أوساط المثقفين.

علامات الوقف:

أ – يضاف إلى ما تقدم علامات الوقف الشائعة في الكتابة، لدى الأمم الغربية. وقد شعر العرب الأقدمون بالحاجة إلى مثلها، في تلاوة القران الكريم، فاصطلحوا على علامات للوقف، نجدها في المصاحف كما سبق القول وإن كانوا قد اصطلحوا أيضا على أنه ليس في القران من وقف وجب.

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا، كما تقرب النصوص المقروءة من الإفهام. وقد اختبرنا ذلك في كتبنا المنشورة المدرسية منها والأدبية، فأتى بأفضل النتائج. وإن كان أحد النقاد قد عد ذلك، في رواية "خطيئة الشيخ" المنشورة عام 1938 خطيئة لا تغتفر.

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع، وضرورة جعل تلك لعلامات جزءا من الكتابة العربية، في "مجلة التعليم" الصادرة بالفرنسية، عن مديرية المعارف العامة، في المفوضية الفرنسية عام 1928.

هذه العلامات من الفاصلة إلى النقطة، ومن علامة التعجب إلى علامة الاستفهام ومن المعترضين إلى القوسين... كلها وسائل لتيسير القراءة، وتيسير الفهم. فضلا عما تكسبه لكتابة العربية من مظهر فني في الإخراج، لا نجده في الكتب التي تخلو من تلك العلامات، أو يقتصر فيها على بعضها الشائع، حتى في الصحف اليومية.

ب – وفيما يلي نموذجان للمقارنة، نختارهما من "مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق" فقد ورد في كتاب "تاريخ الحكماء" (2) الصفحة 56 الفقرة التالية:

"فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس أبو علي الإذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الإيجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الأوائل وطلب ما احتاج إليه فرأى من الكتب ما لم يقرع أسماع اسمه لأبي نصر الفارابي وغيره. فقرأ تلك وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه المتقدمين".

وورد في "ديوان ابن عنين"(3) الصفحة 6 وما يليها من قصيدة مدح بها الشاعر الملك العادل:

(2) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الأستاذ محمد كرد علي.

(3) عني بنشره وتحقيقه الأستاذ المرحوم خليل مردم بك.

"ملك إذا خفت حلوم ذوي النهي
في الـــروع زاد رزانـــة وتوقـــرا
ثبت الجنـــان تـــراع من وثباتـــه
يوم الوغى وثباته أسد الشـــــرى
يقظ يكاد يقول عمـــــا في غـــد
ببديهـة غنـــــته أن يتفـــكـرا
حلم تـــــخف له الـــحبال وراءه
عـزم ورأي يـــحقر الاسكنـــدرا
يعفو عن الذنب العظيـــم تكرمـــا
ويصد عن قول الخنـا متكبـــــراً

ففي تلك الفقرة النثرية "نقطتان" فحسب من علامات الوقف وفي هذا المقطع الشعري، لا أثر لتلك العلامات على الإطلاق.

ج- وإذا نحن نشرنا، فيما يلي، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف، على الطريقة نقترحها، أمكن للمطالع إدراك معانيها، دون عناء، ولو أغفلنا، كما فعل الناشر، حركات الإعراب.

كما أن هذا المقطع الشعري، إذا نشرناه مقرونا بعلامات الوقف، صار أوضح معنى وساهمنا، إلى حد، في إبراز الصورة العامة التي أراد أن يعطيها لملك عظيم، صورة تشبه لوحة زيتية متجانسة الألوان، وأن كانت ألوانها في الأصل، شتى متنافرة.

وفيما يلي الفقرة والمقطع، مقرونين بعلامات الوقف، وبالحركات على طريقتنا المقترحة.

1- "فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس أبو علي، الإذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الإيجاب فطالع من جملتها، فهرست كتب الأوائل،

وطلب ما احتاج إليه، فرأى من الكتب ما لم يقرع أسماع الناس اسمه، لأبي نصر الفارابي، وغيره فقرأ تلك الكتب، وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل، في عمله من المتقدمين.

2 – "ملك إذ خفت حلوم ذوي النهي

فـــي الـــروع زاد رزانـــة، وتـــوقـــرا

ثـــبـــت الجنـــان تـــراع من وثباتـــه

يـــوم الوغى، وثباتـــه، أســـد الشرى

يقـــظ، يكـــاد يقول عمـــا في غـــد!

ببـــديـــهـــة غـــنـــتـــه أن يتفـــكـــرا

حلم تـــخف لـــه الـــحبال! وراءه

عـزم ورأي يـحقـــر الاسكـــنـــدرا!"

يعفو عن الذنـــب العظيـــم تكرمـــا

ويصد عن قـــول الـــخنـا متكبـــرا

وسائل إيجابية وسلبية

أ– هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها، تهدف إلى ضبط الكتابة العربية وتيسيرها معا، كما تهدف إلى تسهيل القراءة والفهم. وقد ثَبَتَتْ لدينا فائدتها، بعد تطبيقها عمليا، منذ عشرين سنة ونيف.

وهي كما يبدو وسائل إيجابية، تساير النزعة التطورية دون تهديم، أو تنكر لماض عظيم، وتساوق اتجاه الفكر، لدى الشعوب العربية، التي تمقت الطفرات، ولا تستسيغ الثورات، كما لا ترتضي أن يقوم بينها وبين ماضيها أي حجاب.

وفي تطبيق هذه القواعد، نسير بلغتنا إلى الأمام، ونتم ما بدأ به الأولون، في مطلع النهضة العربية، إذ شكلت الحروف بالحركات، خشية الرطانة الشائعة اليوم، حتى بين المثقفين ثم أعجمت الحروف المتشابهة، بإضافة التنقيط عليها.

ب – ولكن لا بد لنا من أن نضيف إلى ما ذكرنا، من وسائل التيسير الايجابية، وسيلة " سلبية" –إذا صح التعبير– وهي الوسيلة التي تلجأ إليها الأم مع طفلها، والمعلم مع تلميذه والصحفي مع قرائه، والأديب الموهوب مع المطالعين من عامة المثقفين. ونعني الامتناع عن "الإغراب" في اللفظ وفي المعنى.

هذا الإغراب نوعان: إغراب في المفردات وإغراب في التراكيب. والمهم هو الابتعاد عن النوع. الثاني لأن اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح الناس تجد إلى أفهامهم سبيلا، ولا سيما إذا كانت تدل على المحسوسات.

نحن نجد الكلام باللغات الأجنبية أيسر فهما منه باللغة العربية. كما نجد أنفسنا أسرع إدراكاً لما يقال بتلك اللغات. ويرجع ذلك، في رأينا، إلى أن الإغراب في التركيب، في تلك اللغات لا وجود له إلا نادرا. فالفعل يتبعه الفاعل، ثم ما يتمم المعنى، أما في اللغة العربية، فأساليب البيان والبلاغة منوعة، حتى يكاد يطغى المبنى، على المعنى، والمظهر على الحقيقة، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللغة.

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة الأولية وهي أن تلك الأساليب البيانية ليست كلها في متناول عامة القراء، فلتبق للاختصاصيين، وللتباري بالفصاحة وآيات الإعجاز في المجالات الصالحة لتلك المبادرة.

ب– حينئذ، ومتى لجأ الكاتب إلى الأسلوب الملائم انتفى أساس الزعم القائل بصعوبة اللغة العربية وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارئ اللغة العربية، أن يفهم كي يقرأ بينما يقرأ الناس في لغاتهم كي يفهموا!

وبالأسلوب الملائم نعني الأسلوب البسيط أي الأسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ، ولا تثقله الاستطرادات والتحشيات.

وأكرر القول بأن العدول عن الأخذ الأساليب بتلك التي تبقى للاختصاصيين لا يعني إسقاطها أو إبطال ما لها في النفوس من سحر. بل يعني أننا نتركها لعلماء، اللغة، وجهابذة البيان. إذ ليس مفروضا في كل قارئ أو متعلم مبتدئ، أن يكون سيبويه زمانه أو عضوا في مجمع لغوي.

الخلاصة

أ – أن تيسير الكتابة والقراءة، باللغة العربية من الأغراض التي يجب أن نهدف إليها لا إقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة بل سيرا مع سنن التطور.

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية، فإن إضافة بعض الحروف الجديدة المنبثقة عن الأشكال المعروفة ضروري لرسم الأصوات التي لا عهد للعرب بها، مثل حرف U الفرنسي وP وسواهما.

ب – والحروف العربية نوعان: منفصلة، ومتصلة. أما المنفصلة، وعددها أحد عشر فهي: أ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ة، و، لا، ي. وفي اعتقادي أنه يمكن إبقاؤها على حالها.

وأما المتصلة وعددها تسعة عشر وهي: (ب، ت، ث، ج، ح، خ، س، ش، ص، ض، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن)، فيحسن توحيد شكلها المطبعي حيثما وردت. ولا فرق بين أن يكون شكلها الموحد هو شكلها في أول الكلمة أو في آخرها وحينئذ تصبح جميع الحروف منفصلة، وهذا ممكن.

ج – يضاف إلى ذلك وجوب استعمال الحركات وعلامات الوقف على اعتبارها جزءا متمما للحروف وللكلام.

د – وفي اعتقادي أن أشكال الحروف العربية الثلاثين، الآنف ذكرها، والحركات الأربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست أوفر عددا، ولا أصعب استعمالا، في الكتابة والطباعة من أمثالها، في اللغات الأجنبية.

ولا سيما إذا اعتبرنا أن تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية بشكليها: العادي والكبير (ماجسكول، كابتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة على صور تختلف عن صورها المطبعية.

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها، التي لا تشاركها فيها حروف، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة. وفي الواقع، فإن حروف الكتابة العربية، كما وصلت إلينا في خطوطها المختلفة، حروف اختزال.

فإذا اصطلحنا على استعمال حروف "الأول" أو حروف "الأخر" للطباعة، تيسيرا لعمل المنضدين للفكر وللعلم، في أوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة، فيجب أن نحرص، في الوقت نفسه، على الإبقاء على حروف الكتابة، بأشكالها الفنية التي تطورت إليها. فصارت الألفاظ الجامدة قطعا من الفن الحي.

وفيما يلي، نورد الفقرة الأخيرة مطبوعة بحروف منفصلة على سبيل المثال:

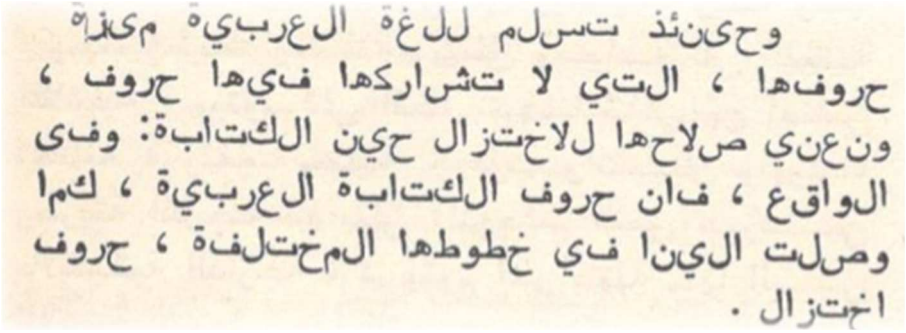

وحينئذ تسلم للغة العربية ميزة
حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ،
ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة: وفي
الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما
وصلت الينا في خطوطها المختلفة ، حروف
اختزال .

كما نورد الجملة الأخيرة، من الفقرة السابقة مكتوبة بالخط النسخي، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة، فتجئ لتعقيد الخط العربي وتشويهه، في اعتقادنا:

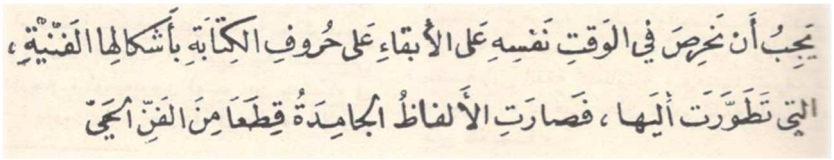

يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الأبقاءِ عَلَى حُرُوفِ الكِتَابَةِ بِأَشْكَالِهَا الفَنِّيَّةِ ،
التِي تَطَوَّرَتْ أليها ، فَصَارَتِ الألفاظُ الجَامِدَةُ قِطَعًا مِنَ الفَنِّ الحَيِّ

وإننا نسأل الله في الختام، أن يهدينا إلى ما يفيد بلادنا وينهض بالشعوب العربية، إلى المكان اللائق بها، في مجموعة الأمم الواعية الحرة!

. مجلة "اللسان العربي": العدد الخامس (5)، من الصفحة 56 إلى 63. سنة النشر 1967

الحروف العربية والحواس الست

حسن عباس
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

اللغة، كأداة للتواصل بين البشر، هي كالأصوات الهجائية والحركات البدنية، وما إليها من وسائل التواصل والإعلام في دنيا الإنسان والحيوان على حد سواء.

ولكن لماذا انصرف الإنسان عن وسائل الإعلام البديلة هذه إلى اللغة، وبينهما فروق نوعية جبارة استحال على الحيوان أن يجتازها إلى اللغة؟

كان الفلاسفة وعلماء اللغة والنفس يعزون ذلك إلى ملكة العقل في الإنسان. ولكن يبدو أن علماء البيولوجيا قد جاؤوا بتعليل جديد آخر.

فلقد اكتشف علماء اللغة البيولوجيون مؤخرا، لغة حياتية مسجلة على شريط كيميائي في جزيء الحمض النووي من الخلية البذرية المولدة، أطلقوا عليها اسم مدونة (ADN). وبفك رموز هذه المدونة وجدوا أنها مؤلفة من أربعة أحرف، دعوها بالأبجدية الوراثية، ورمزوا إليها بأحرف (ت. س.غ. آ).

ويشمل معجم هذه المدونة (64) كلمة، قد تمايز بعضها عن البعض، كل كلمة منها تشكل متوالية من ثلاثة أحرف على الشريط الكيميائي، الآنف الذكر[1].

وإذن يكمن أن نستنتج من هذا الاكتشاف اللغوي البيولوجي الحديث، أن الإنسان لم يبدع اللغة استجابة عقلية للضغوط البيئية المشتركة بين الإنسان

(1) كتاب الاتجاهات الرئيسية لبحث العلوم الاجتماعية والإنسانية. اليونسكو، المجلد الثاني، ترجمة وزارة التعليم العالي السورية ص. 306-311.

والحيوان فحسب، وإنما استجابة لتركيبه البيولوجي أيضا، وقد جهز بشريط لغوي مسجل في خليته البذرية المولدة (فسبحان الذي علم الإنسان ما لم يعلم).

وهكذا فاللغة بحسب هذا الاكتشاف تنتمي إلى الخصائص البيولوجية في الإنسان، قبل أن تنتمي إلى الملكة العقلية فيه. وإن لغة الإنسان الفجر هي من نتاجه الفطري اللاصق بالغريزة وليست قطعا مجرد مصطلحات عقلية تواضع الناس على معانيها.

كما يدعم هذا الاكتشاف صحة من ذهب إلى القول بأن أصوات الحروف، هي أصل اللغة، وإن اللغة ذات الأفعال والمصادر الثلاثية الأحرف، كاللغة العربية، هي أقرب إلى فطرة الإنسان الموروثة من سواها.

أسوق هذه النبذة عن مدونة (ADN) وأبجديتها الوراثية، لا كحقيقة علمية نهائية، لتعليل نشأة اللغة، ففي كل يوم حدث علمي جديد، وإنما للوصول إلى أن الربط بين أصوات الحروف العربية والحواس الست، ليس أمراً مزاجيا، إذ يمكن أن يرقى هذا الربط إلى مرتبة العلمي، إذا أيدته التجربة.

وهكذا تعرضت في هذه الدراسة بحكم الصلة الجديدة المفترضة بين الحروف العربية والحواس الست، إلى قضايا خاصة تتصل بعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والآثار والفيزيولوجيا والأصوات، لم يسبق أن تعرض لها باحث في اللغة العربية على ما أعلم.

فمجرد القول بوجود حاسة سادسة، ومن ثم السعي للكشف عن العلاقة الكائنة بين أصوات الحروف العربية وبين الحواس الست، مما لم يثره دارس في اللغة العربية حتى الآن، لا بد له من نهد جديد في البحث والتقصي، ولا بد لهذا النهج إذا كان صحيحاً أن يطرح قضايا غير مطروقة، ليصل إلى نتائج غير مسموعة.

ومع ذلك لا يحسبن القارئ أن موضوع هذه الدراسة مبتكر لم يسبقني إليه أحد. فلقد تناوله كثير من علماء اللغة العربية وفلاسفتها وفقهائها وأدبائها طوال ألف عام ونيف.

فالموضوع الأساسي لهذه الدراسة هو فطرية اللغة العربية.

وهذه الفطرية التي ظلت من مسلمات المدرسة اللغوية القديمة، طوال ألف عام، قد رفضها أخيراً أصحاب مدرسة لغوية محدثة من خريجي الجامعات الغربية، وقالوا برمزية اللغة واصطلاحيتها غربية كانت اللغة أو عربية. لقد أخذوا بآراء علماء اللغة الغربيين الذين أجمعوا على أن اللغة "هي التعبير الرمزي بالذات وان كان لها الأولوية على كافة أنماط الرمزية التواصلية".

ولقد شهد القرن الحالي صراعاً مرّاً بين المدرستين، كانت الغلبة العددية فيه لأصحاب المدرسة الحديثة، بحكم ألقابهم العلمية الرفيعة، ومراكزهم الجامعية المرموقة، وسلطانهم الرسمي على عقول أجيال من أدبائنا ولغوييننا من خريجي الكليات الأدبية التي يشرفون عليها، لا فرق بين من قال منهم بعبقرية اللغة العربية، وبين من أنكرها، وهكذا تضافر على دعوى فطرية اللغة العربية عوامل كثيرة، من أبرزها:

أ. إجماع علماء اللغة الغربيين على رمزية اللغة، ليصبح القول بفطرية اللغة العربية في نظرهم ونظر تلاميذهم، ضربا من التخلف الفكري أو التقوقع التعصبي، دون أن ينتبهوا إلى ما بين لغتنا واللغات الغربية من فوارق في الأصل والنشأة والبنية.

ب. اعتماد أصحاب المدرسة القديمة من القدامى والمحدثين على الحس الشاعري المرهف في المثقف العربي: أذن موسيقية مدربة على الشعر، تدرك الفروق الدقيقة بين تلونات الأصوات، ومعاناة أدبية طويلة، يدرك معها الفروق الدقيقة بين تلونات معاني الألفاظ. وهكذا لم يتبع أصحاب هذه المدرسة في ذلك نهجا علميا تجريبيا، ولم يستعينوا بمختلف العلوم الإنسانية والطبيعية والحديثة. فكانت أدلتهم اللغوية تعتمد تارة على النصوص (كالعلايلي) وتارة على ملكة التذوق الفني (كابن جني)، وتارة على صدى صوت اللفظة في النفس (كالارسوزي).

ج. انصراف معظم أدبائنا ولغوييننا المحدثين عن الشعر العمودي قولا وحفظا ورواية، مما أخذ معه الحس الشاعري المرهف ينضب في نفوسهم جيلا بعد جيل، لتضمر بذلك الملكة الفنية التي كانت تأخذ بأسلافهم إلى فطرية اللغة العربية عفو السليقة الشعرية والنشأة الأدبية.

ولكن هل يستحيل علينا أن نجعل الإنسان العربي المعاصر يدرك فطرية اللغة العربية؟

إذا كانت فطرية اللغة العربية حقيقة إنسانية، فلا بد لها أن تطرح مجموعة من القضايا الإنسانية والمادية، التي يمكن إخضاعها للخبرات العلمية، مما يحتم على العقل قبول نتائجها، عربيا كان، أو غير عربي.

فما هي القضايا التي تطرحها فطرية اللغة العربية؟

هذه الفطرية تعنى مبدئيا، أن اللغة العربية مقتبسة مباشرة من الطبيعة، ماديها وإنسانيها، وإن أثر الطبيعة لا يزال عالقا في جذور حروفها مبنى ومعنى إلى يومنا هذا.

وإذن، فإنها تفترض أن الإنسان العربي الذي أبدع هذه الحروف لم ينحدر عن شعب آخر، وأن حروفه لم يقتبسها عن لغة أخرى.

كما أن هذه الفطرية تقتضي أن يكون الحرف العربي كظاهرة ثقافية، قد تفاعل مع مقومات الشخصية العربية وقيمها وتقاليدها، وأن يكون الإنسان العربي بالمقابل قد تفاعل مع المعطيات الثقافية للحرف العربي، ومع خصائصه الصوتية أيضا.

ولقد استهدفت من هذه الدراسة إقامة الأدلة على صحة هذه المقولة ومقتضياتها.

ولكن ما هو موقف المدرستين اللغويتين الآنفتي الذكر من هذه النتائج المستخلصة مباشرة من مقولة فطرية اللغة العربية؟

بيني وبين أصحاب المدرسة اللغوية الحديثة:

لما كانت هذه المدرسة ترفض أصلا فطرية اللغة العربية، فمن البديهي أن ترفض أيضا نتائجها.

فلا الحرف العربي بكر، ولا الإنسان العربي فجر، وليس ثمة أي تفاعل بين الحرف العربي والإنسان العربي، ولا العكس بالعكس صحيح، إلى آخر ما هنالك من ضروب الرفض والإنكار، حتى ليظن القارئ وكأنه لا لقاء بيني وبين أصحاب هذه المدرسة في شيء.

وعلى الرغم من افتراقي وإياهم في بداية الشوط، واختلافي وإياهم في نهايته، فما أطول ما تعقبت خطاهم بين هاتين النقطتين، وما أكثر ما لجأت إلى العلوم التي استخدموها في أبحاثهم اللغوية، (وان غنّى كل منا على ليلاه).

ولئن كنت استعنت بنبذ من علوم التاريخ والآثار والاجتماع والفيزيولوجيا والأصوات والفن والأخلاق، بمعرض إقامة الأدلة والبراهين على صحة هذه المقولة، فإن هذه الدراسة تنتمي أكثر ما يكون الانتماء إلى علم اللغة النفسي.

فاللغة العربية بخصائصها ومزاياها الفطرية، لا يمكن أن تنكشف للذهن العربي، ما لم يستخدم العلوم اللغوية الحديثة في دراستها وتحليلها، ولكن تحت رقابة حس شاعري مرهف، وذوق أدبي رفيع.

فاللغة العربية كظاهرة نظرية من مظاهر الحياة الإنسانية، لا تخشى العلم الحديث قطعا، وبقدر ما نستخدم من الوسائل العلمية الحديثة في استجلاء كنهها، تتاح لنا الفرص للكشف عن المزيد من قيمها الجمالية ومضامينها الثقافية، لا بل وللكشف أيضا عن المزيد من خصائص الحياة الإنسانية وقيمها، كرفيقتي عمر منذ فجرهما الحضاري الأول.

ففي اللغة العربية من الأصالة العلمية، ما في أي بادرة أصيلة من بوادر الحياة.

بيني وبين أصحاب المدرسة اللغوية القديمة:

إني واحد من تلاميذ هذه المدرسة ومريديها. قد ترعرعت في ربوعها، أنهل من ينابيعها، وأقطف من ثمارها، وأتفيأ ظلالها، فكانت جنتي اللغوية الفجر، وما كان أسعدني بها، حتى ظننت أنه لن يكون يوما ما أي فراق بيني وبين أقطابها.

ولكن، على الرغم من انطلاقي وإياهم في البحث والتقصي من نقطة الابتداء، هي بداية الحرف العربي، ووصولنا سوية إلى نقطة الانتهاء، هي فطرية اللغة العربية، فإني لم ألتق وإياهم في هذه المسيرة اللغوية الطويلة بين هاتين النقطتين، إلا في صدف من تقاطع الطرق، لنتفق حينا ونختلف أحيانا كثيرة.

فلقد اعتمد أصحاب هذه المدرسة في أبحاثهم وتقصياتهم بصورة عامة على سليقة أدبية متمكنة، وحس مرهف الشعور. ولربما تجاوزوا في تقصياتهم أحيانا، النطاق اللغوي التقليدي، إلى نطاق علوم النفس والحركة والأصوات، والاجتماع وغيرها، ولكن دون أن ترقى مثل تلك اللمع الذكية إلى مرتبة البحوث العلمية الحديثة. فلا نهج علمي تجريبي واضح، ولا استثمار جدي لمكتشفاتهم اللغوية في ميادين النفس والاجتماع والتاريخ والأصوات وما إليها.

ولقد عقدت فصلا خاصا في هذه الدراسة بعنوان (علماء اللغة العربية وأبحاث الحروف) استعرضت فيه آراء لفيف من كبار أصحاب المدرستين اللغويتين، حول خاصية الإيحاء في الحروف العربية، المرتبطة مباشرة بفطرية اللغة العربية.

أما أنا، فقد نهجت في التدليل على فطرية اللغة العربية نهجا مغايراً.

فما هو منهجي في هذه الدراسة؟

لقد اعتمدت طريقة الخطإ المفترض في البرهان الرياضي للتحقق من مقولة فطرية اللغة العربية. أفترض، وأتساءل عن صحة الافتراض، وأجيب. ثم أتساءل عن صحة الإجابة. وهكذا، إلى أن تتطابق الإجابة الأخيرة مع حقيقة

الواقع. فتنحسب هذه الحقيقة الأخيرة، بحكم المنطق الرياضي، على جميع الافتراضات السابقة وأجوبتها.

الافتراض الأول:

إذا صح أن اللغة العربية فطرية النشأة، فإن ذلك يفترض بداءة الحرف العربي وفجرية الإنسان العربي على حد سواء.

(فبداءة الحرف العربي مرتبطة مباشرة بفجرية اللغة العربية ولا فراق. وفجرية الإنسان العربي مستخلصة من هذه الصلة الراهنة بين معاني الحروف العربية وبين الطبيعة. إذ لو أن الإنسان العربي اقتبس حروفه عن غيره، لانقطعت هذه الصلة بينها وبين الطبيعة، مثلما انقطعت في الحروف الغربية المقتبسة أصلا عن الأبجدية الفينيقية).

وللإجابة على هذه الفرضية، عقدت فصلا خاصا في مستهل هذه الدراسة بعنوان: "حول بداءة الحرف العربي والإنسان العربي".

ولقد تبين لي من هذه الدراسة، أن إنسان الجزيرة العربية ظل مقيما فيها لم يبرحها قطعا، ولم يغزه في عقر داره شعب آخر على الإطلاق، منذ بداية العصر الجليدي الرابع حوالي الألف الستين قبل الميلاد حتى الألف العاشر أو الثامن قبل الميلاد، بعد أن أبدع جميع حروفه.

كما تبين لي أن الإنسان في الجزيرة العربية قد مر بمراحل حياتية ثلاث:

1. مرحلة الصيد: وقد استمرت منذ فجر الإنسانية حتى الألف الثالث عشر قبل الميلاد. وكان الرجل القوي في هذه المرحلة هو سيد الأسرة بلا منازع.
2. مرحلة الزراعة: وقد بدأت أول ما بدأت على وجه الأرض في الجزيرة العربية على يد المرأة، حوالي الألف الثاني عشر قبل الميلاد. فكانت المرأة في الجزيرة العربية أول فلاح في التاريخ لتكون بذلك أول معلم في دنيا الحضارات. وفي هذه المرحلة انتزعت المرأة الذكية زعامة الأسرة من الرجل القوي.

3. مرحلة الرعي: وقد نشأت في الجزيرة العربية أول ما نشأت على وجه الأرض، حوالي الألف العاشر قبل الميلاد. وفي هذه المرحلة استعاد الرجل الشجاع المحارب سيادته على الأسرة، ولا يزال محتفظا بها إلى حد ما، حتى اليوم.

كما تبين لي أن إنسان الجزيرة العربية قد أبدع حروفه عبر هذه المراحل الحياتية الثلاث، فكان منها الغابي والزراعي والرعوي. وقد أبدع الرجل استجابة للمقتضيات المهنية في مرحلتي الصيد والرعي بعض الحروف، كما أبدعت المرأة استجابة لمقتضيات مهنتها في المرحلة الزراعية بعض الحروف أيضا.

وهكذا فإن الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية بين الألف العاشر والثامن قبل الميلاد إلى وادي الفرات ووادي النيل، تحت ضغط الجفاف المتزايد ألف عام بعد ألف، كانت تحمل بذور حضارة راقية، من حروف عربية، ورموز كتابية، وأدوات مدنية، ومعتقدات سماوية وتنظيمات قبلية كانت أساس أنظمة الحكم في المنطقة العربية حتى العصر الحديث.

الافتراض الثاني:

إذا صح أن الحروف العربية بديئة، فالمفترض أن يكون الإنسان العربي قد استخدم أصواتها للتعبير عن مختلف أحاسيسه الحسية ومشاعره الإنسانية.

وفي الحقيقة، عندما لمس الإنسان العربي الفجر الأشياء من حوله، لا بد أنه قد عبر عن الإحساس بالخشونة أو النعومة أو الحرارة أو الصلابة، وما إليها من الملامس، بأصوات معينة مرفقة بحركات جسدية ملائمة، وذلك بمعرض التواصل والإعلام مع أبناء مجتمعه. وإذن يمكن أن نطلق على مثل هذه الأصوات اسم الأصوات اللمسية. ولا بد أن هذه الأصوات والحركات قد تطورت وتهذبت مع تطور الإنسان العربي، عقليا ونفسيا، واجتماعيا ومهنيا، لتسقط الحركات الجسدية وتختصر الأصوات الكثيرة أخيرا في أصوات حروف لمسية معينة.

ثم عندما تذوق هذا الإنسان الأشياء وشمها، ونظر إليها وسمع أصواتها، وعندما عانى بعض الانفعالات الشعورية، فلا بد أن يكون قد عبر عن كل ذلك بأصوات خاصة مرفقة بحركات ملائمة، على مثال ما فعل بالملموسات. لتسقط الحركات، وتتهذب الأصوات، فتختصر في حروف ذوقية وشمية وبصرية وسمعية وشعورية.

الافتراض الثالث:

إذا صح أن الإنسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات الحروف العربية الفجرية فالمفترض أن توحي الأصوات بمختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية. فأصوات الحروف، قبل أن تنتمي إلى القطاع اللغوي، تنتمي أصلا إلى القطاع الصوتي.

ولقد اقتضتني الإجابة على هذا الافتراض، القيام بدراسة مبتكرة على الحواس الخمس للكشف عن العلاقات المتبادلة بين الأصوات والحواس، وقد خلصت من هذه الدراسة إلى تصنيف الحواس في هرمين حسيين اثنين:

أ.فالحواس الخمس من حيث ماديتها يمكن تصنيفها في هرم حسي سوي.

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس، أشدّ الحواس مادية، كقاعدة له. ثم تأتي حاسة الذوق الأقل مادية، في الطبقة الثانية. ومن ثم تأتي حاسة الشم، فحاسة النظر، لتحل حاسة السمع أقل الحواس مادية وأكثرها تجريداً، قمة الهرم.

ب.أما الحواس الخمس من حيث قدرتها على استيحاء الأحاسيس (أي التأثر بها وإدراكها)، فيمكن تصنيفها في هرم حسي منكوس، ذروته في الأسفل، وقاعدته في الأعلى.

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس المغلقة على نفسها في الذروة المنكوسة، فلا توحي ملامس الأشياء بأي إحساس ذوقي أو شمي أو بصري أو سمعي أو شعوري. ثم تأتي حاسة الذوق في الطبقة الثانية. فتوحي مذاقات الأشياء، بأحاسيس لمسية فقط، ولا توحي بشيء من أحاسيس الحواس الأخرى أو

المشاعر الإنسانية. ثم تأتي على التوالي حواس الشم، فالنظر، فالسمع. كل حاسة منها تدرك أحاسيسها وتستوحى أحاسيس من دونها من الحواس، دون أن تستطيع استيحاء أحاسيس من فوقها. ولذلك فإن حاسة السمع تستوحي مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية. بمعنى أن الأصوات توحي أصلا بمختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية.

وهذه العلاقة بين الأصوات وبين الأحاسيس والمشاعر الإنسانية قد اكتشف بعضها كثير من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة. منهم عالم الصوت (يلماز) الذي تبين له من كشوفه (ان ثمة تشابها بنيويا أساسيا بين أصوات اللغة التي تدركها الأذن، وبين الألوان التي تراها العين).

ومنهم الشاعر الفرنسي (رامبو) الذي لحظ أن لأصوات بعض الحروف الفرنسية إيحاءات بألوان معينة، ليوحي له صوت حرف (O) باللون الأسود.

ومنهم ابن جني الذي جاء بقاعدته الشهيرة (حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الاحداث)، لتوضيح العلاقة الطبيعية بين الصورة الصوتية للفظة وبين صورتها المرئية في الحدث الذي تعبر عن معناه.

ومنهم الارسوزي الذي قال بالعلاقة الثلاثية الأركان بين الصورة الصوتية للفظة العربية والصورة المرئية لها، وصداها الوجدان (أي المشاعر الإنسانية).

إلا أن أحدا لم يقل بأية علاقة بين الأصوات والأحاسيس الذوقية والشمية.

ولكن تبين لي أثناء هذه الدراسة، أن الأصوات الانفعالية، لا يمكن أن توحي بمشاعرها الإنسانية بدقة، إلا إذا كان سامعها قد عانى سابقا هذه المشاعر بالذات.

وهذا ما قادني إلى القول بأن الشعور الذي يعي ذاته بذاته، هو الحاسة السادسة. فعقدت فصلاً خاصا للكشف عن دور الشعور، سواء في عملية إبداع

أصوات الحروف عن طريق التقمص، أو في عملية استيحاء معاني الأصوات عن طريق الاستبطان، لأخلص أخيرا إلى البرهان على أن الشعور يتمتع بخصائص الحواس، وإن تميز عنها في بعض المواصفات. ونظرا لشفافية هذه الحاسة وتجردها المطلق عن المادة فقد صنفتها على امتداد الهرمين الحسيين فوق ذروة الأول وقاعدة الثاني.

الافتراض الرابع:

إذا صح أن الإنسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات حروفه، وأن الأصوات توحي فعلا بمختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، فالمفترض أن توحي أصوات الحروف العربية بهذه الأحاسيس والمشاعر.

(فمجرد القول بأن الإنسان العربي الفجر قد استخدم أصوات حروفه للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره، لا يتضمن بالضرورة هذه الصلة الإيحائية بين أصوات الحروف ومعانيها. إذ يمكن أن نصرف ذلك إلى أن الإنسان العربي قد فرض رمزية مصطنعة بين الحروف ومعانيها. وذلك على مثال ترجمة العالم بافلوف الشهيرة الذي استخدم فيها قرع الجرس لتنبيه الحاسة الذوقية في كلبه. وليس بين صدى قرع الجرس وبين حاسة ذوق كلبه إلا عادة تقديم الطعام له عند القرع، ولا إيحاء ولا استيحاء).

وللتحقق من صحة هذا الافتراض، أخذت أتأمل صدى أصوات الحروف العربية في نفسي حرفا بعد حرف، للكشف عن خصائصها ومعانيها، على مهل الشعور والأعوام. ولقد تبين لي أن هذه الحروف موزعة بالفعل بين الحواس والمشاعر الإنسانية، لكل حاسة مجموعة من الحروف، ولكل انفعال شعوري أساسي، حرف خاص.

فكان لحاسة اللمس ستة حروف هي: (ت.ث.د.ذ.ك.م).

وكان لحاسة الذوق حرفان هما (ر.ل.).

وكان لحاسة البصر أحد عشر حرفا هي (الهمزة أ. ب. ج. س. ش. ط. ظ.غ.و.ي).

وكان لحاسة الشعور سبعة أحرف هي: ((ص.ض.ن.خ.ح.ه.ع.).

أما حاسة الشم فلم أجد لها حرفا خاصا بها، وإن كان لبعض أصوات الحروف إيحاءات شمية، إلى جانب أبحاثها الحسية الخاصة. على أن حرف الطاء البصري، هو ألصق الحروف بحاسة الشم، مخرج صوت وإيحاء معنى.

الافتراض الخامس:

إذا صح ما انتهيت إليه من تأملاتي الخاصة، من حيث تصنيف الحواس في هرمين حسيين، ثم من حيث توزيع الحروف بين الحواس والمشاعر الإنسانية، فالمفترض أن يكون لكل ذلك سنده من واقع اللغة العربية. ولا بد للإنسان العربي أن يكون استثمر الخصائص الصوتية لحروفه في إبداع ألفاظه للتعبير عن معانيها.

وبتعبير أدق، لا بد أن يكون لصوت الحرف العربي دوره الفعال في تكوين معنى اللفظة العربية.

وللتحقق من صحة هذه الافتراضات لجأت إلى المعاجم اللغوية للكشف عن مدى التوافق بين خصائص الحروف الصوتية وبين معاني الألفاظ التي تدخل في تركيبها.

ولقد كان من أصول البحث العلمي، أن أستخرج معاني جميع المصادر التي تبدأ بحرف معين، ثم معاني جميع المصادر التي تنتهي به، ومن ثم جميع معاني المصادر التي يقع هذا الحرف في أواسطها. ثم أقارن بين هذه المعاني وبين الخصائص الصوتية لهذا الحرف. وذلك لأرى مقدار نسبة التوافق بين خصائصه الصوتية وبين معاني جميع المصادر التي شارك في بنيانها. وأخيرا، لنقرر فيما إذا كان الإنسان العربي قد استخدم الخصائص الصوتية لهذا الحرف في معاني ألفاظه، أن أنه لم يفعل. وهكذا حرفا بعد حرف، لنحكم في النهاية، فيما إذا كان

للحروف العربية معان خاصة، أم أنها مجرد رموز على معان، وأن اللفظة العربية بالتالي، مجرد مصطلح على معنى، كما يقول أصحاب المدرسة اللغوية الحديثة.

ولما كان هذا التقصي العلمي فوق طاقتي، فقد رأيت بادئ ذي بدء أن أكتفي باستخراج معاني الألفاظ التي تبدأ بالحروف موضوع الدراسة، بزعم أن الحرف الأول من اللفظة العربية، هو الذي يطبع معناها بخصائصه الصوتية. وذلك استنباطا من النزعة الفردية في الإنسان العربي المتهم بأنه مولع بمكان الصدارة من كل أمر، لا يبعد معها أن يُسْنِد الزعامة في الكلمة للحرف الأول. فماذا كانت النتيجة؟

لقد صدقت وجهة نظري هذه بالنسبة للحروف القوية بصورة غير متوقعة. فكانت خصائص الحروف ذوات الشخصيات المتميزة تتطابق مع معاني الألفاظ التي تبدأ بها، بنسب تتراوح بين (40–66) بالمئة، كحروف (د، ر، ل، ب، ج، ف، ز، ق، خ، ص، ه، ع). كما أن معاني الألفاظ التي بدأت بمعظم هذه الحروف قد التزمت بطبقاتها الهرمية، لم تتجاوزها إلى الطبقات العليا، إلا نادراً، وبفعل حرف قوي الشخصية ينتمي إلى تلك الطبقات، وتلك معجزة خارقة لا مثيل لها في أي لغة من لغات العالم.

فمعاني جميع الألفاظ التي تبدأ بحرف الدال اللمسي مثلا، لم تتجاوز طبقته اللمسية إلى الطبقات العليا إلا في ثلاثة ألفاظ (الدسم) للطبقة الذوقية، و (دندن) و (دوى) للطبقة السمعية.

أما الحروف الشاعرية الرقيقة، كحروف: (م.س.ن.)، فكانت أقدر على فرض خصائصها الصوتية على معاني الألفاظ، عندما تقع في نهاياتها، وليس في أوائلها، وتلك رهافة سمع في الإنسان العربي ملفتة للأنظار.

(وذلك، على مثال ما كانت المرأة في المجتمع الرعوي أوحي بخصائصها الانثوية، رقة وحشمة وإحاطة وحنانا، عندما تستقر في مضربها في مؤخرة الصفوف، انسجاما مع ميلها الفطري الأصيل إلى دواعي الطمأنينة والاستقرار.

على العكس من الرجل الراعي في صحرائه، الذي كان بجهارة صوته، وخشونة منظره وصلابة قسماته، أوحى بالقوة والرجولة وادعى البطولة، عندما يكون في مقدمة الصفوف).

أما الحروف الضعيفة الشخصية، فلم تفلح في فرض خصائصها الصوتية على معاني الألفاظ التي تتصدرها أو تتوسطها أو تنتهي بها، كما لم تستطع أن تحتفظ بطبقاتها الهرمية. فهي حروف أمعية، لتلوين معاني الألفاظ التي تدخل في تراكيبها، كحروف: (ا، و، ي، ط، ح). شأن هذه الحروف، شأن الأمعيات في المجتمعات الإنسانية.

وهكذا بالتزام معاني الألفاظ التي تبدأ بالحروف القوية الشخصية طبقاتها الحسية، لا تتجاوزها إلى الطبقات العليا، إلا نادرا، وإن شملت الطبقات الحسية الأدنى، فإن ذلك يؤكد صحة تصنيف الحواس في الهرم الحسي المنكوس، وإن الأصوات بخاصة توحي بأحاسيس جميع الحواس.

الافتراض السادس:

(كل أثر فني أصيل يحمل بالتأكيد نفحة من روح مُبْدِعه، لينطبع بطابعه الشخصي المميز، عمارة كان الأثر، أو نحتا، أو رسما، أو شعرا، أو موسيقى أو أدبا... مما يستطيع معه ذواقة الفنون الأصلاء، أن ينسبوا الآثار الفنية المجهولة الأنساب إلى أصحابها).

فإذا صح أن الإنسان العربي قد أبدع حروفه عفو فطرته السوية، ليعبر بها عن أحاسيسه ومشاعره في ألفاظ طوال آلاف الأعوام، فالمفترض أن يحمل الحرف العربي طابع الشخصية العربية.

وللتحقق من صحة هذا الافتراض عقدت فصلا خاصا في القسم الثاني من هذه الدراسة بعنوان: "بين فردية الإنسان العربي وفردية الحرف العربي".

وفي الحقيقة، لما كان الإنسان العربي قد بدأ حياة الرعي والتشرد في الجزيرة العربية منذ الألف العاشر قبل الميلاد، ولا جدران عالية تعصمه من عاديات

الوحوش والناس، ولا سقوف مرفوعة تقيه من تقلبات الطقس والطبيعة، فقد استجاب لكل هذه التحديات بحصون منيعة من القوة والشجاعة، وبأردية واقية، من التقشف والصبر والجلد.

ولما كان المجتمع العربي الرعوي لم ينعم بسلطة مركزية مسيطرة تحميه من أعدائه والطامعين بقطعانه فقد لجأ إلى روابط قبلية تنجده عند الحاجة وتثأر له عند الاقتضاء.

ولما لم تتوفر له مؤسسات اجتماعية تكفله في عوزه ومرضه وضعفه وطوارئه، فقد أحدث مؤسسات إنسانية من تقاليد الكرم والضيافة ومفاهيم الشهامة والمروءة والنجدة والشرف، يلجأ إليها عند الضرورة. وهكذا قامت فردية الإنسان العربي أول ما قامت، على أصالة الصلة بين طاقاته الروحية وطاقاته الجسدية، بعضها يأخذ بعناق بعض.

فكلما صبت نفسه في مواقفه إلى قيم إنسانية عليا، استجاب جسده لتحديات الحياة قوة وتجلدا. والعكس بالعكس صحيح. لتقوم فردية الإنسان العربي أصلا، على الرابطة الأصلية بين القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية.

وبالمقابل، فإن الحروف العربية قد نشأت منذ فجرها الأول في بيئة بكر، لا لغة فيها، ولا فنّ ولا أدب، ولا دين، ولا فلسفة، فألقى الإنسان العربي على عاتقها كل هذه الأعباء الثقافية للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره وأفكاره وحاجاته. وقد استجابت الحروف العربية عبر العصور لهذا التحدي الثقافي الكبير. لتحمل الحروف العربية في طيات أصواتها تراث الإنسان العربي الثقافي، إن لم يكن تراث الإنسانية.

وهكذا قامت فردية الحرف العربي على أصالة الصلة بين خصائصه الصوتية المميزة وبين معانيه، على مثال ما قامت الفردية العربية على أصالة الصلة بين طاقاته الجسدية وطاقاته الروحية.

وانسجاما مع نهج الإنسان العربي الفني الأخلاقي في مراتبه الاجتماعية وتقاليده، ومؤسساته، قد خص الحروف العربية التي في أصواتها تناسق وانسجام وفعالية بمختلف معاني الشهامة والمروءة والسمو ومشاعر النخوة والحنين والخشوع وما إليها من القيم الإنسانية. أما الحروف التي في أصواتها فجاجة واضطراب ورخاوة ونشاز، فقد خصها بمعاني الفظاظة والقباحة والخسة والقذارة والعتامة والاضطرابات النفسية والتشوهات الجسدية، وما إليها من النقائص الإنسانية، في روابط صحيحة صريحة متبادلة بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية، ظاهرة لغوية متفردة في دنيا الحروف لا مثيل لها في لغات العالم أيضا.

ليصدق بذلك الحدس الذي تأسست عليه أصلا هذه الدراسة ومآله:

"لا فن بلا أخلاق، ولا أخلاق بلا فن"

الافتراض السابع:

إذا صح أن الإنسان العربي قد صبّ في الحرف العربي عصارة روحه، وخلاصة مقوماته الشخصية، على وجه ما سبق، فالمفترض أن يكون ثمة علاقة نفسية بين الحرف العربي والإنسان العربي.

وللتحقق من صحة هذا الافتراض، عقدت فصلا خاصا في القسم الثاني من هذه الدراسة بعنوان: "الجوانب النفسية في الحرف العربي".

وفي الحقيقة، لما كان لصوت كل حرف عربي خصائصه الصوتية الذاتية التي توحي بمعانيه، فانه لا بد للإنسان العربي بصورة مبدئية أن تتأثر نفسه بخصائص هذه الحروف عند التلفظ بها. فإذا كان في صوت الحرف اهتزاز واضطراب كالهاء مثلا، انعكس هذا الاهتزاز والاضطراب على نفس قائله وسامعه على حد سواء. ويكون ذلك أوضح ظهورا، إذا رافق مثل هذا الحرف حروف مناسبة، وركبوا في صيغة ملائمة، ولا بد لقائل هذا الحرف أن تعاني

جملته العصبية، ذات الاهتزاز، والاضطراب، استعدادا للتلفظ به، على مثال ما أصاب مبدعه الأول، ولو بانفعال مخفف، آه، أوّاه.

وهكذا الأمر مع بقية الحروف، وإذن:

لما كانت خصائص الحروف العربية هي وليدة مخارجها الصوتية على مدرج النطق، وكان لكل إنسان مخرج صوت معين على مدرج النطق أيضا، فإن الإنسان الذي ينطبق مخرجه الصوتي على مخرج أي حرف من الحروف العربية، لا بد أن تتأثر شخصيته بخصائص ذلك الحرف بالذات.

فالفرد الذي يكون مخرج صوته العفوي المعتاد هائيا مثلا، لا بد أن تكون شخصيته منطبعة مسبقا بخصائص صوت هذا الحرف، اضطرابا نفسيا ويأساً وحزنا دفينا، وأن يوحي صوته بالتالي بهذه المشاعر بالذات، وهكذا الأمر مع من كان مخرج صوته عينيا، أو حائيا، أو جيميا، أو نونيا. وما إلى ذلك من المخارج الصوتية للحروف والنماذج الإنسانية للأفراد.

وهذه القاعدة الصوتية اللغوية، هي أصدق ما تكون بين المغنيين والمرتلين.

ولقد عقدت في القسم الثاني من هذه الدراسة فصلا خاصا بعنوان "الحروف العربية والأصوات الغنائية"، كشفت به فيه عن مخارج أصوات بعض المغنيين والمرتلين، منهم ذو المخرج الصوتي العيني، (وديع الصافي، عبد الوهاب في شبابه، فيروز، أم كلثوم)، والهائي (فريد الأطرش خضيري أبو عزيز)، والحائي (نجاح سلام)، واليائي (فايزة أحمد)، والنوني (عبد الباسط عبد الصمد، أحمد السكري).

ولكن هل تقتصر هذه القاعدة الصوتية اللغوية على الإنسان العربي فحسب، أم أنها تتجاوزه إلى الناس كافة؟

بحكم أصالة الصلة بين الخصائص الصوتية للحروف العربية المقتبسة عن الطبيعة وبين معانيها، فإن الحرف العربي، في هذا المضمار الصوتي اللغوي،

يتجاوز نطاقه القومي إلى الإنساني. ولقد ضربت على ذلك بعض الأمثلة من مختلف الشعوب.

ومن ينكر علينا هذه العلاقة بين شخصية الإنسان وبين مخرجه الصوتي على مستوى الأفراد والشعوب، فإني أحيله إلى المنحنيات الصوتية الثلاثة التي اكتشفها العالم (ادوارد سيفرز) وتلميذه الموسيقي "غوستاف بكينج".

فكل فرد، على رأيهما، يحمل كلامه خصائص لا تتعطل، ولا يكمن التخلي عنها. وهذه الخصائص ترجع في أصلها إلى القسم الأدنى من الجهاز الصوتي الواقع بين منطقة البطن، وبين الصدر والتجويف البطني. وبتحليلهما للأصوات البشرية، تبين لهما أن ثمة ثلاثة نماذج أساسية من المنحنيات، ولكل منها تفرعاته. وكل متكلم ينتمي أصلا لواحد من هذه المنحنيات التي تتحكم بحركاته الجسدية واليدوية والوجهية، وكذلك بالكتابة والرسم والرقص والرياضة والجنس، وكافة النشاطات وأنماط السلوك. وان القبائل، وحتى الشعوب برمتها، لا تستخدم، بشكل شبه حصري، إلا واحدا من منحنيات (بكينج).

أسوق هذا الخبر (العلم نفسي –الصوتي)، للتدليل على أن ثمة علاقة أصيلة بين شخصية الإنسان، وبين طابعه الصوتي، ولا يهم كثيرا بعد ذلك، أن يكون، أو لا يكون ثمة علاقة ما بين المخارج الصوتية للأفراد والشعوب، وبين منحنيان (بكينج) وإن كنت لا أستبعدها.

وهكذا قد خصصت القسم الثاني من هذه الدراسة، وعنوانه (الحروف العربية والشخصية العربية)، لاستثمار خصائص الحروف العربية في الكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية والفنية والأخلاقية في الإنسان العربي، وعن مدى تجاوب الحرف العربي مع مقومات الشخصية العربية، على حد سواء.

وهكذا بدأت دراستي عن الحروف العربية، من حيث انتهى أصحاب المدرسة اللغوية القديمة، وانتهيت بها عند أبواب المدارس اللغوية الحديثة، لم أتجاوز عقباتها إلا قليلا، ولكن صحابة مقولة فطرية اللغة العربية، في زيها العصري المبتكر.

وإني لأرجو أن تثير هذه الدراسة اهتمام اللغويين من أصحاب المدرستين، ليؤاخوا في ذلك بين التراث العلمي المعاصر، للكشف عن خصائص الحرف العربي، وعن مقومات الإنسان العربي.

فلقد عناني من هذه الدراسة، أكثر ما عناني جانباها الثقافي والقومي، فتوخيت منها أمرين اثنين:

أ.أن ألقي بعبء تعريف مفاهيمها، وتحديد مضمونها الثقافي، على عاتق قبضة من الحروف، لا يصعب استيعاب خصائصها. فإذا ما توصل الإنسان العربي إلى الكشف عن جميع خصائص الحروف العربية ومعانيها، في محاولات لغوية مماثلة، استطاع أن يحرر لغته وفلسفته وأدبه ومفاهيمه من مختلف الشوائب. ويتحرر التراث العربي الأصيل من دخيله ومدسوسه، يستطيع الإنسان العربي أن يستأنف مسيرته الثقافية بروح عصرية جديدة، دون أن يتنكر لمضمونه الذاتي ومقوماته القومية.

ب.أن أستنبط من الحروف العربية نهج الإنسان العربي في الحياة، بقواعده التي أسس عليها ذاته، وأقام تقاليده، وبنى مؤسساته. فأربط بين هذه القواعد وبين خصائص الحروف العربية ومعانيها، كحقائق راهنة لا مجال لإنكارها، فيتمسك باللب الأصيل، ويتخلى عن القشر المرحلي العارض.

وهكذا فالحروف العربية، إنما هي جذور الإنسان العربي في الطبيعة والتأريخ معاً. إنها الجاذبية اللامرئية التي تربطه بصميم أمته وتجمع بينه وبين إخوانه على سطوح مجتمعاتنا.

ولهذا السبب بالذات، قد استهدفت الحروف العربية منذ مطلع هذا القرن، ولا تزال تستهدف لحملات مشبوهة من تهم القصور والعقم وافتراءات الرجعية والتخلف، ليصار إلى تبديلها بحروف لاتينية تارة، وللاستعاضة عن الفصحى باللهجات العامية المحلية تارات أخر.

وعندما نتخلى عن حروفنا، أو فصحانا، لا بد أن تتقطع بذلك جذورنا الثقافية والقومية معا، وإن نفقد بالتالي ارتباطنا ببيئتنا وأمتنا، لنغترب في عقر دارنا غربة قاطعة، لا لقاء معها أبد الدهر.

وعندئذ، تزداد فرص بقاء ونماء جميع الكيانات السرطانية في جسم الوطن العربي العملاق، بما يمكن إثارته وزرعه في روابطه وبين أجزائه من مختلف عوامل التفسخ، ومن شتى ضروب التناقض والنزاع.

مجلة "اللسان العربي": الجزء الأول من العدد السابع عشر (ع. 17 ج. 1)، من الصفحة 123 إلى 135.

سنة النشر: 1979.

وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

عبد الكريم خليفة
أكاديمي ولغوي- الأردن

توطئة:

كانت اللغة العربية لعدة قرون خلت لغة العلم والفكر والحضارة، فقد نقلت إليها أنواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة، فاستطاعت أن تستوعبها وتهضمها ولم تقف عند هذا الحد، بل تجاوزته إلى مرحلة الإبداع والابتكار، فأضافت عن طريق أبنائها إضافات أصيلة إلى العلوم بأنواعها، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الإنساني. ثم عدت عليها عوادي الزمن، وأصاب أمة العرب ما أصابها، من تكاتف الأعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في المشرق، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين، وفي المغرب مارة بإسبانيا الإسلامية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الأهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي.

وكانت نتيجة هذا كله أن انزوت هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة بانزواء أهلها، ولم تستيقظ إلا في عصر التلفزيون والرادار والصواريخ العابرة للقارات، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر.... فيالها من حقيقة أشبه بالحلم.

فها هي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة أقطار أمتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات، وما يثيره من صعاب وعقبات.

ليت شعري ماذا يكون موقف اللغة العربية!!! في هذا العالم المتطور وفي خضم المعارف الإنسانية المتسارعة التي تضع الإنسان في فجر تاريخ بشري

جديد. فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات، فتتراجع إلى العدم كما يشاء لها أعداء العروبة والإسلام، أم تنفض عنها غبار الزمن لكي تثير الأدوات الكامنة في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطورة تستطيع أن تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية، وهنا تكمن أسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة...

بدأت أمتنا العربية يقظتها في بداية هذا القرن، وصاحبَ هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر، وتوطّد دعائم نهضة الأمة ووحدتها. فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع أسس النهوض بهذه اللغة مدركة الإدراك كله أنه لا يمكن أن تنهض الأمة إلا بلغتها القومية، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العداء، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعا بشتى الوسائل من إقليمية وطائفية حينا، ومن غيرة زائفة على التقدم العلمي والتكنولوجي حينا آخر. ولم يفت أنصار هذا التيار أن يتخذوا من اللغويين والمتنطعين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحا للتشهير والخذلان، ونحن نستطيع أن نشير إلى فترتين أساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة. فالفترة الأولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، حيث تيار العربية يستعيد حيويته ويشتد في المشرق.

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، وأهم ما تتميز به هذه الفترة من الناحية الإيجابية تحرر الشمال الإفريقي من بقعة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعريب التي تعتبر أساسا في كيانه الوطني والقومي، وكذلك جاء استقلال بقية الأقطار العربية في المشرق، وتوطيد دعائم التحرر السياسي والاقتصادي_ والثقافي في بعض الأقطار وما أدى إليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة في الوطن العربي.

أما من الناحية السلبية فإن هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التي يشنها أعداء العروبة على أمتنا العربية مستهدفين كيانها السياسي واللغوي والثقافي بل والحياتي من حيث الأصل. فهناك الآن الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين تدعمه قوى الشر وأعداء العروبة والإسلام، وهناك التيارات الشريرة في الداخل التي تحاول النيل من تراث هذه الأمة وقيمها ولغتها.

فإذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لأنها ليست الهدف من هذا البحث، فإننا نستطيع أن نميز التيارات التالية على المستوى اللغوي في العالم العربي مشرقه ومغربه:

1) تيار العربية الفصحى المتزمتة.

2) العربية الحديثة والتي تتمثل بلغة المجلات والجرائد.

3) العامية الدارجة.

4) اللغة الأجنبية.

وبالرغم من أنني لا أنوي مناقشة موضوع اللغة الأدبية في هذا البحث فإنني أجد لزاما علي أن أشير للحق وللتاريخ أن هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة أجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لأمتها وتراثها وقيمها، ولكنها مع الأسف تركز جهودها الآن على مستوى اللغة العلمية متذرعة في ذلك بحجج شتى لا تثبت أمام الامتحان. أما أولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة، فقد هانوا على أمتهم وبالتالي على عاميتهم المختلفة التي لا حصر لها !!! فليت شعري أليس لكل عامية وفي كل مدينة عامية !!! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحى المتزمتة أن تنحصر في بعض زوايا المؤسسات اللغوية وأن تطور الحياة ومقتضيات العصر تفرض على الأمة الحركة السريعة للحاق بركب الحضارة ومسايرة التطور العلمي والمشاركة في الإبداع والاختراع.

وسوف لا أقف عند اللغة الأدبية ولا أخشى على وحدتها إذ أن "النص القرآني" كفيل أبدي في توحيد اللغة الأدبية. أما الخطر المحدق بنا الآن فإنما يكمن في تطوير اللغة العربية العلمية لكي تواكب متطلبات العصر الحديث الحضارية والعلمية. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذا الخطر يتجسم أيضا في صفوق المؤمنين بالتعريب والمنادين به الآن، وذلك بأن تنشأ لغات علمية عدة في الوطن العربي، فيصعب على العالم العربي وفي قطر من الأقطار أن يفهم ما يكتبه عالم آخر في قطر آخر...

ولا أدل على ذلك من هذا المثال الصارخ: **قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب في الرياضيات الحديثة للعالم العربي بلغة أجنبية، ثم ترجم هذا الكتاب، فترجم مع الأسف إلى خمس لغات علمية عربية حتى الآن ! ! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية، ثم الترجمة الأردنية. وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الأخرى، بحجة أن اجتهادها هو الصائب بنظرها**... فإن هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم يمنع من أن يؤدي إلى بذر بذور لغات علمية مختلفة، وفي هذا تحذير لخطر لغات علمية مختلفة وما يجره من أخطار أساسية على وحدة الأمة وتعاونها وتنسيق جهودها في ميادين العلم والمخترعات الحديثة.

اللغة العربية لغة متطورة حية، والحياة تعني النمو والازدياد. فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالي لما كانت هناك أمة عربية ولكان مصيرها مصير اللغات القديمة التي انقرضت أو تلك التي تأقلمت إلى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية. فنشأت عنها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والرومانية... إن النص القرآني منع تشتت اللغة واندثارها، وأنه في حفظه إياها من حيث الأساس لم يمنع تطورها ونموها... بل على النقيض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعني أنه أمات ما عداها وقضى على الفوضى في العربية وأخضعها لقانون بياني ثابت... وكان هذا في حد ذاته تطورا عظيما في كيان اللغة.

ولم تتوقف عملية التطور في اللغة، بل استمرت باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاري، فعمل التطور عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها، فإن لغة الكتابة في القرن الأول الهجري تختلف عنها في لغة القرن الرابع الهجري، وأن اللغة الفصيحة الأدبية التي نقرأها اليوم في مجالاتنا وجرائدنا المتعددة تختلف اختلافا بينا عن لغة الكتابة في عهد الازدهار الحضاري الإسلامي ولا شك أن هذا الاختلاف مرجعه إلى عملية التطور التي ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة. وهذا يطرح على بساط البحث مهمة إنجاز معجم تاريخي للألفاظ العربية والمعاني التي تدل عليها من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى الوقت الحاضر.

المشكلات التي تواجهها اللغة العربية:

لقد ذكرنا سابقا أن اللغة العربية قد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبل في حياتها، فقهرت تلك المشكلات، واستطاعت أن تستوعب جميع المعاني المادية والفكرية، وبالتالي لم يستطع سلطان الأجنبي والمستعمر أن يقضي عليها. وهي الآن تتعرض للخطر العظيم يأتيها من أبنائها العاقين منهم وغير العاقين أيضا ومن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصادية والحضارية واللغوية.

إن لغتنا تتعرض في هذا الوقت إلى خطر عظيم. كما أن أمتنا العربية تتعرض إلى أخطار تهدد وجودها وكيانها. ولا أدل على ذلك من الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين والذي بات يهدد الأقطار العربية الأخرى. والأصوات النابية التي تتعالى هنا وهناك في المشرق العربي وفي مغربه. تحمل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادي بتجاوز اللغة الفصيحة إلى لغات أجنبية حية أو إلى لهجات عامية ممعنة في الفرقة وتقطيع أوصال الأمة والقضاء على هويتها لإبقائها تحت نير التبعية المطلقة.

وأمام هذا الخطر الدّاهم، يجب أن نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة، فبالرغم من

أن اللغة وسيلة الأداء والتفاهم بين الأفراد والجماعة، فإنها في مفهومها القومي غاية في حد ذاتها. فهي مجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات، تنتظمها الألفاظ انتظاما في وحدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه... وهنا لابد أن نطرح هذا السؤال الكبير:

كيف نستطيع رد الحياة النامية إلى اللغة العربية وبسط رقعة الوضع أمام الواقع اليومي لكي تلحق هذه اللغة بركب الحضارة وتواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايدة في كل يوم؟ إذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة؟ ... إن الأمة التي ليس لها لغة تامة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح.

لا شك أن اللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع أن نحدد هذه المشكلات على الوجه التالي:

1) مشكلة **المصطلحات في اللغة العربية**.

2) مشكلة **نحو اللغة وصرفها**.

3) مشكلة **معجمات اللغة ومفرداتها**.

4) مشكلة **رقم اللغة أي الإملاء**.

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الأسلوب القديم والأسلوب الجديد، في الكتابة الأدبية فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على النقيض أنه دليل على حيوية اللغة وتطورها. فقد قامت الصحافة والمجلات الأدبية بدور مهم في إدخال التعابير المترجمة في اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية الحديثة، وهي تعابير كثيرة لا يستطيع تمييزها إلا مؤرخو اللغة.

وأن الكاتب الحديث يستعملها في لغته الأدبية دون أن يشعر بأية غرابة أو استهجان. مثال ذلك قولهم: "ذر الرماد في العيون" و "اصطاد في الماء العكر" و" كان الحادث صدى بعيد " و" قال ذلك بصفته مسؤولا ".

ومهما يكن من أمر، فقد انسابت هذه التعابير الدخيلة إلى لغتنا وأصبحت جزءا منها. وأن قدرة اللغة العربية على استيعاب هذه التعابير وغيرها من التعابير المستجدة ليكون إحدى مميزاتها الأصيلة في مسيرتها الحية المتطورة. ونحن إذ نجد بين الفينة والفينة من يشجب مثل هذه التعابير في الكتابة الأدبية، فإن اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه أمام لغة العلوم والمعارف المستجدة.

ومن أهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث أيضا لجماهير المثقفين، من مشكلة استصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على النفور من اللغة. وهنا لا بد أن نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين أساليب دراسة هذا النحو أو الصرف ونحن نعتقد أنه في طليعة أسباب هذا النفور من النحو والصرف، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة، والتزام أقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه، فقد جمد النحو المعاصر الذي أخذت به المؤسسات التعليمية في الأقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو...

وهكذا أتاه الجمود وصار النحو مع الأسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والأحاسيس. ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام. وما يقال عن النحو يقال أيضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة.

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون أصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات، وهذا يعني تقديم التجريد على التجسيد، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة.

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها، فإن **المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب**، بل لم تعتبر إلا اليسير. فأين المعجمات من هذا التراث

الضخم من كتب الأدب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بأنواعها... فالعربية ما زالت بحاجة إلى معجمات تستوعب الفصيح والقديم والمولد والعربي والمعرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين ألفو بالعربية. وهنا تأتي أهمية وضع معجم تاريخي يستقصي ألفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر. وإن مثل هذا الجهد الضخم يحتاج إلى تجنيد جميع طاقات الأمة العربية اللغوية تدعمها مؤسسة على هذا النطاق ذات إمكانيات مالية وفنية كبيرة. إن البحث في مشكلة اللغة يقودنا حتما إلى التحسس **بضرورة وجود أنواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية، وبالتالي توفر لأبنائها مجال الإبداع والمشاركة لأنه لا يمكن الإبداع إلا بلغة الأم**، ونعني الأم هنا اللغة القومية. ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي أو النشوئي والمعجم الاصطلاحي والمعجم المادي (العام) والمعجم العلمي.

إننا بحاجة ماسة إلى معجم يفي بجميع الأغراض العلمية، تعرف فيه الألفاظ العلمية بطريقة قادرة على تطوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه. إن لغتنا العربية في هذا العصر، عصر الذرة وغزو الفضاء، شديدة الحاجة إلى المصطلحات العلمية والتقنية. لذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها.

مشكلة المصطلحات:

قد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن احتياج أمتنا العربية إلى المصطلحات العصرية اللغوية كاحتياجها إلى جميع وسائل التقدم الحضاري بل أن حاجتها لذلك تأتي في المقام الأول لأنها مرتبطة بأسباب وجودها، إذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها.

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية، فقد عانتها الشعوب الناشئة فهذه الأمة اليابانية، قد استطاعت أن تطوع لغتها القومية وأن تصل بها إلى أعلى ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة، بل ها هي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة

شعبها لكي تصل إلى طليعة الدول النووية، دون أن نذكر أمما أخرى قد جعلت من لغتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها.

وقد كان الأمر كذلك فيما يتعلق باللغة العربية قديما. إذ اجتازت في نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعاني الحضارية إذ ذاك نتم لعلمائها وضع كثير من الألفاظ بطرق الاشتقاق والمجاز والتعريب.... الخ.

وترجموا تعابير دقيقة حتى أصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة إذ ذاك. إن ذلك كله يعني أننا لا نقف الآن أمام تجربة نخشى عليها الفشل، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب. فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر "الخوارزمي"، صاحب كتاب "مفاتيح العلوم"، "والجرجاني" صاحب كتاب "التعريفات" و"الجواليقي" صاحب كتاب "المعرب" الأعجمي في لغة العرب" و"الخفاجي" المصري جامع كتاب "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" "والتهانوي" صاحب كتاب "كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ".. وأن ما أثبتت من أسماء المصطلحات في الكتب العربية أكثر مما وردت في هذه الكتب بكثير.

وفي العصر الحديث كان القصد الأسمى من انبعاث حركة المجامع، العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي.

فالمصطلح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس، بل يرمز إليه رمزا لصلة بين الرمز والمرموز إليه. وهذه الصلة تختلف قوة وضعفا على حسب الأحرف المؤدية للمعنى. فالاصطلاح مقصور دائما على إحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحا. ومن أجل ذلك كثيرا ما نقول: هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا كذا...

ويعتمد المصطلح في استعماله وذيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته أو على زعزعته وإفنائه.

إن الاصطلاحات من الأمور الوضعية والاعتبارية، فالكلمات المصطلح عليها في المعاني العلمية لا تدل على تلك المعاني من حيث اللغة دلالة تامة، فلذلك ليس من الضروري أن تترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الأوفق أن نتحرى الكلمة التي يمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على أحسن الصور وأوضحها.

ومما يجب ملاحظته في اختيار المصطلحات أن بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة إلا طبقة من الاختصاصيين. ففي مثل هذا الحال يمكننا أن نستعمل الكلمات الأجنبية بل ويجوز لنا أن نبقيها على هيئتها الأصلية. أما بعض المصطلحات الأخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيوع، وقد تدخل لغة الشعر والأدب، وهنا يتوجب علينا أن نختار الكلمات العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. أما إذا اضطررنا إلى استعمال كلمة أجنبية فيجب أن نعربها تعريبا تاما، وذلك بأن نفرغها في قالب عربي يسهل لفظها على الناطقين بالضاد.

لا شك أن غاية الكمال في اللغة هي أن يخصص لكل معنى كلمة معينة أو تعبير معين وأن لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة، في حين أنه لايزال في كل اللغات كثير من الكلمات التي تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة. فإذا كانت المصطلحات قد وصلت إلى درجة الكمال في بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فإنها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الإنسانية. وهنا تأتي أهمية مقارنة الاصطلاحات التي تستعملها الأمم المختلفة، لكي تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الأحوال ولا سيما لكي نتجنب تقليد إحدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا أعمى.

فالمصطلح يوضع أحيانا لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه، وأوهى صلة بينهما. وإنما القضية التي تطرح نفسها على الساحة العربية هي: تعميم

المصطلحات ونشرها واستعمالها في جميع الأقطار العربية موحدة متفقا عليها. فإننا لا نستطيع أن نتصور اصطلاحا تاما في ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل إليه أبدا. وإنما الهدف إيجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها في الوطن العربي. فاللغة للأمة جميعا، ويجب أن نستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامي، وأن تكون قادرة على تناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الأدب والعلم والفن والصناعة... وأن الأعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية، لا يضيرها مطلقا إذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على ألفاظ علمية بعينها. فهذا شيء يحدث في جميع اللغات الحية.

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين جهودهم في اختيار مصطلحات مفيدة، نذكر منهم:

1) الدكتور أمين المعلوف في معجميه الحيوان وأسماء النجوم.

2) الأمير العالم مصطفى الشهابي في معجمه النبات.

3) الدكتور محمد شرف في معجمه العام.

4) المجمع اللغوي المصري في مصطلحاته.

5) الدكتور أحمد عيسى في معجمه للنبات.

وقد بحث موضوع "المصطلحات العلمية" في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الإسكندرية في صيف عام 1953. واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعا.

وتطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام 1955، إلى بحث هذا الموضوع أيضا وتألفت فيه شعبة المصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي:

1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك.

2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة.

3) علوم الكيمياء والجيولوجيا.

4) علوم المواد الاجتماعية.

وفي ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمي العربي على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها:

– الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة في اللغات الأجنبية التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع وتشتمل على المصطلح الأجنبي الدال على المعنى وتعريفا دقيقا للمصطلح بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربي وترجمة التعريف إلى اللغة العربية.

– طبع مصطلحات كل مادة في معجم خاص ويرسل المعجم إلى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها.

وأهم ما أراه في هذه الخطة هو "التزام الاستعمال" واتخاذ قرار بالتعريب، ولكننا مع الأسف ما زلنا نجد أنفسنا حيث كنا!!! والسبب في ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التي تواجهها، ولكنه يكمن في السياسة التي تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التي تنأى باللغة القومية على المجالات العلمية لأسباب مختلفة لا مجال لبحثها الآن.

وسائل نمو اللغة في التعبير عن معاني الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها. ولذا فاللغة الحية لغة نامية في ألفاظها وفي أساليبها. واللغة العربية هي إحدى اللغات الحية النامية. وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بألفاظ خاصة عن كل ما يجول في الفكر وما تتعامل به الحواس. وقد نمت اللغة العربية في مدارج حياتها الطويلة عبر العصور، فتراكمت ألفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور في الكتب العربية، المنشور منها والمخطوط، المعروف منها والتائه بعد في زوايا المكتبات والأقبية، ما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الإمكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد.

فاللغة العربية كما تنص إحدى الروايات، تتألف من ثمانين ألف مادة، والعلماء يقولون أن المستعمل منها عشرة آلاف. وفضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التي تعتبر رصيدا ضخما للغة، فإن اللغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها. فهناك القياس والاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والتعريب.

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التي تمدها بالقوة والنماء والنهوض والفتوة دائما، وأن استقراء القواعد بحد ذاته ليس إلا ضربا من ضرب القياس. فالقياس استنباط مجهول من معلوم فإذا اشتق اللغوي صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى، سمي عليه هذا قياسا. فالقياس اللغوي هو موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال رغبة في التوسع اللغوي وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية. وقد توسع الكوفيون في القياس، وأباحوا النسج على القليل النادر، فلا يكادون يرون في الأساليب المروية شذوذا بل طرقا متباينة، لنا أن نتخير منها ما نشاء وقد روي عن أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني: **"ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"**. ولا شك أن لحرية الرأي في الأمور الفلسفية والاجتماعية التي نمت وازدهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كان لها صدى في البحوث اللغوية أيضا ولا سيما في القياس.

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع إذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع، فوقفوا في وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها النامية، وما زال مع الأسف بعض اللغويين اليوم، يتمسكون بهذا الاتجاه ويحاولون ترقيع أمزاق الماضي والتعامي عن مطالب العصر، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية إلى ما ينفر من العربية، ويجعلها مستحيلة على محبيها، ناهيك عن أعدائها... هذا مع العلم أن حجة السماع واهية، فقد ورد على لسان أبي عمرو بن العلاء قوله: **"ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لانتهى أليكم علم وشعر كثير"**... فالسماع مبني على الحفظ، وما

لم يحفظ أكثر مما حفظ، مما يسوغ لنا أن نقبل ما يؤديه القياس، ويلغي ما يتمسكون به من حرمة السماع.

أما الوسيلة الثانية لنمو اللغة، ولا سيما من حيث الألفاظ والصيغ فهي ما يسمى بالاشتقاق. والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة. فالاشتقاق عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفا به بين علماء اللغة. إنها طريقة في تنمية اللغة وتوسيعها، تقوم على تحوير العناصر الموجودة في اللغة، وتولدها توليدا طبيعيا، وتظل الفروع المولدة متصلة بالأصل. ويبقى ميسمه اللفظي والمعنوي مائلا فيها، على تنوع وتوسع.

فإذا لم يوجد للكلمة الأعجمية مقابل في العربية يشتق لها لفظ عربي والاشتقاق قياسي في لغة العرب، قال أحمد بن فارس: **"أجمع أهل اللغة إلا ما شذ منهم أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض"**، وهنالك ألوان من الاشتقاق متمايزة ولكن أشيعها وأخصبها هو الاشتقاق الصغير ويعنون به: "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة. مثل شارب من شرب، وخذر من حذر".

وذكر أن الأصل في الاشتقاق أن يمون من المصادر، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان. ويغلب في العلم، ويقل في أسماء الأجناس كغراب يمكن أن يشتق من الأغراب وجراد من جرد. والأعلام غالبا منقول بخلاف أسماء الأجناس فلذلك قل أن يشتق اسم جنس لأنه أصل مرتجل، فإن صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب من الأغراب. وقد اشتقوا حديثا (مستشفى) مكان الشفاء و(متحفا) مكان التحف، و(مصرفا) مكان الصيرفي... ألخ.

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بأن الاشتقاق سماعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين.

وبالرغم من أن الأقدمين جروا على الاشتقاق من الاسم المعرب، فقالوا: هندس ودرهم، وخندق وقرطس. وجرى المعاصرون على اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهرباء، ومغنط ومغناطيسية من المغناطيس واشتقاق أكسد من المعرب أكسيد. أقول بالرغم من ذلك كله فقد وجد في العصر الحديث من يمنع إعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته في كلامها حكم كلامها فيشتق ويشتق منه بقولهم: "ومحال أن يشتق العجمي من العربي، أو العربي من العجمي.." !!!

ونحن نعتقد أن هذا مفهوم خاطئ فضلا عن جموده وإعاقته لحيوية اللغة... وهم في ذلك يستندون إلى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها... وأن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها. فقد كان العرب، في علاقتهم التجارية والسياسية مع الأقوام المجاورة، منذ القدم يتناولون اللفظ الأعجمي، فيصقلونه ويهذبونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم. وهكذا فإن هذه الألفاظ تعتبر عربية فصيحة، فكيف يمكن بعد ذلك أن تعتبر لغات مستقلة أو أن تحافظ على عجميتها والرأي عندنا أنها ألفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها دون أي تمييز إلا ما حكم به الذوق السليم في عذوبة الجرس وسهولة اللفظ.

أما إشفاقهم على اللغة من الفساد. وبطلان حقائقها، فهي حجة واهية وغير مقبولة واللغات الحية المعاصرة دليل على ذلك. فإن الدراسات اللغوية تبين أن أكثر من نصف ألفاظ اللغة الإنجليزية ليست إنجليزية الأصل، وأن أقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من أصل لاتيني والباقي من أصول يونانية وألمانية، وإنجليزية وإيطالية، وإسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية، ومن لغات إفريقيا، ومن اللغات الأسيوية ومن اللغات الأمريكية الهندية.

وكما أن الحاجة ماسة في العصر الحديث إلى الاشتقاق من المعرب، فإن الاشتقاق من الجامد ليس بأقل أهمية. فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع. ففي " لسان العرب " في مادة (جرب) ورد:

"وجوريته فتجورب. أي ألبسته الجورب فلبسه". وورد في محاضرات الراغب. "الحجاج لما جنق الكعبة"، أي أنه اشتق فعلا من "المجنيق".

وورد في نزهة الجليس قول الإمام عليه السلام: "مهرجونا كل يوم". وورد في نشوار المحاضرة "فرطلتها" أي فوزنتها في يدي لأعرف ثقلها اشتقه من الرطل...

ولا شك أن القياس في هذا الباب واسعا أمام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الأدوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الإنسان بالعشرات والمئات كل يوم.

فالاشتقاق في أسماء الأحداث ضروري، لابد منه ولا يجوز أن يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده. فإنه ربما نظر إلى الفعل الذي تفعله كل أداة مستحدثة، فإن استطعنا أن نشتق لها من فعلها أسماء فذاك. وإلا نظرنا فيها على طريقة التعريب، فإن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري بصورة رئيسية إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب، وقد يجمع بينهما.

التعريب:

التعريب والإعراب في اللغة معناهما واحد وهو الإبانة والإفصاح يقال: أعرب عن لسانه وعرب أبان وأفصح. وتعريب الاسم الأعجمي أم تتفوه به العرب على مناهجها. تقول: عربته العرب وأعربته أيضا. والمعرب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها.

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلقت من لغاتهن ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في أشعارهم ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان. وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير...

فالمعرب كثير من كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا. والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه أي لغة ما دام العلم مشاعا بين الأمم... والعلم في نمو وازدياد، فلا بد أن تزداد معه المصطلحات والمسميات. فالتعريب إذن ضروري لحياة العلم... ولا خوف منه على كيان اللغة. فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها، وأن بضع مفردات غريبة عنها قد التجأت إليها، فأضافت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها.

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الأعجمية أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ.

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء أشبه العربي من كل وجه أو حفظ على ما يدل على أعجميته.

إن العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الأدوات والمخترعات الجديدة تتطلب ألفظا كثيرة لهذه الآلات والأدوات، كما أن طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع، وبما تتميز به من مصطلحاتها من حيث ارتباط ألفاظها بعضها ببعض، كل ذلك يبرر لنا اللجوء إلى تعريب الألفاظ، وإلا اختلط الأمر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والإبداع.

فالتعريب يغني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية.

وكان هناك فريقان في أمر التعريب، ففريق يذهب إلى وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا، فليس يكفي أن تتكلم العرب باللفظة الأعجمية حتى

تغدو معربة... وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور أهل اللغة يذهب إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقا يلحقونها بأبنية كلامهم حينا، وحينا لا يلحقونها. بل وقد ذهب بعضهم إلى القول: إذا عربت الألفاظ الأعجمية وتمكنت لدى العرب، صرفها العرب واشتقوا منها مثل: ديباج، فرند، زنجبيل، لجام... الخ.

ونحن نرى ألفاظ كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة. مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الأخرى، دون حرج. فلم يصبها الفساد، ولم تفقد هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة وأصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر، لفترة طويلة..

ومهما يكن من أمر فلا بد من إباحة التعريب بأوجهه المختلفة ونقل الأسماء الأعجمية إلى العربية بحروفها وذلك مثل أسماء الأعلام الأعجمية واللباس والشراب والطعام والأثاث والعقاقير الطبية غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك... الخ.

ولعل من الواجب أن تتعرف جميع المؤسسات اللغوية على أصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الألفاظ في المصطلحات، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الأقطار العربية.

وإن ما يسمى باقتراض الألفاظ في اللغات الأخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا نقل الألفاظ الأعجمية دون تغيير أو تشذيب.

فقد أصبح اقتراض الألفاظ بين لغات أوربا أمرا مألوفا... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الأصلية، والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعار منها. فهنالك لغات حديثة يتحرج أهلها في قبول كل أجنبي من الكلمات... وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الألفاظ

المستعارة كالإنجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين، كما أشرنا سابقا، أن أكثر من نصف كلماتها أجنبي الأصل. واقتراض الألفاظ في أغلب حالاته وليد الحاجة حينا أو الإعجاب حينا آخر، كما رأينا في الألفاظ المعربة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الأصل.

النقل المجازي:

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها، وتفيد من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة. وهذا الأسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة أخرى. أما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه أو يتصل بسبب منه.

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل المجاز، حتى يصير المجازي هو الذي ينصرف إليه الذهن عند الإطلاق. ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي. ولا يلبث اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي، ألا يفهم منه عند التجرد من القرينة إلا هذا المعنى مثال ذلك:

المدرعة، الغواصة، الطيارة، السيارة، الحافلة... الخ.

النحت والتركيب:

التركيب أمر من أمور النحت. فالكلمتان تتركبان إحداهما بجانب الأخرى في كلمة واحدة، وبنحات من أجزاء كل منهما، تنتهيان إلى وضع هو النحت عينه، ويرى بعض اللغويين أن النحت والتركيب أمر واحد بل ويذهبون إلى أنهما لون من ألوان الاشتقاق. وكان القدماء يطلقون " التركيب " على " النحت " كما هو رأي الخليل. ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي " بالتركيب والاختزال".

ويعرف القدماء النحت بقولهم: أنه استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر.

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الأعجمية التي لا مقابل لها، إلى العربية والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل: البسملة، الحمدلة... أما أمثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل: عبشمي، وعبدري... الخ وبالرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة، يجمعون على أن النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بعدم الحاجة إلى النحت، لا لشيء إلا أن علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية، وآخرون يقولون أنهم لا يركنون إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادرا لا لسبب إلا لأنه على حد قولهم نادر في العربية... الخ. وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لإغناء العربية الحديثة، وطريقة في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها.

إلا أننا في كثير من الأحيان نعبر عن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة، فإذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا أن نستمر في استعمالها على حالها، أما إذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها. ومؤدى هذا الرأي أنه يقول بقياسية النحت عند الحاجة، ولا شك أن هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطويرها. فقد قال المتقدمون مثلا: اللامتناهي، اللاضروري، اللاأدرية.

ونقول الآن: اللاسلكي، اللامركزية، اللاشعوري.. الخ. لقد برهن بعض البحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسيا لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية. ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته، وما زالوا يرون الوقوف فيه عند حد السماع.

ونحن لا نرى في هذا التضييق إلا إعاقة لمسيرة اللغة، في الوقت الذي نبحث فيه اللغة من جميع إمكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في أدواتها ومعارفها وعلومها...

وربما كان من المفيد أن نفتح باب القياس في النحت على مصراعه على أن تراعى فيه أوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تأليفها...

فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة الاستعمال وتتجه جميع اللغات الحية إلى جعلها قصيرة مستساغة. وليس أمامنا ونحن في دور التجديد السريع إلا أن نفيد من تجارب اللغات الحية. فإما أن نعرب بالنقل وإما أن ننحت من "المصطلحات الوصفية" كلمات مفردة مستساغة لا لبس فيها، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكون من كلمة واحدة ذات معنى محدد.

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني:

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة أيام العباسيين حتى أصبحت في طليعة اللغات العلمية. ثم جاءت عصور الانحطاط فغيرت مقومات العربية كتابة وكلاما، وجمد نشاطها حتى أصبحت مفتقرة إلى المصطلحات العلمية والفنية... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين أن لا يرى لها أثر إلا بين أناس يعدون على الأصابع إذ كان لسان التدريس وأغلب الصحف باللغة التركية. وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي. وازدهرت حركة التعريب. وكانت تساير في قوتها وضعفها، قوة النضال الاستقلالي والتحرر من قيود الاستعمار. فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين. فتأسس المجمع اللغوي في دمشق، وفي 1926م تأسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام اللغوي في القاهرة وكان القصد الأسمى لانبعاث حركة المجامع، العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة. قامت هذه المجامع اللغوية، تعضدها جهود لغويين كثر بإنجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من أجله وجدت. وليس من شأننا الآن أن نقوم هذه الجهود. فقد كانت هنالك إنجازات مهمة وتخبطات اتخذها أعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل القضاء عليه إذا ما سنحت لهم الفرصة.

لقد رأينا فيما سبق أن اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها أدوات تعتبر من خصائصها الأساسية، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدعه الإنسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية. وليس هذا بالأمر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الإخفاق، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدأ وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة. ومن هنا نستطيع أن نستخلص القول: أن تعريب العلوم أو عدم تعريبها، وأن تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة، أو عدم تعريبه إنما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية أو بقدرتها على الاستيعاب، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الأمة في جميع أقطارها، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي.

فإن أيسر مبادئ التربية تقول: **يستطيع الفرد أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الأجنبية، مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة.**

(هذا فضلا سبق وأشرنا إليه من أن الإبداع والابتكار مرتبطان عفويا بلغة الأم أي باللغة القومية).

نقول إن قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية أخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتقوقع على نفسه، المتفيهق والمتقعر بلغته والمتنطع في أسلوبه، فإن هذا التيار مع الأسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين للعربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة.

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الأجنبية وأمهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الأجنبية الحية أولا، لكي نبدأ تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية. وهذا يعني أيضا من حيث النتيجة أن نبقى تبعا، متأخرين عن التيار العلمي. فإن البحوث العلمية والمخترعات، تضيف إلى المعارف الإنسانية كل يوم عشرات الألفاظ. ونحن

نعتقد أنه لا خير لنا أن نبدأ بممارسة حرك التعريب في مجالاتها المختلفة وبأدوات هذه اللغة النامية التطور، التي أوضحناها سابقا. فإن التفاعل بالممارسة العلمية الجادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها أمم حديثة لم تكن للغتها القومية الأسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فإن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتلخص في ثلاث طرق أصلية هي:

1) الاشتقاق 2) التعريب 3) النحت. ونحن نعتقد أن الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الأداة أو تلك أو حول التحفظات أو التحديدات التي يبديها بعض اللغويين على استعمال هذه الأدوات لا يمس جوهر اللغة في شيء. فكيف يمكن أن يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لإعاقتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية.

ولجأت بعض المجامع اللغوية إلى وضع أولويات في استخدام أدوات نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة. فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تأسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية. جاء فيها: **"أن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما، ويرجع إلى النحت عند الحاجة"**... وكذلك: "لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها، بخلاف التعريب. فإنه يجوز تعريب كلمة أعجمية مع وجود اسم لها في العربية".. وكذلك يرجح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة". وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها، ولكنها لا يمكن أن تكون سببا في إعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل أو الإمعان في التدقيق والاختيار... فليس المقصود مطلقا الوصول إلى المصطلح الذي لا يمكن أن يفضله مصطلح آخر... الخ. ولقد أشرنا إلى الطبيعة الرمزية للألفاظ فيما سبق.

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها أولا في كتب اللغة والعلم القديمة، فإذا وجدها اعتمدها. وإذا لم يجدها لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو النسب أو التصغير، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية، حتى تكون ثروة مستمدة من أصولها ومواردها فنستغني بها عن سواها، ونستطيع أن نثبت أمام جيوش الألفاظ الأجنبية التي تحاول أن تغزوها... ويجيز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم...

الخاتمة:

إن لغتنا العربية تواجه في هذه الفترة العصيبة من حياة أمتنا أخطارا تداهمها من العدو الأجنبي ومن بعض أبنائها مع الأسف. وأن الواجب يقضي على الغيورين على لغتهم والحريصين على بقاء أمتهم وتدعيم حريتها واستقلالها أن يتكاتفوا من أجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية، تصبح بنتيجتها اللغة العربية لغة العلم والأدب والحضارة. تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركة والإبداع.

فالمصطلحات العلمية هي الرافد الأساسي للمعاجم والنهوض باللغة على وجه العموم وهي تشمل ألفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها: في المعرفة النظرية وفي التطبيقات العلمية ولا يراعى في الاصطلاح إلا الأفضل مما اشتد إليه مسيس الحاجة ولو كانت الكلمة أعجمية الأصل.

وأخيرا فنحن نود أن نجعل اقتراحاتنا على الوجه التالي:

1) لقد حان الوقت لتأسيس مجمع لغوي واحد، تعاونه المؤسسات اللغوية الأخرى في مختلف الأقطار العربية تكون مهمته إعداد المفردات والاصطلاحات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة على أن تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ. ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليا ومعنويا. ونحن نتطلع لأن يكون اتحاد المجامع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة.

2) إيجاد هيئة جامعية، فيها كفاءات ممتازة من أجل ترجمة الدوريات والحوليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية.

3) على المؤسسات العلمية العربية اتخاذ خطوات إيجابية في التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمي ولكي تتمكن من جعل العربية لغة رسمية للتعليم الجامعي.

4) توطيد الصلات الأدبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين في الأقطار العربية.

5) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة في نمو اللغة وأن يرد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة، وأن يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه، وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة. وأن قبول المسموع الشائع من هذه اللغات الأجنبية التي دخلت إلى لغة المصانع والحرف والمختبرات ولا سيما على نطاق البلاد العربية، يوقعنا في البلبلة والترادف، وهنا يأتي دور المجمع اللغوي الموحد الذي أشرنا إليه. فالألفاظ الدخيلة في عامية كل قطر من الأقطار العربية تختلف باختلاف المؤثرات السياسية والاجتماعية الخ.

6) هنالك مخاطرة في ترك علماء اللغة يعملون وحدهم، دون أن يعمل معهم علماء مختصون في المادة التي يعرض لها الباحث، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه.

7) وضع معجم تاريخي للألفاظ العربية، بحيث يبين المعاني المختلفة التي دلت عليها خلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر.

8) وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر تتعاون في وضعه الأقطار العربية وتلتزم باستعماله.

9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية وإحياء ما في المصادر العربية القديمة في مجال اختيار المصطلحات العلمية...

10) القيام بحفريات في الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة في إعداد التاريخ العربي القديم.

ونحن نعتقد أن تطور اللغة العربية وجعلها لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته، يعتمد قبل كل شيء على تبني سياسة التعريب. وأن اتخاذ القرار والاندفاع في تطبيقه وممارسته بتوفر جميع المتطلبات اللازمة هو المنطق الحقيقي في معالجة هذه القضية القومية والحياتية للأمة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، الطبعة الثانية، القاهرة.
- أحمد تيمور: السماع والقياس، الطبعة الأولى، القاهرة، 1374هـ – 1955م.
- أحمد عيسى: التهذيب في أصول التعريب، القاهرة، 1342هـ –1924م.
- أسعد علي: تهذيب المقدمة اللغوية، الشيخ عبد الله العلايلي، بيروت، 1388هـ – 1968م.
- التنوخي – القاضي – أبو علي الحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالحي 5 أجزاء – 1971 – 1972.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (465–540هـ)، المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طهران 1966.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت 1961.
- السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جزءان، القاهرة، 1387–1958.
- عثمان سعدي، قضي التعريب في الجزائر، القاهرة.
- اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية، المجلد الأول العدد 2 جامعة الجزائر.
- محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية وتاريخها، دمشق.
- محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية، القاهرة، 1353.

- محمد رضا الشبيبي، تراثنا الفلسفي، بغداد، 1385هـ 1965م.

مصطفى جواد، المباحث اللغوية في العراق، الطبعة الثانية، بغداد 1385ه- 1965م.

- المكي العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي، نزهة الجليس وفيه الأدب الأنيس، ج2، النجف – 1967.

- ابن منظور، لسان العرب.

- المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية، دمشق 1956.

- CH. BRUNEAU, Petite histoire de la langue française.

Tome premier. Paris 1966.

• **مجلة "اللسان العربي": الجزء الأول من العدد الثاني عشر(ع. 12 ج. 1)، من الصفحة 50 إلى 62. سنة النشر: 1975.**

قائمة المعاجم الموحّدة

الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب

المعجم الموحد لمصطلحات طب وجراحة الأطفال

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثالث عشر المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود وبالتعاون مع معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب خلال الفترة 25 – 27 سبتمبر 2018 بالرياض – المملكة العربية السعودية.
- يشتمل المعجم على 2519 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2021.

المعجم الموحد لمصطلحات كوفيد 19

- صادقت عليه الندوة الدولية لتوحيد مصطلحات كوفيد 19 المنعقدة عن بعد بتاريخ 27 أكتوبر 2020.
- يشتمل المعجم على 354 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2021.

المعجم الموحد لمصطلحات الطيران المدني

- أعد بتعاون مع المنظمة العربية للطيران المدني.
- صادقت عليه الندوة الإقليمية لتوحيد مصطلحات الطيران المدني المنعقدة عن بعد بتاريخ 27 أكتوبر 2020.
- يشتمل المعجم على1950مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2022.

المعجم الموحد لمصطلحات كرة القدم

- المعجم جزء من مشروع القاموس العربي الموحّد للمصطلحات الرياضية الذي عرض على اللجنة العلمية للاتحاد العربي للتربية البدنية والرياضة المدرسية سنة 2012.
- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013
- يشتمل المعجم على 906 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2022.

المعجم الموحد لمصطلحات الإشراف التربوي

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 340 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2020.

المعجم الموحد لمصطلحات التربية على الإبداع والابتكار

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 428 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2020.
-

المعجم الموحد لمصطلحات التقييم التربوي

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثالث عشر المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود وبالتعاون مع معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب خلال الفترة 25 – 27 سبتمبر 2018 بالرياض – المملكة العربية السعودية.
- يشتمل المعجم على1739مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2021.

المعجم الموحد لمصطلحات الطب الباطني

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثالث عشر المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود وبالتعاون مع معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب خلال الفترة 25 – 27 سبتمبر 2018 بالرياض – المملكة العربية السعودية.
- يشتمل المعجم على 3182 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2021.

المعجم الموحد لمصطلحات تعليم الأشخاص ذوي الإعاقة

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 1425مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2019

المعجم الموحد لمصطلحات المناهج وطرائق التدريس

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 383 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2020.

المعجم الموحد لمصطلحات الاستراتيجيات التربوية والتعليمية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 592 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2020.
-

المعجم الموحد لمصطلحات الحكامة التربوية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 485 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2020.
-

المعجم الموحد لمصطلحات علم التشريح العياني

- صادق عليه مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة 2008.
- يشتمل المعجم على (5857) مصطلحاً، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2015.

-

المعجم الموحد لمصطلحات الآداب المعاصرة

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على (1436) مصطلحاً، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2015.

المعجم الموحد لمصطلحات محو الأمية وتعليم الكبار

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 481 مصطلحا، ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2016.

-

المعجم الموحد للمصطلحات التربوية في مرحلة الطفولة المبكرة ورياض الأطفال

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني عشر بالخرطوم سنة 2013.
- يشتمل المعجم على 597 مصطلحا ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2018.

المعجم الموحد لمصطلحات الطب البيطري

- صادق عليه مؤتمر التعريب العاشر في دمشق سنة 2002.
- يضم (294) صفحة و (2741) مصطلحاً.
- صدر سنة 2010.

المعجم الموحد لمصطلحات النقل

- صادق عليه مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة 2008.
- يشتمل المعجم على (3224) مصطلحاً. ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2010.

الموحد لمصطلحات تكنولوجيا المعلومات

- صادق عليه مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة 2008.
- يشتمل المعجم على (1365) مصطلحاً. ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2011.

المعجم الموحد لمصطلحات التواصل اللغوي

- صادق عليه مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة 2008.
- يشتمل المعجم على (2022) مصطلحاً. ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2011.

المعجم الموحد لمصطلحات الهندسة المدنية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الحادي عشر بعمان سنة 2008.
- يشتمل المعجم على (3941) مصطلحاً. ويتضمن فهرسا عربيا وفرنسيا مصاحبا.
- صدر سنة 2012.

المعجم الموحد لمصطلحات علوم البحار

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (320) صفحة و (3913) مصطلحاً.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات الحرب الإلكترونية

- صادق عليه مؤتمر التعريب العاشر سنة 2002.
- يضم (100) صفحة و (1021) مصطلحاً.
- صدر سنة 2004.

المعجم الموحد لمصطلحات تقانات الأغذية

- صادق عليه مؤتمر التعريب العاشر سنة 2002.
- يضم (250) صفحة و (2681) مصطلحاً.
- صدر سنة 2004.

الموحد لمصطلحات علم الوراثة

- صادق عليه مؤتمر التعريب العاشر في دمشق سنة 2002.
- يضم (338) صفحة و (2482) مصطلحاً.
- صدر سنة 2009.

المعجم الموحد لمصطلحات علم الصيدلة

- صادق عليه مؤتمر التعريب العاشر في دمشق سنة 2002.
- يضم (389) صفحة و (3686) مصطلحاً.
- صدر سنة 2009.

المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (188) صفحة و(1524) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات الأرصاد الجوية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (224) صفحة و (2031) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات المياه

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (145) صفحة و (2204) مصطلحات.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (329) صفحة و(3210) مصطلحاً.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات الاستشعار عن بعد

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (178) صفحة و (1196) مصطلحاً.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات النفط

- تمت دراسته خلال مؤتمرين للتعريب: الأول عقد بالجزائر سنة 1973 والثاني بليبيا سنة 1977.
- يضم (622) صفحة و (6089) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات البيئة

- صادق عليه مؤتمر التعريب السابع بالخرطوم سنة 1994.
- يضم (191) صفحة و (1747) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات الهندسة الميكانيكية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (213) صفحة و (2828) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

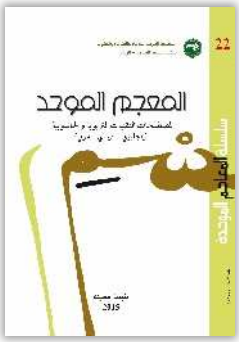

المعجم الموحد لمصطلحات التقنيات التربوية

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم 276 صفحة و1248 مصطلحاً.
- صدر سنة 2015.

المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام (الطبعة الثانية محينة)

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثامن والتاسع بمراكش سنة 1998.
- يضم (358) صفحة و (4055) مصطلحاً.
- صدر سنة 2012 (الطبعة الثانية).

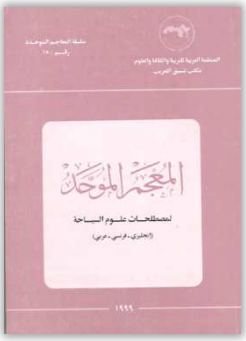

المعجم الموحد لمصطلحات السياحة

- صادق عليه مؤتمر التعريب السابع بالخرطوم سنة 1994.
- يضم (264) صفحة و (3121) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات الزلازل

- صادق عليه مؤتمر التعريب السابع بالخرطوم سنة 1994.
- يضم (167) صفحة و (1962) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات الجيولوجيا

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (404) صفحة و (4623) مصطلحاً.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات الاقتصاد

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (404) صفحة و (4623) مصطلحاً.
- صدر سنة 2000.

المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (696) صفحة و (8862) مصطلحاً.
- صدر سنة 1995.

المعجم الموحد لمصطلحات الطاقات المتجددة

- صادق عليه مؤتمر التعريب السابع، بالخرطوم سنة 1994.
- يضم (114) صفحة و (1180) مصطلحاً.
- صدر سنة 1996.

المعجم الموحد للمصطلحات المهنية والتقنية (ج.I) (طباعة – كهرباء)

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (272) صفحة و (2838) مصطلحاً.
- صدر سنة 1996.

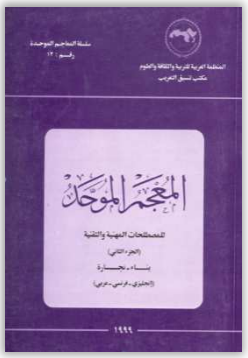

المعجم الموحد للمصطلحات المهنية والتقنية (ج II)
(بناء –نجارة)

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (320) صفحة و (3734) مصطلحاً.
- صدر سنة 1999.

المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية
(الفلسفة–الاجتماع والأنثروبولوجيا–التربية)

- صادق عليه مؤتمر التعريب الخامس بالأردن سنة 1985.
- يضم (384) صفحة و (4351) مصطلحاً.
- صدر سنة 1997.

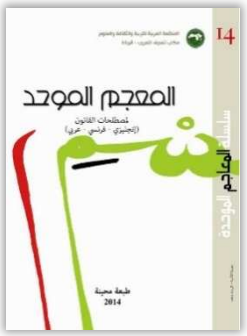

المعجم الموحد لمصطلحات القانون

- صادق عليه مؤتمر التعريب بالرباط سنة 1988.
- يضم 399 صفحة و3218 مصطلحاً.
- صدر سنة 2014 (الطبعة الثانية).

المعجم الموحد لمصطلحات علم الصحة وجسم الإنسان

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثالث في ليبيا عام 1977.
- يضم (176) صفحة و (2134) مصطلحاً.
- صدر سنة 1992.

المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ

- صادق عليه مؤتمر التعريب السادس في الرباط سنة 1988.
- يضم (176) صفحة و (3024) مصطلحاً.
- صدر سنة 1992.

المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء

- صادق عليه مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر سنة 1973.
- يضم (560) صفحة و (6561) مصطلحاً.
- صدر سنة 1993.

المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا

- صادق عليه مؤتمر التعريب السادس بالرباط سنة 1988.
- يضم (324) صفحة و (2700) مصطلحاً.
- صدر سنة 1994.

المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة

- صادق عليه مؤتمر التعريب الرابع بطنجة سنة 1981.
- يضم (696) صفحة و (8862) مصطلحاً.
- صدر سنة 1995.

المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الطبعة 1- 2)

- صادق عليه مؤتمر التعريب الخامس بالأردن سنة 1985.
- يضم (260) صفحة و (1744) مصطلحاً.
- صدر سنة 2002 (الطبعة الثانية).

المعجم الموحد لمصطلحات الموسيقى

- صادق عليه مؤتمر التعريب السادس بالرباط عام 1988.
- يضم (96) صفحة و (845) مصطلحاً

المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء

- صادق عليه مؤتمر التعريب الخامس بالأردن سنة 1985.
- يضم (392) صفحة و (4533) مصطلحاً.
- صدر سنة 1992.